الخيال عالم البرزخ والمثال

ويليه

الرؤيا والمبشرات

من كلام الشيخ الأكبر



جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

الطبعة الثانية



من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

التنضيد الضوئي : دار الكاتب العربي
دمشق ـ ☎ ٢٢٢٢٠٣٨ ـ ٢٢١٩٧٣٨

الطبعة الثانية
١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م

مطبعة نضر
١٠٠٠ (ن)

الإهداء

إلى مشايخي أهل العرفان الذين أرشدوني ودفعوني دفعاً إلى طريق أهل الحق .

المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ محمد صادق العدوي إمام جامع سيدي الدردير وخطيب جامع الروم سابقاً بالقاهرة .

المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ محمد المختار بن يوسف الشنقيطي إمام في التجرد والتوكل بالمدينة المنورة .

المرحوم سيدي العارف بالله الشيخ أحمد الحارون الحجار شيخ شيوخ زمانه بدمشق .

إلى والديّ

أبي المرحوم الشيخ محمود الغراب رئيس محكمة مصر الشرعية سابقاً وأمي المرحومة فاطمة بنت محمد الخولي .

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صورة الكمال، خلق سبحانه الخيال وجعله هيولى لعالم المثال، وتجلى للجلال والجمال، فهو عالم غريب، بعيد قريب، تساوى فيه العدو والحبيب، كل منهما له فيه نصيب، إما عذاب أليم، أو نعيم مقيم، لا ينكره أهل الإلحاد ولا أهل الأديان، لأنه من حقيقة الإنسان، ومن عالم الحدثان، فأقرته جميع الملل والنحل، لأنه مقارن لها من الأزل، أظهر الحق فيه بديع صنعته، وبالغ حكمته وقدرته، منه ظاهر ملموس، ومنه باطن محسوس، ومع هذا فقد حارت في إدراكه النفوس، لأنه جامع لأسماء القدوس، هو مسرح عيون العارفين، وغاية إدراك الطالبين، تجلى فيه الحق، فطلبه الخلق، أهل الكذب منهم وأهل الصدق، فهو لأهل الباطل وهْمْ، ولأهل الإيمان حق وعلم، فهذا المخلوق الكثيف اللطيف، يحتاج إلى تعريف، لأن أثره له التصريف، فحارت فيه العقول بأفكارها، والألباب في إخبارها، لأنها لم تشهد له عيناً، ولا علمت له أيناً، ومع ذلك لم تطلب عليه دليلاً، فإنها لا تجد لإنكاره سبيلاً، يحكم في الصغير والكبير، والغني والفقير، وتحير فيه العالم النحرير، لذلك أنشأ الشرق والغرب له المعاهد، وشحذت له العلماء المقاصد، كي تصل إلى معرفة كنهه، أو تتفق على وصفه ونعته، وفيه يقول الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي:

عجبت لموجود حوى كل صورة — من الملأ العلوي والجن والبشر
ومن عالَم أدنى ومن عالَم علا — ومن حيوان كان أو نبت أو حجر
وليست سواه ولا هي عينه — وفي كل شيء شاء من صورة ظهر
ويبدو إلى الأبصار من حيث ذاته — ويخفى على الألباب ذاك ويُستَتَر
فتجهله الألباب من حكم فكرها — وتظهره الأوهام للسمع والبصر
هو الحي لكن لا حياة بذاته — تقوم كما قامت بها سائر الصور
فمَنْ هو خُبْرٌ في الذي قد ذكرته — بما قد وصفناه وترمي به الفكر
فها هو مخفي وليس بغائبٍ — وها هو منظور ويخفى على النظر
فياليت شعري هل سمعتم بمثله — ألا فاخبروني إن هذا هو العبر
ولم يدر ما جئنا به غير واحد — هو الله لا تدري به سائر الفطر
وما مثله إلاّ شخيصٌ وإنسي — عجبت له من كامل وهو مختصر

هذا هو الخيال الذي يدخله النائم في نومه، فيرى فيه من العجائب ما يبهر العقول، ويرى فيه ما مضى وما هو آت، ويسمع فيه لغاتٍ ولهجات، في الأصل يجهلها، وفيه يفهمها، ويرى ما يفزعه فتضطرب له أعضاؤه، ويرى ما ينعشه فتطرب له روحه، ويدخله اليقظان في يقظته فيصور فيه ما شاء من أحلامه وأوهامه، فما يراه النائم في النوم بعض منه، لا تعمل له فيه، وما يراه الإنسان في يقظته جزء منه، ليس بخارج عنه، هذا كل ما يعرفه العامة وأكثر الناس عن الخيال، وأما الخاصة وأهل الكشف من أهل الإيمان، الذين يرون في اليقظة ما لا يراه الآخرون، ويسمعون ما لا يسمعه الحاضرون، ففي هذا الخيال يرى الواحد منهم ما يرى، ويخبر صادقاً عما يسمع ويرى، وكذلك أهل الرياضة من جميع الملل وأهل السِّحر، لهم في هذا الخيال الباع الطويل، فإن الشيطان يشاركهم فيه، وهو لهم شر مرشد ومعين، وفي هذا الخيال يدرك الماديون ما يرونه ويدركونه من خوارق وآثار، من حيث لا يشعرون ولا يدرون، فلا يستطيعون إنكارها، ولا يقدرون على حل

أسرارها، فجمعت في هذا الكتاب ما وفقني الله تعالى إليه من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي عن هذا المخلوق العجيب، حيث يفصله عقلاً ونقلاً - حتى يتضح للقارىء الفرق بين الخيال والتخيل، ولا يعلم ذلك إلا من أعطي التمييز بين عصا موسى عليه السلام وعصي السحرة - ثم ينتقل بنا رضي الله عنه إلى أن الوجود الحادث إنما يظهر في حضرة الخيال الحق، فإن كل ما يتحول وليس له ثبات إنما هو خيال، نبه على ذلك رسول الله ﷺ بقوله «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فالأمر هين عندنا أهل الإيمان، وهو أهون على أهل الإحسان، فلا نحتاج فيه إلى المعاهد والمخابر، التي يجهد فيها الماديون لتعليل آثار، هي عندنا من الغيب ومما وراء طور العقل، فيحاولون إخضاعها للعلم التجريبي ونتائج الآلات، فإلى أن يصلوا إلى هذه الحقائق الغيبية فيشاركوننا عند ذلك فيها، وأما نحن فنكون قد فزنا بالإيمان بما هو وراء طور العقل من الخلق، بفضل من الله ونعمة.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمود محمود الغراب
ص. ب ٣٣٣

دمشق في ٢٤/ ٢/ ١٩٨٤

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف البرزخ:

لما كان البرزخ أمراً فاصلاً بين معلوم وغير معلوم، وبين معدوم وموجود، وبين منفي ومثبت، وبين معقول وغير معقول، سمي برزخاً اصطلاحاً، فما من منزلة من المنازل ولا منازلة من المنازلات[1]، ولا مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال، ولا حضرة من الحضرات، ولا جنس من الأجناس، إلا وبينهما برزخ، كالنخلة برزخ بين النبات والحيوان، والكمأة برزخ بين الجماد والنبات، والممكن برزخ بين الوجود والعدم. والبرزخ الذي بين الحق والخلق في المعنى، فيه اتصف الممكن بعالِم وقادر وجميع الأسماء الإلهية التي بأيدينا، واتصف الحق بالتعجب والتبشش والضحك والفرح والمعية وأكثر النعوت الكونية، والإنسان الكامل أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالَم، فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً، ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلْقاً. (ف ج١/ ٣٠٤، ٤١ - ج٢/ ٣٩١)

فالبرزخ ما قابل الطرفين بذاته، وأبدى لذي عينين من عجائب آياته ما يدل على قوته، ويستدل به على كرمه وفتوته، فهو القلب الحُوّل، والذي في كل صورة يتحول، عولت عليه الأكابر حين جهلته الأصاغر، فله المضاء في الحكم، وله القدم الراسخة في الكيف والكم، سريع الاستحالة، يعرف العارفون حاله، بيده مقاليد الأمور، وإليه مسانيد الغرور، له النسب الشريف، والمنصب الكياني المنيف، تلطف في كثافته، وتكثف في لطافته، يجرحه العقل ببرهانه، ويعدله الشرع بقوة سلطانه، يحكم في كل موجود، ويدل على صحة حكمه بما يعطيه الشهود، ويعترف به الجاهل بقدره والعالِم، ولا يقدر على رد حكمه حاكِم. (ف ج٤/ ٣٢٨)

---

(١) راجع شرح المنزل والمنازلة في كتابنا «شرح كلمات الصوفية».

علم البرزخ :

البرازخ أتم المقامات علماً بالأمور، فإن البرزخ يعم الطرفين، وهو مقام الأسماء الإلهية، فإنها برزخ بيننا وبين المسمى، فلها نظر إليه من كونها اسماً له، ولها نظر إلينا من حيث ما تعطي فينا من الآثار المنسوبة إلى المسمى، فتعرف المسمى وتعرفنا، فعلم البرازخ له من القيامة الأعراف، ومن الأسماء الاتصاف، فقد حاز الأنْصَاف، فما هو عين الاسم ولا عين المسمى، ولا يعرف هويته إلا من يفك المعمَّى، وقد استوى فيه البصير والأعمى، وهو الظل بين الأنوار والظُلَم، والحد الفاصل بين الوجود والعدم، وإليه ينتهي الطريق الأمم، وهو حد الوقفة بين المقامين لمن فهم، له من الأزمنة الحال اللازم، فهو الوجود الدائم، فمن أراد العلم بصورة الحال، فليحقق علم الخيال، فيه ظهرت القدرة، وهو الذي أنار بدره، فلا يتقلب إلا في الصور، ولا يظهر إلا في مقام البشر، ولست أعني بالبشر الأناسي، فإني كنت أشهد على نفسي بإفلاسي، فما ثَمّ إلا وعاء، وآنية ملاء، فتدبر تتبصر، فإن البرزخ جامع الطرفين، والساحةُ بين العَلَمين، له ما بين النقطة والمحيط، وليس بمُرَكَّب ولا بسيط، حظه من الأحكام المباح، ولهذا كان له الاختيار والسراح، لم يتقيد بمحظور ولا واجب، ولا مكروه ولا مندوب إليه في جميع المذاهب.

(ف ج٢/ ٣٠٩، ٢٠٣ - ج٤/ ٣٣٧، ٣٨٩، ٣٣٧)

الحقائــق

اعلم أن الحقائق أربع، منها ثلاث ترجع إلى الحق تعالى، وحقيقة ترجع إلى الخلق، أما الثلاث التي ترجع إلى الحق: فحقيقة ترجع إلى الذات المقدسة، وحقيقة ترجع إلى الصفات المنزهة، وحقيقة ترجع إلى الأفعال الإلهية، وأما الحقيقة التي ترجع إلى الخلق، فهي الحقيقة التي ترجع إلى المفعولات، وهي الأكوان والمكوَّنات، التي هي حضرة الإمكان، فإن العبودية لا تشرك الربوبية في الحقائق التي بها يكون إلهاً، كما أن العبد بحقائقه يكون مألوهاً، فلو وقع الاشتراك في الحقائق، لكان إلهاً واحداً أو عبداً واحداً، أي عيناً واحدة، وهذا لا يصح أبداً، فلابد أن تكون الحقائق متباينة، ولو نُسِبَت إلى عين واحدة،

ولهذا باين خلقه بقدمه، كما باينوه بحدوثهم، واجتمعت الحضرتان - حضرة الحق وحضرة الخلق - في أن كل واحدة منها معقولة من ثلاث حقائق، ذاتٌ، وصفةٌ، ورابطة بين الصفة والموصوف بها، غير أن العبد له ثلاثة أحوال: حالة مع نفسه لا غير - في الوقت الذي يكون فيه نائم القلب عن كل شيء - وحالة مع الله، وحالة مع العالَم، والباري سبحانه مباين لنا، فإن له حالين: حال من أجله، وحال من أجل خلقه، وليس فوقه موجود، فيكون له تعالى وصف تعلق به. (ف ج١/ ٣٣، ٥٣)

الحقيقة الكونية:

الحقيقة الكونية على ثلاث مراتب: علوية وهي المعقولات، وهي مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها أن تدرك بالعقول، وسفلية وهي المحسوسات، من شأنها أن تُدْرَك بالحواس، وبرزخية ومن شأنها أن تدرك بالعقل والحواس، وهي المتخيلات، وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة، وما تصوره القوة المصورة الخادمة للعقل، وأجرى الله تعالى المعاني في المخاطبات، مجرى المحسوسات في الصور، التي تقبل التجزي والانقسام والقلة والكثرة، وجعل محل ذلك حضرة الخيال، فتحصر المعاني في الخطاب، فتتلقاها بالتشبيه العقول، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني، التي ليس من شأنها بالنظر إلى ذاتها، أن تكون متميزة أو منقسمة، أو قليلة أو كثيرة، أو ذات حد ومقدار وكيف وكم، وجعل لنا الدليل على قبول ما أتى به من هذا القبيل في هذه الصورة، ما يراه النائم في نومه، من العلم في صورة اللبن، فيشربه حتى يرى الري يخرج من أظفاره، فقيل له: ما أولته يارسول الله؟ يريد ما تؤول إليه صورة ما رأيت؟ فقال: العلم، ومعلوم أن العلم ليس بجسم يسمى لبناً، ولا هو لبن، وإنما هو معنى مجرد عن الصور التي من شأنها أن تدركها الحواس، ولولا مناسبةٌ بين العلم واللبن جامعةٌ، ما ظهر بصورته في عالم الخيال، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله[1]، وكان من تلك الحضرة، ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس كما تقسم الحبوب، فمن الناس من حصل له من العقل - المثل

(١) المناسبة هو أن اللبن غذاء الأشباح فطرة، والعلم غذاء الأرواح.

في الصور التي من شأنها أن تكتال ـ القفيز والقفيزان ، والأكثر والأقل ، والمد والمدان ، والأكثر والأقل ، لما أراد الله من ذلك ، وأما الموزون فالأعمال ـ وهي معان عرضية تعرض للعامل ـ فألحقها الله بالموزون ، فقال ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وقال ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ فأدخل العمل في الميزان فكان موزوناً ، ولكن في هذه الحضرة المثالية ، التي لا تدرك المعاني إلا في صورة المحسوس ، حتى التجلي الإلهي في النوم ، فلا ترى الحق إلا صورة ، وقد ورد في ذلك من الأخبار ما يغني عن الاستقصاء في تحقيق ذلك ، وهو شيء يعلمه كل إنسان ، إذ كل إنسان له تخيل في اليقظة والمنام ، ولهذا يعبر ما يدركه الخيال ، لأن الحضرات تحكم على النازل فيها ، وتكسوه من خِلَعِها ما تشاء ، فالحكم للحضرة والموطن ، لأن الحكم للحقائق ، والمعاني توجب أحكامها لمن قامت به .

(ف ح١/ ٣٣ ـ ح٢/ ٦٦ ـ ح١/ ٥٩١ ـ ح٢/ ٦٦ ـ ح١/ ٥٧ ـ ح٢/ ٦٦ ـ ح١/ ٥٩٢)

المعلومـــــات :

المعلومات ثلاثة لا رابع لها : وهي الوجود المطلق الذي لا يتقيد ، وهو وجود الله تعالى الواجب الوجود لنفسه ، والمعلوم الآخر العدم المطلق ، الذي هو عدم لنفسه ، وهو الذي لا يتقيد أصلاً وهو المحال ، وهو في مقابلة الوجود المطلق ، وكما أسلفنا أنه ما من نقيضين متقابلين ، إلا وبينهما فاصل ، به يتميز كل واحد من الآخر ، وهو المانع أن يتصف الواحد بصفة الآخر ، وهذا الفاصل هو البرزخ الأعلى ، وهو برزخ البرازخ ، له وجه إلى الوجود ووجه إلى العدم ، فهو يقابل كل واحد من المعلومين بذاته ، وهو المعلوم الثالث ، وفيه جميع الممكنات وهي لا تتناهى ، كما أنه كل واحد من المعلومين لا يتناهى ، وللممكنات في هذا المعلوم الثالث ـ الذي نسميه حضرة الإمكان ، وهو البرزخ بين الوجود والعدم ـ أعيانٌ ثابتة من الوجه الذي ينظر إليها الوجود المطلق ، ومن هذا الوجه ينطلق عليها اسم الشيء ، الذي إذا أراد الحق إيجاده قال له ﴿كن فيكون﴾ وليس له أعيانٌ موجودة من الوجه الذي ينظر إليه من العدم المطلق ، ولهذا يقال له ﴿كن﴾ وكن حرف وجودي ، فإنه لو أنه كائن ما قيل له كن ، وهذه الممكنات في هذا البرزخ بما هي عليه وما تكون إذا كانت ، مما تتصف به من

الأحوال والأعراض والصفات والأكوان، وهذا هو العالَم الذي لا يتناهى، وما له طرف يُنْتَهى إليه، وهو العامر الذي عمر الأرض التي خُلِقَت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة الظاهرة للرائي في الجسم الصقيل، عمارة إفاضة، ومن هذا البرزخ وجود الممكنات، وبها يتعلق رؤية الحق للأشياء قبل كونها، ويقال له الوجود الخيالي، يقول له الحق ﴿كن﴾ في الوجود العيني، فيكون ـ هذا السامع هذا الأمرَ الإلهي ـ وجوداً عينياً يدركه الحس، أي يتعلق به في الوجود المحسوس الحس، كما تعلق به الخيال في الوجود الخيالي.

(فـ ح٣/ ٤٦ ـ ح٤/ ٢١١)

حقيقة الخيال المطلق:

الخيال المطلق هو المسمى بالعماء، وهو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، وانتشاء هذا العماء من نَفَس الرحمن، الذي هو أول ظرف قَبِلَ كينونةَ الحق[1]، وهو الحق المخلوق به كل شيء، وفتح الله في هذا العماء صور كل ما سواه من العالم، واختلاف أعيان الممكنات في أنفسها في ثبوتها، والحكم لها فيمن ظهر فيها، ألا إن ذلك العماء هو الخيال المحقق، ألا تراه يقبل صور الكائنات كلها، وتصوير ما ليس بكائن، هذا لاتساعه، فهو عين العماء لا غيره، وفيه ظهرت جميع الممكنات، وهذه الموجودات الممكنات التي أوجدها الحق تعالى، هي للأعيان التي يتضمنها هذا البرزخ، بمنزلة الظلالات للأجسام، ثم إن هذا العماء هو عين البرزخ، بين المعاني التي لا أعيان لها في الوجود، وبين الأجسام النورية والطبيعية، كالعلم والحركة، هذا في النفوس، وهذه في الأجسام، فتتجسد في حضرة الخيال، كالعلم في صورة اللبن، وكذلك تعيين النسب ـ وإن كانت لا عين لها في النفس ولا في الجسم ـ كالثبات في الأمر نسبة إلى الثابت فيه، يظهر هذا الثبات في صورة القيد المحسوس في حضرة الخيال المتصل، وكالأرواح في صور الأجسام المتشكلة الظاهرة بها، كجبريل في صورة دحية، ومن ظهر من الملائكة في صور الذر يوم بدر، هذا في الخيال المنفصل، وكالعصا والحبال في صور الحيات تسعى، كما قال ﴿يخيل إليه﴾ يعني إلى موسى ﴿من سحرهم﴾ أي من علمهم

---

(١) إشارة إلى الحديث، قيل لرسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ فقال رسول الله ﷺ: كان في عماء، ما فوقه هواء، وما تحته هواء.

بما فعلوه ﴿أنها تسعى﴾ فأقاموا ذلك في حضرة الخيال، فأدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، ولهذا خاف فقيل له ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ (ف ح٢/ ٣١٠، ٣١٢، ٣١١)

وتلك الحضرة البرزخية، هي ظل الوجود المطلق من الاسم النور، الذي ينطلق على وجوده، ووجود الأعيان ظل لذلك الظل، والظلالات المحسوسة ظلالات هذه الموجودات في الحس، ولما كان الظل في حكم الزوال لا في حكم الثبات، وكانت الممكنات وإن وجدت في حكم العدم، سميت ظلالات، ليفصل بينها وبين من له الثبات المطلق في الوجود ـ وهو واجب الوجود سبحانه ـ وبين من له الثبات المطلق في العدم وهو المحال، لتتميز المراتب، فالأعيان الموجودات إذا ظهرت ففي هذا البرزخ هي، فإنه ما ثَمَّ حضرة تخرج إليها، ففيها تكتسب حالة الوجود، والوجود فيها متناهٍ ما حصل منه، والإيجاد فيها لا ينتهي، فما من صورة موجودة إلا والعين الثابتة عينها، والوجود عليها كالثوب، ولذلك نقول: إن كل ظاهر من العالم صورة ممثلة كيانية، مضاهية لصورة إلهية من حيث الاسم الظاهر[1]. (ف ح٣/ ٤٦، ٤٧٠)

حضرة الخيال هو عالم الجبروت ومجمع البحرين:

إذا انتقلنا من برزخ البرازخ وهو حضرة الإمكان، من حيث أن الصور بما هي صور هي المتخيلات، والعماء الظاهرة فيه هو الخيال المطلق، وأنها حضرة علمية معقولة، إذ انتقلنا إلى الوجود الحادث، قلنا: إن العالم عالمان، والحضرة حضرتان، وإن كان قد تولد بينهما حضرة ثالثة من مجموعهما، فالحضرة الواحدة حضرة الغيب، ولها عالم يقال له: عالم الغيب أو عالم الملكوت، وهو عالم المعاني والغيب، وهو عالم العقل، والحضرة الثانية حضرة الحس والشهادة، ويقال لعالمها: عالم المُلْك أو عالم الشهادة والحرف، وهو عالم الحس والظهور، ومدرك هذا العالم بالبصر، ومدرك عالم الغيب بالبصيرة، والمتولد من اجتماعهما

---

(١) يعني أن جميع العالم ظهر في الوجود، على نفس الصورة التي كان عليها في العلم الإلهي قبل خلق الخلق ـ راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية الطبعة الأولى ص ٣٤٨ الطبعة الثانية ٣٨٩ «ظهر العالم على صورة الحق».

حضرة وعالم، فالحضرة الخيال أو البرزخ، والعالم عالم الخيال، ويسميه بعض أهل الطريق عالم الجبروت، وهو الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت، وهكذا هو عندي.
(ف ح٢/ ٣١١ - ح٣/ ٤٢ - ح٢/ ١٢٩ - ح١/ ٣٩٥ - ح٣/ ٤٢ - ح٢/ ١٢٩)

وعالم البرزخ هذا، تنزل المعاني فيه في الصور والقوالب الحسية، فليست من عالم الغيب لما لبسته من الصور الحسية، وليست من عالم الشهادة لأنها معاني مجردة، وظهورها بتلك الصور أمر عارض عَرَضَ للمدرك لها، لا للمعنى في نفسه، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإسلام في صورة العَمَد، والإيمان في صور العروة، وجبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي، وتمثل لمريم في صورة بشر سوي، ولذلك كانت حضرة الخيال أوسع الحضرات جوداً، لأنها تجمع العالَمين، فهي مجمع البحرين، بحر المعاني وبحر المحسوسات، فالمحسوس لا يكون معنى، والمعنى لا يكون محسوساً، ولذلك سمي الخيال خيالاً، لأنا نعرف أن ذلك راجع إلى الناظر لا إلى الشيء نفسه، فالشيء في نفسه ثابت على حقيقته لا يتبدل - لأن الحقائق لا تتبدل - ويظهر إلى الناظر في صور متنوعة، وذلك التنوع حقيقة أيضاً، لا تتبدل عن تنوعها، فلا تقبل الثبوت على صورة واحدة، بل حقيقتها الثبوت على التنوع، وحضرة الخيال التي عبرنا عنه بمجمع البحرين، هو يجسد المعاني، ويلطف المحسوس، ويقلب في عين الناظر عين كل معلوم، فيجمع عالم الغيب وعالم الشهادة، فإن حضرة الغيب لا تسع عالم الشهادة، فإنه ما بقي فيها خلاء، وكذلك حضرة الشهادة، فحضرة الخيال أوسع بلا شك، فإن الخيال لقوته أوسع الكائنات وأكمل الموجودات، ويقبل الصور الروحانيات، وهو التشكل في الصور المختلفة من الاستحالة الكائنة، والاستحالة منها ما فيها سرعة، كاستحالة الأرواح صوراً جسدية، فإن الأرواح في الصور الخيالية معانٍ لا ثبات لها، فإنها سريعة الزوال، من النائم باليقظة، ومن المكاشف بالرجوع إلى حسه، وكاستحالة المعاني صوراً جسدية، تظهر في كون هذا العماء، فإن المعاني إذا تجسدت في عالم المثال، وظهرت صوراً في الجسم المشترك، كما أخبر عليه السلام من أن الزهراوين - البقرة وآل عمران - يأتيان يوم القيامة لهما لسانان وشفتان، يشهدان لمن قرأهما، ومعلوم حقيقة الكلام وأنه معنى من المعاني، جثمانياً كان أو

غير جثماني، وكالدين في صورة القيد، والعلم في صورة اللبن، والإسلام في صورة العَمَد، فيقع النعت من الناعت، والوصف من الواصف لهذا المعنى، على هذه الصورة التي يظهر فيها له من عالم المثال، فيوصف بما توصف به الصور التي يتجلى فيها، وثم استحالات فيها بطء، كاستحالة العناصر، فهي وإن كانت استحالات، فما لها سرعة استحالة الصور في القوة المتخيلة في الإنسان، وهو الخيال المتصل، ولا في استحالات صور الأرواح في صور الأجسام أجساداً، كالملائكة في صور البشر، فإن السرعة هناك أقوى، وكذا زوالها، أسرع من استحالات الأجسام بعد الموت إلى ما تستحيل إليه.

(ف ح ١/ ٣٩٥ ـ ح٣/ ٤٢، ٣٦١، ٤٧٠، ٤٢ ـ ح٢/ ٣١١ ـ كتاب الأعلاق ـ ف ح٢/ ٣١١ ـ كتاب الأعلاق ـ ف ح٢/ ٣١١)

فالبرزخ هو الحاكم المتحكم، الذي يحكم ولا يحكم عليه، مع كونه مخلوقاً، فإنه بين بين، وهو مقام بين هذين، فما هو أحدهما، بل هو مجموع الإثنين، فله العز الشامخ، والمجد الباذخ، والمقام الراسخ، وهو عندنا ليست له ذات قائمة، فإنك إذا أدركت الخيال وكنت عاقلاً، تعلم أنك أدركت شيئاً وجودياً وقع بصرك عليه، وتعلم قطعاً بدليل، أنه ما ثَمَّ شيء رأساً وأصلاً، فهو معقول في نفسه، فما هو هذا الذي أثبت له شيئية وجودية، ونفيتها عنه في حال إثباتك إياها؟ فالخيال لا موجود ولا معدوم، ولا معلوم ولا مجهول، ولا منفي ولا مثبت، كما يدرك الإنسان صورته في المرآة، يعلم قطعاً أنه أدرك صورته بوجه، ويعلم قطعاً أنه ما أدرك صورته بوجه، لما يرى فيها من الدقة إذا كان جرم المرآة صغيراً، ويعلم أن صورته أكبر من التي رأى بها لا يتقارب، وإذا كان جرم المرآة كبيراً فيرى صورته في غاية الكبر، ويقطع أن صورته أصغر من التي رأى، فلا يقدر أن ينكر أنه رأى صورته، ويعلم أنه ليس في المرآة صورته، ولا هي بينه وبين المرآة[1]، فالصورة في المرآة جسد برزخي، كالصورة التي يراها النائم إذا وافقت الصورة الخارجية، وكذلك الميت والمكاشف، وصورة المرآة أصدق ما يعطيه البرزخ، إذا كانت المرآة على شكل خاص ومقدار جرم خاص، فإن لم تكن كذلك، لم تصدق في كل ما تعطيه، بل تصدق في البعض، فالجسم الصقيل أحد الأمور التي تعطي

(١) يعني الشيخ بالصغر والكبر المرايا المحدبة والمقعرة.

صور البرزخ، ولهذا لا تتعلق الرؤية فيها إلا بالمحسوسات، فإن الخيال لا يمسك إلا ما له صورة محسوسة، أو مركب من أجزاء محسوسة تركبها القوة المصورة، فتعطي صورة لم يكن لها في الحس وجود أصلاً، لكن أجزاء ما تركبت منه محسوسة لهذا الرائي بلا شك، والرائي ليس بصادق ولا كاذب في قوله، إنه رأى صورته ما رأى صورته، فما تلك الصورة المرئية، وأين محلها وما شأنها؟ فهي منفية ثابتة، موجودة معدومة، معلومة مجهولة، أظهر الله سبحانه هذه الحقيقة لعبده ضرب مثال، ليعلم ويتحقق أنه إذا عجز وحار في درك حقيقة هذا، وهو من العالم، ولم يحصل عنده علم بحقيقة هذا، فهو بخالقها أعجز وأجهل وأشد حيرة.

(ف ح٣/ ٣٦١ ـ ح٤/ ٣٣٧ ـ ح١/ ٣٠٤، ١٠٠، ٣٠٤، ١٦٣، ٣٠٤)

الخيال له الحكم في جميع الحضرات الوجودية:

إن الخيـال هو الـذي يتحكم	في أصله وهـو المزاج الأقـدم
فتراه يحكم في المزاج وفي النهى	من نفسـه فهـو الإمام الأعظم
يقضي[1] على سر الوجود بحاله	مَنْ جَسَّم المعنى فذاك الأحكم
ويَحُـدُّ مَنْ لا يعـتريـه تحيـز	بتحـيـز [2] وتـيـقن يتـوهم
ويقسم الأمـر الـذي ما فيـه تقـسـيم	ويمضي ما يشـاء ويحكم

(ديوان/ ٤٣١)

. ما أوسع حضرة الخيال، فيها يظهر وجود المحال، بل لا يظهر فيها على التحقيق إلا وجود المحال[3]، فإن الواجب الوجود وهو الله تعالى لا يقبل الصور، وقد ظهر بالصورة في هذه الحضرة، فقد قَبِلَ المُحَالُ الوجودِ الوجودَ في هذه الحضرة، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، وفي هذه الحضرة يرى الجسم في مكـانين، كما رأى آدم نفسه خارجاً عن قبضة الحق، فلما بسط الحق يده فإذا فيها آدم وذريته ـ الحديث ـ فهو في القبضة، وهو عينه خارج عن القبضة، فلا تقبل هذه الحضرة إلا وجود المحالات، وكذلك الإنسان

(١) يحكم.

(٢) في الأصل «بتحير»

(٣) يعني الشيخ هنا المحال العقلي لا الوجودي.

في بيته نائم، ويرى نفسه على صورته المعهودة في مدينة أخرى، وعلى حالة أخرى تخالف حاله الذي هو عليها، وهو عينه لا غيره، فيرى الإنسان نفسه في المنام ـ وهو عين واحدة ـ في أماكن متعددة، والعقول تحيل أن يكون الجسم في مكانين، والخيال قد حكم به، فإذا كان المخلوق في قوته الإمكان، فيما أحاله دليل عقل الإنسان، فما ظنك بخالق هذا المخلوق وهو الواحد الحق؟ ومن هذا الباب مشاهدة المقتول في سبيل الله في المعركة، وهو في نفس الأمر حي يرزق ويأكل، يدركه المؤمن بإيمانه، والمكاشف ببصره، وكالميت في قبره، يشاهده ساكناً وهو متكلم يُسأل ويجيب[1]، فإن قلت لمن يرى هذا إنه خيل له، يقول لك: بل أنت خيل لك أنه ساكت وهو متكلم، وخيل لك أنه مضطجع وهو قاعد، ويعضده في قوله الإيمان بالخبر الصحيح الوارد، فهو أقوى في الدلالة منك، فعينه أتم نظراً من عينك، والكامل النظر الذي هو أكمل من الاثنين، يقول لكل واحد منهما: صدقت، هو ساكت متكلم، مضطجع قاعد، مقتول حي، وكل صورة مشهوده فيه من الباب الذي ذكرناه، ومن ذلك الصورة في المرآة وكل جسم صقيل، إن كان الجسم الصقيل كبيراً كبرت الصورة المرئية فيه، ثم إذا نظرت إلى الصورة من خارج، وجدتها غير متنوعة فيما ظهر فيها من التنوع بتنوع المرائي، حتى في تموج الماء تظهر الصورة متموجة، وكل عين ـ أي كل نظرة ـ تقول للأخرى: إنها في مقام الخيال، وإن الحق بيدها، وتصدق كل نظرة منها، فتعلم قطعاً أن الصورة المرئية في المرائي والأجسام الصقيلة، إنما ظهورها في الخيال كرؤية النائم وتشكل الروحاني سواء، وأنها ليست في المرآة ولا في الحس، فإنها تخالف صورة الحس، من حيث تعلقه الخاص به دون المرآة، وليس في الوجود في الغيب والشهادة إلا ما ذكرناه، فثبت بذلك أن الحكم للخيال بكل وجه وعلى كل حال، في المحسوس والمعقول والحواس والعقول، وفي الصور والمعاني، وفي المُحْدَث وفي القديم، وفي المحال وفي الممكن وفي الواجب، فإن الله سلّطه على المعاني يكسوها مواد يظهر فيها، لا يتمكن لمعنى يمنع نفسه منه، فحاز الخيال درجة الحس والمعنى، فلَطّف المحسوس، وكثّف المعنى، فكان له الاقتدار التام.

(ف ح٢/ ٣١٢ ـ ح٤/ ٣٦٠ ـ ح٢/ ٣١٢، ٣١٣ ـ ح٣/ ٢٣٢، ٤٥١)

---

(١) إشارة إلى سؤال الملكين في القبر.

ومن لا يعرف مرتبة الخيال فلا معرفة له جملة واحدة، وهذا الركن من المعرفة إذا لم يحصل للعارفين، فيا عندهم من المعرفة رائحة، فمن العلم الذي يختص به أهل الله تعالى، معرفة الكشف الخيالي، ثم إنه مما يؤيد ما ذكرناه، أنك لا تشك أنك مدرك لما أدركته أنه حق محسوس، لما تعلق به الحس، وأن الحديث الوارد عن النبي ﷺ في قوله «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» فنبه أن ما أدركتموه في هذه الدار مثل إدراك النائم، بل هو إدراك النائم في النوم، وهو خيال، ولا تشك أن الناس في برزخ بين هذه الدار والدار الآخرة، وهو مقام الخيال، فانتباهك بالموت، هو كمن يرى أنه استيقظ في النوم في حال نومه، فيقول في النوم: رأيت كذا وكذا، وهو يظن أنه قد استيقظ، ثم إذا بعث في النشأة الآخرة، يقول المبعوث ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ فكأن كونه في مدة موته كالنائم في حال نومه، مع كون الشارع سماه يقظة، وهكذا كل حال تكون فيه، لابد لك من الانتقال عنه، وتبقى مثل ما كنت عليه في خيالك المتصل، وفي قوة كونه على الحقيقة في الخيال المنفصل، قال تعالى ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ أبان الله لنا فيما ذكره في هذه الآية، أن الذي كنا نظنه حقيقة محسوسة، إنما هي متخيلة يراها رأي العين، والأمر في نفسه على خلاف ما تشهده العين، وهذا سار في جميع القوى الجسمانية والروحانية، وحقيقة الخيال التبدل في كل حال، والظهور في كل صورة، والحقائق لا تتبدل، فكل ما سوى ذات الحق فهو في مقام الاستحالة السريعة والبطيئة، وهو خيال حائل وظل زائل، فلا يبقى كون في الدنيا والآخرة وما بينهما، ولا روح ولا نفس، ولا شيء مما سوى الله ـ أعني ذات الحق ـ على حالة واحدة، بل يتبدل من صورة إلى صورة دائماً أبداً، وليس الخيال إلا هذا، فهذا هو عين معقولية الخيال، فالعالم ما ظهر إلا في خيال، فهو متخيل لنفسه، وهو كله في صور مُثُلٍ منصوبة، فالحضرة الوجودية إنما هي حضرة الخيال، والوجود المُحْدَث خيال منصوب، ثم تقسم ما تراه من الصور إلى محسوس ومتخيل، والكل متخيل، وهذا لا قائل به إلا من أُشْهِدَ هذا المشهد، والشهود عناية من الله، أعطاها إيانا نور الإيمان، الذي أنار الله به بصائرنا، ومن علم ما قررناه، عَلِمَ عِلْمَ الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، وعلم أن العالم بأسره ـ لا

بل الموجودات ـ هم عمار تلك الأرض، وما خلص منها إلا الحق تعالى، خالقها ومنشيها من حيث هويته، إذ كان له الوجود ولا هي.

(ف ح٢/ ٣١٣ ـ ح١/ ٤١ ـ ح٢/ ٢١٣ ـ ح٣/ ٥٢٥ ـ ح٢/ ٢١٣ ـ ح١/ ١١٦ ـ ح٣/ ٥٢٥)

توجه الاسم الإلهي القوي على إيجاد الخيال:

ما أوجد الله أعظم من الخيال منزلة ولا أعَمّ حكماً، يسري حكمه في جميع الموجودات والمعدومات، من محال وغيره، فليس للقدرة الإلهية فيما أوجدته أعظم وجوداً من الخيال، فيه ظهرت القدرة الإلهية والاقتدار الإلهي، وهو حضرة المجلى الإلهي في القيامة وفي الاعتقادات، فهو أعظم شعائر الله على الله، فمن أسرار الاسم الإلهي القوي، أن خَلَق عالم الخيال ليظهر فيه الجمع بين الأضداد، لأن الحس والعقل يمتنع عندهما الجمع بين الضدين، والخيال لا يمتنع عنده ذلك، فما ظهر سلطان القوي ولا قوته، إلا في خلق القوة المتخيلة وعالم الخيال، فإنه أقرب في الدلالة على الحق، فإن الحق هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فما حاز الصورة على الحقيقة إلا الخيال، وهذا ما لا يسع أحداً إنكاره، فإنه يجده في نفسه، ويبصره في منامه، فيرى ما هو محال الوجود موجوداً.

(ف ح٣/ ٥٠٨ ـ ح٤/ ٣٢٥)

واعلم أن في حضرة الخيال في الدنيا، يكون الحق محل تكوين العبد، فلا يخطر له خاطر في أمر ما، إلا والحق يكوّنه في هذه الحضرة، كتكوينه أعيان الممكنات إذا شاء ما يشاء منها، فمشيئة العبد في هذه الحضرة من مشيئة الحق، فإن العبد ما يشاء إلا أن يشاء الله، فما شاء الحق إلا أن يشاء العبد في الدنيا، ويقع بعض ما يشاء العبد في الدنيا في الحس، وأما في الخيال فكمشيئة الحق في النفوذ، فالحق مع العبد في هذه الحضرة على كل ما يشاؤه العبد، كما هو في الآخرة في عموم حكم المشيئة، لأن باطن الإنسان هو ظاهره في الآخرة، فلذلك يتكون عن مشيئته كل شيء إذا اشتهاه، فالحق في تصريف الإنسان في هذه الحضرة في الدنيا، وفي شهوته في الآخرة، لا في الدنيا حساً، فالحق تابع في هذه الحضرة وفي الآخرة

لشهوة العبد، كما هو العبد في مشيئته تحت مشيئة الحق، فما للحق شأن إلا مراقبة العبد، ليوجد له جميع ما يريد إيجاده في هذه الحضرة في الدنيا، وكذلك في الآخرة، والعبد تبع للحق في صور التجلي، فما يتجلى الحق له في صورة إلا انصبغ بها، فهو يتحول في الصور لتحول الحق، والحق يتحول في الإيجاد لتحول مشيئة العبد، في هذه الحضرة الخيالية في الدنيا خاصة، وفي الآخرة في الجنة عموماً، لأن الإنسان في الآخرة يتنوع ظاهره، كما كان يتنوع باطنه في الدنيا، في الصور التي يكون فيها التجلي الإلهي، فينصبغ بها انصباغاً، فذلك هو التضاهي الإلهي الخيالي، غير أنه في الآخرة ظاهر وفي الدنيا باطن، فحكم الخيال مستصحب للإنسان في الآخرة، وذلك هو المعبر عنه بالشأن الذي هو فيه الحق من قوله ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فلم يزل ولا يزال، فإن من حُكْم نشأةِ الآخرةِ القوةَ التي لا ضعف يعقبها، فيتكون عن أهل السعادة حساً، ما يتكون هنا في الدار الدنيا في خيالهم معنى، وقد يكون في متعلق خاص حساً قدرةً عليه، كمن يريد أن يقوم فيقوم، ويريد أن يكتب فيكتب، وأما ما لا قدرة له، ولا قوة له عليه أن يكون منه في الحس، فإنه يقوى على إيجاده خيالاً في نفسه، فإن الروح الواحد يدبر أجساماً متعددة، إذا كان له الاقتدار على ذلك، ويكون ذلك في الدنيا للولي بخرق العادة، وفي الآخرة نشأة الإنسان تعطي ذلك، كما يدبر الروح الواحد سائر أعضاء البدن، من يد ورجل وسمع وبصر وغير ذلك، وكما تؤاخذ النفس بأفعال الجوارح على ما يقع منها، كذلك الأجساد الكثيرة التي يدبرها روح واحد، أي شيء وقع منها يسأل عنه ذلك الروح الواحد، وإن كان ما يقع من هذا الجسم من الفعل مثل ما يقع من الجسم الآخر، فيكون ما يلزمه من المؤاخذة على فعل أحد الجسمين يلزمه على فعل الآخر، وكل ما يكون في الآخرة محسوساً، وإن كان في قضية العقل محالاً، فما استحال وجوده في الخيال، كذلك لا يستحيل وقوعه حساً، لأن الخيال على الحقيقة إنما هو حضرة من حضرات الحس، ولهذا يُلحِق المحال محسوساً، فيكون في الآخرة أو حيث أراد الله محسوساً، ولهذا كان في الآخرة لا في الأولى، فإن الخيال في الدرجة الأخيرة من الحس، فإنه عن الحس يأخذ ما يكسوه من الصور للمحال وغيره، فلهذا حيث كان لا يكون إلا في الآخرة، وأي قوة أعظم قوةً ممن يلحق المحال الوجود بالموجود المحسوس، حتى تراه

الأبصار، كوجود الجسم في مكانين، فكما تتخيله هنا كذلك يقع في الآخرة حساً سواء.
(ف ح٣/ ٥٠٩، ٤٧٠ ـ ح٤/ ٢٨٢ ـ ح١/ ٦٢١ ـ ح٤/ ٢٨٢)

خلق الخيال:

عالم الخيال المنفصل ـ أرض الحقيقة ـ مسرح عيون العارفين.قلنا: إن الله تعالى خلق خلقاً، إن قلت فيه موجودٌ صدقت، وإن قلت فيه معدومٌ صدقت، وإن قلت فيه لا موجود ولا معدوم صدقت، وهو الخيال، وهو حضرة وجودية صحيحة، وهو حضرة الخيال الصحيح الذي لا يدخله ريب، والمتخيلات فيه موصوفة بالوجود، ذات صور جسدية تلبسها المعاني والأرواح، فإنه قد بقي بعد خلق آدم عليه السلام فضلة من خميرة طينته، قدر السمسمة في الخفاء، فمَدَّ الله في تلك الفضلة أرضاً واسعة الفضاء، إذا جعل العرش وما حواه، والكرسي والسموات والأرضين وما تحت الثرى، والجنات كلها والنار، في هذه الارض، كان الجميع فيها كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض، وفيها من العجائب والغرائب ما لا يقدر قدره، ويبهر العقول أمره، وفي كل نَفَسٍ خلق الله فيها عوالم، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وفي هذه الأرض ظهرت عظمة الله، وعظمت عند المشاهد لها قدرته، وكثير من المحالات العقلية ـ التي قام الدليل الصحيح العقلي على إحالتها ـ هي موجودة في هذه الأرض، وهي مسرح عيون العارفين العلماء بالله وفيها يجولون، وخلق الله من جملة عوالمها عالماً على صورنا، إذا أبصرهم العارف يشاهد نفسه فيها[1]، ويقع للعارفين فيها تجليات إلهية، ومن خاصية هذه الأرض، أن صاحب الكشف العارف إذا وقع له تجل فيها، لم يفنه هذا التجلي عن شهوده، ولا اختطفه عن وجوده، وجمع له بين الرؤية والكلام، فإن التجليات الواردة على قلوب العارفين في هذه الدار، في هذه الهياكل، تأخذهم عنهم، وتفنيهم عن شهودهم، وكل ما أحاله العقل بدليله عندنا، كإيراد الكبير على الصغير، فهو في هذه الأرض ممكن وقد وقع، فإن الله على كل شيء قدير، وفيها يعلم أن العقول قاصرة،

(١) أشار إلى مثل ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، فيما روي عنه في حديث هذه الكعبة، وأنها بيت واحد من أربعة عشر بيتاً، وأن في كل أرض من السبع الأرضين خلقاً مثلنا، حتى إن فيهم ابن عباس مثلي ـ وصحت هذه الرواية عند أهل الكشف.

وأن الله قادر على جمع الضدين، ووجود الجسم في مكانين، وقيام العرض بنفسه، وانتقاله، وقيام المعنى بالمعنى، وكل حديث وآية وردت عندنا، مما صرفها العقل عن ظاهرها، توجد على ظاهرها في هذه الأرض، وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن، وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم، فمن أجساد هذه الأرض، ولها من هذه الأرض موضع مخصوص، ولهم رقائق ممتدة إلى جميع العالم، وعلى كل رقيقة أمين، فإذا عاين ذلك الأمين روحاً من الأرواح، قد استعد لصورة من هذه الصور التي بيده، كساها إياها، كصورة دحية لجبريل، وسبب ذلك، أن هذه الأرض التي قد مدها الحق تعالى في البرزخ، وعَيَّنَ منها موضعاً لهذه الأجساد التي تلبسها الروحانيات، وتنتقل إليها النفوس عند النوم وبعد الموت، فنحن من بعض عالمها، فإن الموت بين النشأتين الدنيا والآخرة حالة برزخية، تعمر الأرواح فيها أجساداً برزخية خيالية، مثل ما أعمرتها في النوم، وهي أجساد متولدة عن هذه الأجسام، فإن الخيال قوة من قواها، فما برحت أرواحها منها أو مما كان منها، فإذا قبض الله سبحانه الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية - حيث كانت - والعنصرية، أودعها صوراً جسدية في الحضرة البرزخية، التي هي الصُور، ومن الصُوَر هنالك ما هي مقيدة عن التصرف، ومنها ما هي مطلقة، كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء[1]، ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار، ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه، وهو الذي تصدق رؤياه. (ف ج٣/ ٤٤٢ - ج٢/ ٥٣٦ - ج١/ ١٢٦ - ج٣/ ٢٥٠ - ج١/ ٣٠٧)

ومن رجال الله من ينفس الرحمن عنه بمشاهدة هذا العالم، يستصحبه ذلك دائماً، كما يستصحب الرؤيا النائم، فيخاطِب ويخاطَب، ولا يزال في صور دائماً، في لذة وفي نكاح إن جاءته شهوة جماع، ولا تكليف عليه ما دام في تلك الحال، لغيبته عن إحساسه في الشاهد، فينكح ويلتذ، ويولد له في عالم الخيال أولاد، فمنهم من يبقى له ذلك في عالمه، ومنهم من يخرج ولده إلى عالم الشهادة، وهو خيال على أصله مشهود للحس، وهذا من

(١) الإطلاق هنا يقصد به ما يشاهد من الأموات بعد انتقالهم يقظة، مثل صلاة الرسول ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس، واجتماعه بهم في معراجه، ورؤيته لموسى عليه السلام يصلي في قبره، ورؤيته ليونس عليه السلام يلبي على ناقته - وليس هذا مقصوراً على الأنبياء، بل يتعدى إلى غيرهم من عباد الله تعالى.

الأسرار الإلهية العجيبة، ولا يحصل ذلك إلا للأكابر من الرجال، كما حصل للجوهري، ذكر عن نفسه أنه خرج بالعجين من بيته إلى الفرن، وكانت عليه جنابة، فجاء إلى شط النيل ليغتسل، فرأى وهو في الماء مثل ما يرى النائم، كأنه في بغداد، وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين، وأولدها أولاداً، ثم رد إلى نفسه وهو في الماء، ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه، وجاء إلى الفرن وأخذ الخبز، وجاء إلى بيته وأخبر أهله بما أبصره في واقعته، فلما كان بعد أشهر، جاءت تلك المرأة التي رأى أنه تزوجها في الواقعة تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها وعرف الأولاد وما أنكرهم، وقيل لها: متى تزوج؟ فقالت: منذ ست سنين، وهؤلاء أولاده مني، فخرج في الحس ما وقع في الخيال، وهذه من مسائل ذي النون المصري الستة التي تحيلها العقول. (ف ح١/ ٢٧٤)

وكل إنسان ذي خيال وتخيل إذا تخيل أمراً ما، فإن نظره يمتد إلى هذا البرزخ، لا يدري أنه ناظر ذلك في هذه الأرض، وفي هذه الحضرة التي يعمرها العالَم الذي لا يتناهى، وما له طرف يُنْتَهى إليه، وهو العامر الذي عمر الأرض التي خلقت من بقية خميرة طينة آدم عليه السلام، عمارة الصورة للرائي في الجسم الصقيل عمارة إفاضة، ومن هذه الأرض طرف يدخل في الجنة يسمى السوق. (ف ح٣/ ٤٦ - ح١/ ١٢٦).

الخيال أحق الموجودات باسم الإنسان الكامل:

إن خيال الكون أوسع حضرة	من العقل والإحساس بالبذل والفضل
له حضرة الأشكال في الشكل فاعتبر	تراه يَرُدُّ الكل في قبضة الشكل
فإن قلت كل فهو جزء معينٌ	وإن قلت جزء قلم للكل بالكل
فما ثَمَّ مثل غيره متحقق	بموجده فهو الممثل للمثل
فملمسي به أحلى إذا ما طعمته	وأشهى إلى أذواقنا من جنى النحل

للخيال الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه، كما أن الحق له الإيجاد على الاطلاق ما عدا نفسهَ تعالى، فالخيال موجد لله عز وجل في حضرة الوجود الخيالي، والحق موجد للخيال في حضرة الانفعال الممثل، وإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه، فهو

على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل، فإنه ما ثَمَّ على الصورة الحقية مثله، فإنه يوجد في نفسه كل معلوم، والحق نسبة الموجودات إليه مثل هذه النسبة، فمع كون الخيال من الموجودات الحادثة، إلا أن له هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قَبِلَ شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه، علمت أنه في غاية الوصلة.

(ف ح٣/ ٢٩٠)

تجلي الحق في الحضرة الخيالية

الخيال من جملة ما خلق الله، وهو رحم يصور الله فيه ما يشاء، فظهر لنا سبحانه فيه بأسمائه وصفاته صوراً، فإن المواطن تحكم بنفسها في كل ما ظهر فيها، فمن مر على موطن انصبغ به، والدليل الواضح في ذلك رؤيتك الله تعالى في النوم، وهو موطن الخيال، فلا ترى الحق فيه إلا صورة جسدية، كانت تلك الصورة ما كانت، فهذا حكم الموطن، قد حكم عليك في الحق أنـك لا تراه إلا هكذا، كما أنك إذا دخلت موطن النظر العقلي، وخرجت عن خزانة الخيال وموطنه، لا تدرك الحق تعالى إلا منزهاً عن الصورة التي أدركته فيها في موطن الخيال، والحكم على الله أبداً بحسب الصورة التي يتجلى فيها، فما يصح لتلك الصورة من الصفة التي تقبلها، فإن الحق يوصف بها ويصف بها نفسه، وهذا في العموم، إذا رأى الحقّ أحد في المنام في صورة ـ أي صورة كانت ـ حمل عليه ما تستلزمه تلك الصورة التي رآه فيها من الصفات، وهذا ما لا ينكره أحد في النوم، ومن رجال الله من يدرك تلك الصورة في حال اليقظة، ولكن هي في الحضرة الخيالية التي يراه فيها النائم لا غير، وهذه المرتبة يجتمع فيها الأنبياء والأولياء رضي الله عنهم، فما ظهرت صورة في جوهر العالم إلا ظهرت بجميع أحكامها، سواء كانت الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكامها تتبعها، كما قال الأعرابي لما سمع رسول الله ﷺ يصف الحق جل جلاله بالضحك، قال: لا نعدم خيراً من رب يضحك؛ إذ من شأن من يضحك أن يتوقع منه وجود الخير، فكما أتبع الصورة الضحك، أتبعها وجود الخير منها، وهذا في الجناب الإلهي، فكيف في جوهر العالم؟

(ف ح٣/ ٥٠٧، ٥٣٨ ـ ح٤/ ١٠٨، ٢٠٠ ـ ح٣/ ٤٥٢)

واعلم أن للحق سبحانه في القلوب تجليين، التجلي الأول في الكثائف، وهو تجليه في الصور التي تدركها الأبصار والخيال، مثل رؤية الحق في النوم، ويعرف أنه الحق، ولا يشك الرائي، وكذلك في الكشف، ويقول له عابر الرؤيا: حقاً رأيت، وهو في الخيال المتصل، فيظهر تجلي الحق في الصور التي ينكر فيها، أو يُرَى في النوم، فيُرَى الحق في صورة الخلق بسبب حضرة الخيال، فإن صاحب الرؤيا إذا رأى ربه تعالى كفاحاً في منامه ـ في أي صورة يراه ـ فيقول: رأيت ربي في صورة كذا وكذا، ويصدق، مع قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ فنفى عنه المماثلة في قبوله التجلي في الصور كلها، التي لا نهاية لها لنفسه، فإن كل ما سواه تعالى ممن له التجلي في الصور، لا يتجلى لشيء منها لنفسه، وإنما يتجلى فيها بمشيئة خالقه وتكوينه، فيقول للصورة التي يتجلى فيها من هذه صفته: كن، فتكون الصورة، فيظهر بها من له هذا القبول من المخلوقين، كالأرواح والمتروحنين من الأناسي، كقضيب البان كان له مقام التحول في الصور، كما للروحانيين التشكل في صور بني آدم، فلا يعرف أنه مَلَك، يقول الله تعالى ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ فجعل التركيب لله لا له، وفي نسبة الصورة لله يقال: في أي صورة شاء ظهر، من غير جعل جاعل، والتجلي الآخر في حال التخيل في عبادتك، فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، وقد صح عنه أنه قال لجبريل عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه» فهذا تنزيل خيالي، فأدخل سبحانه نفسه في التخيل من أجل كاف التشبيه، فإن الإحسان عيان وفي منزلة كأنه عيان[1]، وهو إنزال المعنى الروحاني إلى المحسوس في العيان، وليس إلا الخيال، الحاكم بالوجوب والوجود في الممكن والمحال، فجاء بكأن، ولذلك قال ﷺ للصحابي الذي قال: «كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً» فقال له ﷺ: «عرفت فالزم» وهذا التجلي الآخر، ألطف من تجلي الحس بما لا يتقارب، ولهذا يسرع إليه التقلب من حال إلى حال.

(ف ح١/ ٣٨٣، ٣٨٤ ـ ح٢/ ٣١٢، ٤٧٢ ـ ح٤/ ١٩ ـ ح١/ ١٨٢ ـ ح٤/ ١٩ ـ ح٢/ ١٢٤ ـ ح٤/ ٣٦٠ ـ ح١/ ٣٨٤)

---

(١) الإحسان إحسانان: الأعلى وهو قوله ﷺ «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» فهذا إحسان عيان، والثاني قوله ﷺ «اعبد الله كأنك تراه» فهو إحسان كأنه عيان.

هذا يتخيل من لا معرفة له بما ينبغي لجلال الله ويتصوره، فإن الشرع قد جاء في أماكن يقرر ما ضبطه الخيال المتصل، من كينونة الحق في قبلة المصلي، وفي مواجهة المصلي إياه، فقبله الخيال المتصل، فإذا تحكم الخيال المتصل على الحق بتصوره، فما ظنك بالخيال المطلق، الذي هو كينونة الحق فيه، وهو العماء، والخيال المتصل من بعض وجوه الخيال المطلق، الذي هو الحضرة الجامعة والمرتبة الشاملة، فمن تلك القوة ضبطه الخيال المتصل، وفي حضرة الخيال المطلق المنفصل لابد أن يتخيل المحتَضَر ما يعتقده، فإنه ليس في قوته أن يجرده عن الخيال وهو عند الاحتضار، فللاحتضار حال استشراف على حضرة الخيال الصحيح، ما هو الخيال الذي هو قوة في الإنسان في مقدم دماغه"[1]. (ف ح٢/ ٣١٠، ٢٩٦)

ولما لم يكن له تعالى ظهور إلى خلقه إلا في صورة، وصوره مختلفة في كل تجلٍ، لا تتكرر صورة، فإنه سبحانه لا يتجلى في صورة مرتين، ولا في صورة واحدة لشخصين، ولما كان الأمر كذلك، لم ينضبط للعقل ولا للعين ما هو الأمر عليه، ولا يمكن للعقل تقييده بصورة ما من تلك الصور، فإنه ينتقض له ذلك التقييد في التجلي الآخر بالصورة الأخرى، وهو الله في ذلك كله، لا يشك ولا يرتاب إلا إذا تجلى له في غير معتقَده، فإنه يتعوذ منه كما ورد في صحيح الأخبار، فيعلم أن ثَمَّ في نفس الأمر عيناً تقبل الظهور في هذه الصور المختلفة، لا يعرف لها ماهية أصلاً ولا كيفية، وإذا حكم بكيفية، فيقول: الكيفية ظهورها فيما شاء من الصور، فتكون الصور مشاءة، وكل مشاء معدوم بلا شك، فما ظهر لك إلا حادث في عين قديم، فما رأيت إلا حادثاً مثلك، لأنك ما رأيت إلا صورة يقيدها نظرك ببصر هو الحق، في عين هو الحق، أعني في العين التي ظهرت في تلك الصورة، فهو مُدْرَكٌ

(١) في حديث أبي سعيد الخدري أخرجه الشيخان مطولاً، وفيه عن الحشر يوم القيامة «حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها.. فيقول: أنا ربكم: فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً، مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون نعم..» الحديث ـ فهذه الآية هي الصورة التي يضبطها المحتضر.

عيناً في الآخرة والنوم علماً وشرعاً، وغير مدرك علماً[1]، ولا نشك ـ إيماناً وكشفاً لا عقلاً ـ أن بهويته أدرك المدرِك جميع ما يدرك[2]. (ف ح٤/ ١٩)

الخيال هو الواسع الضيق:

لما كان الخيال يصور من يستحيل عليه بالدليل العقلي الصورة والتصور، لهذا كان واسعاً، قال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه» «والله في قبلة المصلي» أي تخيله في قبلتك وأنت تواجهه، لتراقبه وتستحي منه وتلزم الأدب معه، وأما ما في الخيال من الضيق، فإنه ليس في وسع الخيال أن يقبل أمراً من الأمور الحسية والمعنوية، والنسب والإضافة، وجلال الله وذاته، إلا بالصورة، ولو رام أن يدرك شيئاً من غير صورة لم تعط حقيقته ذلك، فمن هنا هو ضيق في غاية الضيق، فإنه لا يجرد المعاني عن المواد أصلاً، ولهذا كان الحس أقرب شيء إليه، فإنه من الحس أخذ الصور، وفي الصور الحسية يجلي المعاني، فهذا من ضيقه، فالخيال أوسع المعلومات، ومع هذه السعة العظيمة التي يحكم بها على كل شيء، عجز أن يقبل المعاني مجردة عن المواد كما هي في ذاتها، فيرى العلم في صورة لبن أو عسل، ويرى الإسلام في صورة قبة وعمد، ويرى القرآن في صورة سمن وعسل، ويرى الدين في صورة قيد، ويرى الحق في صورة إنسان، وفي صورة نور، فهو الواسع الضيق. (ف ح١/ ٣٠٦)

الأجسام والأجساد:

اعلم أن كل منظور إليه بالبصر من الأجسام جسم، فالجسمية حكم عام، ونرى فيها صوراً مختلفة، منها ما يكون سريع الزوال، ومنها ما يبطيء في النظر، والجسم جسم لم يتبدل، وليس الموصوف بما ظهر إلا الجسم، وكذلك الصور الروحانية والتجلي الإلهي، وهذا علم فيه إشكال عظيم، والتخلص منه بطريق الفكر عسير جداً، والجسماني ما هو الجسم، وإنما هو ما لا تظهر له عين إلا بقيامه بالجسم أو الجوهر، وهو ما يقوم به من الصفات التي محلها الأجسام، وكذلك الروح والروحاني، وأما الجسد[3] فهو كل روح أو معنى ظهر في صورة جسم نوري أو عنصري حتى يشهده السوا.

---

(١) بما هو عليه في نفسه من قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾.

(٢) من قوله تعالى في الحديث القدسي «كنت بصره الذي يبصر به».

(٣) قال تعالى: ﴿وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾.

والفرقان بين الأجسام والأجساد، أن الأجسام هي هذه المعروفة في العموم، لطيفها وشفافها وكثيفها، ما يُرَى منها وما لا يُرَى، والأجساد هي ما يظهر فيها الأرواح في اليقظة الممثلةُ في صور الأجسام، وما يدركه النائم في نومه من الصور المشبهة بالأجسام فيما يعطيه الحس، وهي في نفسها ليست بالأجسام، ولما أراد الله بقاء الأرواح على ما قبلته من التمييز، خلق لها أجساداً برزخية، تميزت فيها هذه الأرواح عند انتقالها عن هذه الأجسام الدنياوية، في النوم وبعد الموت، وخلق لها في الآخرة أجساماً طبيعية، كما جعل لها في الدنيا ذلك، غير أن المزاج مختلف، فنقلها عن جسد البرزخ إلى أجسام نشأة الآخرة، فتميزت أيضاً بحكم تميز صور أجسامها، ثم لا تزال كذلك أبد الآبدين، فلا ترجع إلى الحال الأول من الوحدة العينية أبداً، وهو قوله تعالى ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾. (ف ح٣/ ١٨٦، ١٨٨)

فما ظهرت قدرة الحي القيوم إلا في إنشاء الجسوم، وما ثَمَّ إلا رسم، فما ثَمَّ إلا جسم، لكن الأجسام، مختلفة النظام، فمنها الأرواح اللطائف، ومنها الأشباح الكثائف، والصفات والأعراض توابع، لهذا الجسم الجامع، فإنه مركّب، والمُرَكّبُ مُركّب، فإن كل مخلوق لابد له من صورة وروح مدبر لهذه الصورة، والصورة التي جعلها الله تنقسم قسمين: صورة جسمية عنصرية تتضمن صورة جسدية خيالية، والقسم الآخر صورة جسمية نورية، وهو صورة أجسام الملائكة، ولما أكمل الله تعالى هذه الصور النورية والعنصرية، بلا أرواح تكون غيباً لهذه الصور، تجلى لكل صنف من الصور بحسب ما هي عليه، فتكون عن الصور وعن هذا التجلي أرواح الصور، فخلق الأرواح وأمرها بتدبير الصور، وكان تميز الأرواح بحسب قبول الصور من ذلك التجلي، وليست الصور بأبنيات لهذه الأرواح على الحقيقة، إلا أن هذه الصور لها كالمُلْك في حق الصور العنصرية، وكالمظاهر في حق الصور كلها، والأرواح المدبرة حكمها في الأجسام النورية، تشكلها في الصور خاصة، كما أن حكمها في الأجسام الحيوانية التشكل في القوة الخيالية، مع غير هذا من الأحكام، فإن الأجسام النورية لا خيال لها، بل هي عين الخيال، والصور تقلباتها عن أرواحها المدبرة لها، وكما لا يخلو خيال الإنسان عن صورة، كذلك ذات المَلَك لا تخلو عن صورة، والخيال أوسع من الأرواح في

التنوع في الصور، فإن الأرواح أقبل للتشكل في الصور من سائر العناصر، والخيال يقبل ما له صورة ويصور ما ليست له صورة.

(ف ح٤/ ٣٨٩ - ح١/ ١٤٨، ١٤٩ - ح٣/ ٢٢ - ح١/ ٢٨٥)

وقد أحدث الله الصور الجسدية الخيالية بتجل آخر بين اللطائف والصور، وتتجلى في تلك الصور الجسدية الصور النورية والنارية ظاهرة للعين، وتتجلى الصور الحسية حاملة للصور المعنوية في هذه الصور الجسدية، في النوم وبعد الموت وقبل البعث، وهو البرزخ الصوري، وهو قرن من نور، أعلاه واسع وأسفله ضيق، فإن أعلاه العماء وأسفله الأرض، وهذه الأجساد الصورية التي يظهر فيها الجن والملائكة وباطن الإنسان، وهي الظاهرة في النوم وصور سوق الجنة، وهي هذه الصور التي تعمر أرض الحقيقة، أرض السمسمة.

(ف ح١/ ١٤٩، ١٢٦)

واعلم ان الأرواح لها اللطافة، فإذا تجسدت وظهرت بصورة الأجسام كثفت في عين الناظر إليها، والملائكة لما كانوا من عالم السخافة[1] واللطف، قبلوا التشكل فيما يريدونه من الصور الحسية، فالصورة الأصلية التي ينسب إليها الروحاني، إنما هي أول صورة قبل عندما أوجده الله تعالى، ثم تختلف عليه الصور بحسب ما يريد أن يدخل فيها، والأجسام لها الكثافة، شفافها وغير شفافها، فإذا تحولت في الصور في عين الرائي أو احتجبت مع الحضور، فقد تروحنت، أي صار لها حكم الأرواح في الاستتار وتنوع الصور عليها، فالإنس يتلطف معناه بحيث يظهر في ألطف من صورة الجن، فيسري بذاته في باطن الجن سريان الجن في باطن الإنس، فيجهله الجني ويتخيل أن ذلك من حكم نفسه عليه، وهو حكم هذا الإنسي المتروحن[2]، وأما سبب كثافة الأرواح وهي من عالم اللطف، فلكونهم خلقوا من الطبيعة، وإن كانت أجسامهم نورية فمن نور الطبيعة، فلهذا قبلوا الكثافة، فظهروا بصور الأجسام الكثيفة، وأما الكثيف يرجع لطيفاً فسببه التحليل، فإن الكثائف من عالم الاستحالة، وكل ما يقبل الاستحالة يقبل الصور المختلفة والمتضادة.

(ف ح١/ ١٣٣ - ح٣/ ١٩٢)

---

(١) السخافة: هي الرقة لغة.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٧ طبعة أولى ٢١٣ طبعة ثانية.

وإذا تجلى الروح في صورة طبيعية مشى الحكم عليها، من حيث قبول تلك الصورة للظاهر والباطن، فإن الأعيان التي من حقيقتها أن لا تكون على صورة طبيعية جسدية في نفسها، إذا ظهرت لمن ظهرت له في صورة طبيعية جسدية في عالم التمثيل، كالملك يتمثل بشراً سوياً، وكـالتجلي الإلهي في الصور، فظهر جبريل في صورة أعرابي بكلامه وحركته المعتادة من تلك الصورة في الإنسان، وهي في الصورة الممثلة كما هي في الإنسان، أو هي من الصورة كما هي الصورة المتخيلة أيضاً، ويتبع تلك الصورة جميع أحكامها، من القوى القائمة بها في الإنسان، كما قام بها الكلام والحركة والكيفيات الظاهرة، فهو في الحقيقة إنسان خيالي، فإذا ذهبت تلك الصورة ذهبت أحكامها لذهابها، فما ظهرت صورة في جوهر العـالم إلا ظهـرت بجميع أحكامها، سواء كانت تلك الصورة محسوسة أو متخيلة، فإن أحكـامها تتبعها، فإذا قبل الروح الصورة الطبيعية في الأجساد المتخيلة ـ لا في الأجسام المحسـوسة التي جرت العادة بإدراكها ـ مشى الحكم عليها، فإن الأجساد المتخيلة أيضاً معتادة الإدراك، لكن ما كل من يشهدها يفرق بينها وبين الأجسام الحقيقية، ولهذا لم يعرف الصحابة جبريل حين نزل في صورة أعرابي، وما علمت أن ذلك جسد متخيل، حتى عرفهم النبي ﷺ لما قال لهم هذا جبريل، ولم يقم بنفسهم شك أنه عربي، وكذلك مريم حين تمثل لها الملك بشراً سوياً، لأنه ما كانت عندها علامة في الأرواح إذا تجسدت، وكذا إبراهيم الخليل ولـوط عليهـما السلام، وكذا يظهر الحق لعباده يوم القيامة، فيتعوذون منه لعدم معرفتهم به، فكان الحكم في الجناب الإلهي والروحاني من الصور، سواء في حق المتجلى له، من الجهل به، فلابد لمن اعتنى الله به من علامة يعرف بها تجلي الحق، من تجلي الملك، من تجلي الجان، من تجلي البشر إذا أعطوا قوة الظهور، كقضيب البان وأمثاله، فإذا كان البشر بهذه النشـأة الترابية العنصرية، له قوة التحول في الصور في عين الرائي وهو على صورته، فهذا التحول في الأرواح أقرب، وهذا من باب المعرفة في علم الخيال.

(ف ح٢/ ٣٣٤ ـ ح٣/ ٤٥٢ ـ ح٢/ ٣٣٣)

فمن ظهر في صورة كان له حكمها، بحسب ما تقرر في العرف والوضع العادي والشرعي، ألا ترى الـروح الجني إذا لبس صورة الحية، والحُكْمُ فيهـا منا القتل، قتلناه

لصورته، ولو علمنا أنه جان ما قتلناه، كما انتقل حكم الصورة في الجان، فحكمت عليه أنه حية عاملناه، فحكمنا في تلك الصورة، روينا حديثاً عن شخص من جن وفد نصيبين، الذين وفدوا على رسول ﷺ، أنه قال: قال رسول الله ﷺ لهؤلاء الوفد من الجن، لما كان لهم الظهور في أي صورة شاؤوا، فحَكَمَ عليهم أنه من تصور في غير صورته فقُتِلَ، فلا عَقْلَ فيه ولا قَوَد، فإنه من قتل حية أو عقرباً لا يقتل به ولا تؤخذ فيه دية، فمن ظهر في صورة مَنْ هذا حكمه، انسحب عليه هذا الحكم. (ف ح٢/ ٤٧٠)

والعالم الروحاني إذا تشكل وظهر في صورة حسية يقيده البصر، بحيث لا يقدر أن يخرج عن تلك الصورة، ما دام البصر ينظر إليه بالخاصية، ولكن من الإنسان، فإذا قيده ولم يبرح ناظراً إليه، وليس له موضع يتوارى فيه، أظهر له هذا الروحاني صورة جعلها عليه كالستر، ثم يخيل له مشي تلك الصورة إلى جهة مخصوصة، فيتبعها بصره، فإذا أتبعها بصره خرج الروحاني عن تقييده، فغاب عنه، وبمغيبه تزول تلك الصورة عن نظر الناظر الذي أتبعها بصره فإنها للروحاني كالنور مع السراج المنتشر في الزوايا نوره، فإذا غاب جسم السراج فُقِدَ ذلك النور، فهكذا هذه الصورة، فمن يعرف هذا ويحب تقييده، لا يتبع الصورة بصره، وهذا من الأسرار الإلهية التي لا تعرف إلا بتعريف الله، وليست الصورة غير عين الروحاني، بل هي عينه ولو كانت في ألف مكان، أو في كل مكان ومختلفة الأشكال، وإذا اتفق قتل صورة من تلك الصور وماتت في ظاهر الأمر، انتقل ذلك الروحاني من الحياة الدنيا إلى البرزخ، كما ننتقل نحن بالموت، ولا يبقى له في عالم الدنيا حديث مثلنا سواء، وتسمى تلك الصور المحسوسة التي تظهر فيها الروحانيات أجساداً. (ف ح١/ ١٣٣)

واعلم أن الأرواح المدبرة لا تتبدل تبدل الصور، لأنها لا تقبل التبديل لأحديتها، وإنما يقبل التبديل المركب من أجسام وأجساد، حساً وبرزخاً، فتتجسد الأرواح المفارقة لاجتماع أجسامها في الحياة الدنيا، المسمى موتاً، فتتجسد أرواح الأنبياء والملائكة والصالحين في صور المعاني المتجسدة في صور المحسوسات، فإذا تجلى المعنى وظهر في صورة حسية، تبعه الروح في صورة ذلك الجسد، كان ما كان، لأن الأرواح المدبرة تطلب الأجسام

طلباً ذاتياً، فحيث ما ظهر جسم أو جسد، حساً كان ذلك أو معنى تجسد، فإن الروح تلزمه أبداً، واعلم أن الروح الإنساني أوجده الله حين أوجده، مدبراً لصورة طبيعية حسية له، سواء كان في الدنيا أو في البرزخ أو في الدار الآخرة أو حيث كان، فأول صورة لبستها، الصورة التي أخذ عليه فيها الميثاق بالإقرار بربوبية الحق عليه، ثم إنه حشر من تلك الصورة إلى هذه الصورة الجسمية الدنياوية، وحبس بها في رابع شهرٍ من تكوين صورة جسده في بطن أمه إلى ساعة موته، فإذا مات حشر إلى صورة أخرى، من حين موته إلى وقت سؤاله، فإذا جاء وقت سؤاله، حشر من تلك الصورة إلى جسده الموصوف بالموت، فيحيا به، ويؤخذ بأسماع الناس وأبصارهم عن حياته بذلك الروح، إلا من خصه الله تعالى بالكشف على ذلك، من نبيٍّ أو وليٍّ من الثقلين، وأما سائر الحيوان فإنهم يشاهدون حياته وما هو فيه عيناً، ثم يحشر بعد السؤال إلى صورة أخرى في البرزخ يمسك فيها، بل تلك الصورة هي عين البرزخ، والنوم والموت في ذلك على السواء، إلى نفخة البعث، فيبعث من تلك الصورة ويحشر إلى الصورة التي كان فارقها في الدنيا، إن كان بقي عليه سؤال، فإن لم يكن من أهل ذلك الصنف، حشر إلى الصورة التي يدخل بها الجنة، والمسؤول يوم القيامة إذا فرغ من سؤاله، حُشِرَ في الصورة التي يدخل بها الجنة أو النار، وأهل النار كلهم مسؤولون، فإذا دخلوا الجنة واستقروا فيها، ثم دعوا إلى الرؤية وبادروا، حشروا في صورة لا تصلح إلا للرؤية، فإذا عادوا حشروا في صورة تصلح للجنة، وفي كل صورة ينسى صورته التي كان عليها، ويرجع حكمه إلى حكم الصورة التي انتقل إليها وحشر فيها، فإذا دخل سوق الجنة ورأى ما فيه من الصور، فأية صورة رآها واستحسنها حشر فيها، فلا يزال في الجنة دائماً يحشر من صورة إلى صورة إلى ما لا نهاية له، ليعلم بذلك الاتساع الإلهي. (ف ح١/ ٧٥٥ - ح٢/ ٦٢٧)

أثر الخيال في العلم:

نحن لا نقول: إن العلم تصور المعلوم على ما قاله صاحب النظر، وإنما العلم دَرْكُ ذات المطلوب على ما هو عليه في نفسه، فالعلوم - وأعني المعلومات - إذا ظهرت بذواتها للعلم، وأدركها العلم على ما هي عليه في ذواتها، فذلك العلم الصحيح والإدراك التام،

الذي لا شبهة فيه البتة، وسواء كان ذلك المعلوم وجوداً أو عدماً، أو نفياً أو إثباتاً، أو كثيفاً أو لطيفاً، أو رباً أو مربوباً، أو حرفاً أو معنى، أو جسماً أو روحاً، أو مركباً أو مفرداً، أو ما أنتجه التركيب، أو نسبة أو صفة أو موصوفاً، فمتى ما خرج شيء مما ذكرناه عن أن يبرز للعلم بذاته، وبرز له في غير صورته، فبرز العدم له في صورة الوجود وبالعكس، والنفي في صورة الإثبات وبالعكس، واللطيف في صورة الكثيف وبالعكس، والرب بصفة المربوب، والمربوب بصفة الرب، والمعاني في صور الأجسام، كالعلم في صورة اللبن، والثبات في الدين في صورة القيد، والإيمان في صورة العروة، والإسلام في صورة العَمَد، والأعمال في صور الأشخاص من الجمال والقبح، فذلك هو الكدر الذي يلحق بالعلم، فيحتاج من ظهر له هذا، إلى قوة إلهية تعديه من هذه الصورة إلى المعنى الذي ظهر في هذه الصورة، فيتعب، وسبب ذلك حضرة الخيال والتمثل والقوة المفكرة، وأصل ذلك هذا الجسم الطبيعي، وهو المعبر عنه بالحوض، وقعر هذا الحوض هو خزانة الخيال، وكدر ماء هذا الحوض المستقر في قعره، هو ما يخرجه الخيال والتخيل عن صورته، فيطرأ التلبيس على الناظر بما ظهر له، فما يدري أي معنى لبس هذه الصورة، فيتحير، ولا يتخلص له ذلك أبداً من نظره إلا بحكم الموافقة، وهو على غير يقين محقق فيما أصاب من ذلك إلا بإخبار من الله، ولهذا لما قام أبوبكر الصديق في هذا المقام، وسأل تعبير الرؤيا، وأمره النبي ﷺ بتعبيرها، فلما فرغ سأل النبي ﷺ فيما عبره، هل أصاب أو أخطأ؟ فقال له رسول الله ﷺ: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً؛ فما علم الصدّيق إصابته للحق في ذلك من خطئه، فلهذا قلنا إن المصيب في مثل هذا ليس على يقين فيما أصابه إذا كان عن فكر. (ف ح٤/ ٣١٥ - ح٢/ ٥٩٦)

الحوض منزل وصف الماء بالكدر	وهي العلوم التي تختص بالبشر
فالماء في العين صاف ما به كدر	والقعر يظهر ما فيه من الكدر
وعلة الرتق كون الفكر ينتجه	فاطلب من العلم ما يسمو عن الفكر
إن الخيال إذا جاءته قيدها	بالفكر في عالم الأجساد والصور
والفكر من صورها وقتاً يخلصها	لكنه غير معصوم من الضرر

(ف ح٢/ ٥٩٤)

والمدرِك والمدرَك كل واحد منهما على ضربين: مدرِكٌ يعلم وله قوة التخيل، ومدرِك يعلم وما له قوة التخيل، والمدرَك بفتح الراء على ضربين، مدرَكٌ له صورة، يعلمه بصورته من ليس له قوة التخيل ولا يتصوره، ويعلمه ويتصوره من له قوة التخيل، ومدرَكٌ ما له صورة يُعْلَمُ فقط، ولما كانت الموجودات على قسمين: قديم وحادث، والموجود أياً كان يطلق عليه الوجود في أربع مراتب، وبعض المعلومات له في الوجود الأربع المراتب: ذهني وعيني ولفظي وخطيّ، والمراد بالذهن هنا الخيال، ولكن في كل معلوم يُتَخَيَّل خاصة، وفي كل عالِم يَتَخَيل، لأنه يطابق العين في الصورة، واللفظي والخطي ليسا كذلك، فإن اللفظ والخط موضوعان للدلالة والتفهيم، فلا يتنزل من حيث الصورة على الصورة، ولذلك إذا وقعت المشاركة التي تُبْطِلُ الدلالة، افتقرنا إلى النعت والبدل وعطف البيان، ولا يدخل في الذهني مشاركة أصلاً، فما كل معلوم يُتَصَّور، ولا كل عالِم يَتَصَور، فإن التصور للعالم إنما هو من كونه متخيلاً، والصورة للمعلوم أن تكون على حالة يمسكها الخيال، وثَمَّ معلومات لا يمسكها الخيال أصلاً، فثبت أنها لا صورة لها، فيتصور العالِم المعلوم إذا كان العالِم ممن له خيال وتخيل، إلا أن الخيال له قوة وسلطان، فيعم جميع المعلومات ويحكم عليها ويجسدها، وهو من الضعف بحيث لا يستطيع أن ينقل المحسوس إلى المعنى، كما ينقل المعنى إلى الصورة الحسية، ومن ضعفه أنه لا يستقل بنفسه، فلابد أن يكون حكمه بين اثنين، بين متخيَّلٍ اسم مفعولٍ ومتخيِّلٍ اسم فاعلٍ، ولهذا ليس للخيال قوة الإبداع.

(ف ح١/ ٤٢، ٥٢٢، ٥٤، ٤٥ ـ ح٤/ ٣١٥)

والإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وأما القوة الخيالية فإنها لا تضبط إلا ما أعطاه الحس، إما على صورة ما أعطاها، وإما على صورة ما أعطاه الفكر من حمله بعض المحسوسات على بعض، وأما القوة العقلية فلا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهة، أو ما أعطاه الفكر، وكل مدرك بقوة من القوى الظاهرة والباطنة التي في الإنسان فإنه يُتَخَيل، وإذا تخيله الإنسان سكن إليه، فلا يقع السكون إلا لمتخيَّل من متخيِّل، وجميع العقائد كلها تحت هذا الحكم، وفي الخبر

الصحيح «اعبد الله كأنك تراه» فلهذا كانت عقائد، والعقائد محلها الخيال، وإن قام الدليل على أن الذي اعتقده، ليس بداخل ولا خارج، ولا يشبه شيئاً من المحدثات، فإنه لا يَسْلَم من الخيال أن يضبط أمراً، لأن نشأة الإنسان تعطي ذلك، والحكم تابع لذات الحاكم، بقبول ما يعطيه المحكوم عليه، وليس المحكوم عليه هنا إلا المتخيَّل، وهو المعتقد، فانظر ما أخفى وأقوى سريان الخيال في الإنسان، فما سَلِمَ إنسان من خيال ولا وهم، وكيف يسلم ولا خروج للعقل عن هذه الإنسانية؟! فلو انعدمت انعدم هذا الحكم، فهو يوجد ما وجدت. (فـ ح١/ ٩٤ - ح٤/ ٤٢٠)

إدراك الخيال بعين الحس وعين الخيال:

اعلم وفقك الله أنه لولا النور ما أدرك البصر شيئاً، فجعل الله الخيال نوراً، يدرك به تصوير كل شيء، أي أمر كان، فنوره ينفذ في العدم المحض فيصوره وجوداً، فالخيال أحق باسم النور من جميع المخلوقات الموصوفة بالنورية، فنوره لا يشبه الأنوار، وبه تُدْرَك التجليات، وهو نور عين الخيال لا نور عين الحس، والخيال لا يكون فاسداً قط، فمن قال بفساده فإنه لا يعرف إدراك النور الخيالي، فإن هذا القائل يخطىء الحس في بعض مدركاته، وإدراكه صحيح، والحكم لغيره لا إليه، فالحاكم أخطأ لا الحس[1]، كذلك الخيال أدرك بنوره ما أدرك، وما له حكم، وإنما الحكم لغيره وهو العقل، فلا ينسب إليه الخطأ، فما ثَمَّ خيال فاسد قط، بل هو صحيح كله، فالخيال كله حق ما فيه شيء من الباطل، والمتخيل منه حق ومنه باطل، إلا أن المعَبِّر عنه يصيب ويخطىء، بحسب ما يراه في نزوله بالمواطن، فإن المصيب من لم يتعد بالحقائق مراتبها، وإلى حضرة الخيال يصير الإنسان في نومه وبعد موته، فيرى الأعراض صوراً قائمة بنفسها، تخاطبه ويخاطبها، أجساداً لا يشك فيها، والمكاشف يرى في يقظته ما يراه النائم في حال نومه، والميت بعد موته، كما يرى في الآخرة صور الأعمال توزن مع كونها أعراضاً، ويرى الموت كبشاً أملح يذبح، والموت نسبة مفارقة عن اجتماع. (فـ ح١/ ٣٠٦ - ح٢/ ١١٣، ١٠٣ - ح٣/ ٤٥٥ - ح١/ ٣٠٤)

---

(١) العين تبصر ماءً في الصحراء، والعقل يثبت ذلك أو ينفيه بقوله إنه سراب، فالإصابة والخطأ للعقل لا للعين.

فالمكاشف يدرك ما أدركه بنور الخيال، كما يدركه النائم ورفيقه جنبه مستيقظ لا يرى شيئاً، كذلك صاحب الكشف، ولو سألت صاحب الكشف: هل ترى ظلمة في حال كشفك ليلاً؟ لقال: لا، بل يقول: أنارت البقعة حتى قلت: إن الشمس ما غابت، فأدركتُ المبصرات كما أدركها نهاراً، وهذه مسألة ما رأيت أحداً نبه عليها إلا إن كان وما وصل إلي، فصاحب الكشف إذا أظلم الليل وانغلق عليه باب بيته، ويكون معه في تلك الظلمة شخص آخر، وقد تساويا في عدم الكشف للمبصرات، فيكون أحدهما ممن يكشف له في أوقات، فيتجلى له نور، يجتمع ذلك النور مع نور البصر، فيدرك ما في ذلك البيت المظلم، مما أراد الله أن يكشف له منه، كله أو بعضه، يراه كما يراه بالنهار أو بالسراج، ورفيقه الذي هو معه، لا يرى إلا الظلمة، غير ذلك لا يراه، فإن ذلك النور ما تجلى له حتى يجتمع بنور بصره، فالكون كله مظلم، فلا يُرَى إلا بالنورين، فكل ما يدركه المكاشف من مقامات، لا يدركها إلا بعين الخيال إذا شوهدت، فإن صورها إذا مَثَّلها الله ـ فيما شاء أن يمثلها ـ متخيلة، فتراها أشخاصاً رأي العين، كما ترى المحسوسات بالعين، وكما ترى المعاني بعين البصيرة، فإن الله إذا قلل الكثير وهو كثير في نفس الأمر، أو كثر القليل وهو قليل في نفس الأمر، فما تراه إلا بعين الخيال لا بعين الحس، وهو البصر نفسه في الحالين، كما قال تعالى ﴿وإذ يريكمُوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم﴾ وقال ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ وما كانوا مثليهم في الحس، فلو لم ترهم بعين الخيال، لكان ما رأيت من العدد كذباً، ولكان الذي يريه غير صادق فيما أراه إياك، وإذا كان الذي أراك ذلك أراكه بعين الخيال، كانت الكثرة في القليل حقاً، والقلة في الكثرة حقاً، لأنه حق في الخيال، وليس بحق في الحس، كما أراك اللبن في الخيال فشربته، ولم يكن ذلك اللبن سوى عين العلم، فما رأيته لبناً وهو علم إلا بعين الخيال، ورأيت تلقينك ذلك العلم ممن تلقنته، في صورة شربك اللبن كذلك في عين الخيال، والعلم ليس بلبن، والتلقين ليس بشرب، وقد رأيته كذلك، فلو رأيته بعين الحس لكان كذباً، لأنك رأيت الأمر على خلاف ما هو عليه في نفسه، فما رأيته إلا بعين الخيال في حال يقظتك، وإن كنت لا تشعر أنت بذلك، فكذلك هو في نفس الأمر، لأن الله صادق فيما يعلمه، وهو في الخيال صدق كما رأيته، وكذلك تلقيك العلوم من الله بالضربة باليد، فعَلِمَ المضروب بتلك الضربة علم الأولين

والآخرين، والعلم لا يحصل إلا بالتعليم بالخطاب من المعلم، أو بخَلْقٍ في النفس ضرورة، وقد حصل في حضرة الخيال بالضرب، فلابد أن يكون الضرب مخيلاً، والمضروب في عينه مخيلاً، إن كان في نوم أو يقظة، لصدق الذي يري ذلك وهو الله، كما قال الله تعالى ﴿يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ ولم تسع في نفس الأمر، وهكذا كل ما تراه على خلاف ما هو عليه في نفسه، ما تراه إلا بعين الخيال، حتى يكون صدقاً، ولهذا يُعَبَّر كل ما وقع من ذلك، أي يجوز به العابر إلى المعنى الذي أراد الله بتلك الصورة.

(ف ح١/ ٢٤٠ - ح٣/ ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩)

ومن الناس من يدرك هذا المتخيل بعين الحس، ومن الناس من يدركه بعين الخيال، وأعني في حال اليقظة، مثل تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشراً سوياً، هل أدركته بالبصر الحسي أو بعين الخيال؟ فتكون ممن أدرك الخيال بالخيال، وأما في النوم فبعين الخيال قطعاً، فإذا أراد الإنسان أن يفرق في حال يقظته - حيث كان في الدنيا أو يوم القيامة - فلينظر إلى المتخيَّل وليقيده بنظره، فإن اختلفت عليه أكوان المنظور إليه لاختلافه في التكوينات، وهو لا ينكر أن ذلك بعينه، ولا يقيده النظر عن اختلاف التكوينات فيه، كالناظر إلى الحرباء في اختلاف الألوان عليها، فذلك عين الخيال بلا شك، ما هو عين الحس، فأدركت الخيال بعين الخيال لا بعين الحس، وقليل من يتفطن إلى هذا، ممن يدعي كشف الأرواح النارية والنورية إذا تمثلت لعينه صوراً مُدرَكة، لا يدري بما أدركها، هل بعين الخيال أو بعين الحس؟ وكلاهما - أعني الإدراكين - بحاسة العين، فإنها تعطي الإدراك بعين الخيال وبعين الحس، وإذا أدركت عين المتخيَّل ولم تغفل عنه، ورأته لا تختلف عليه التكوينات، ولا رأته في مواضع مختلفات معاً في حال واحدة، والذات واحدة لا يشك فيها، ولا انتقلت ولا تحولت في أكوان مختلفة، فتعلم أنها محسوسة لا متخيلة، وأنه أدركها بعين الحس لا بعين الخيال، ومن هنا يعرف إدراك الإنسان في المنام ربه تعالى، وهو منزه عن الصور والمثال، وضبط الإدراك إياه وتقييده، ومن العلم أن الخيال يُدرَك بنفسه - نريد بعين الخيال - أو يدرك بالبصر، فيدرك الإنسان بعين الخيال الصور الخيالية والصور المحسوسة معاً، فيدرك المتخيَّل الذي هو الإنسان بعين حسه وقتاً ما هو متخيَّل، كقوله ﷺ: «مثلت لي الجنة في عرض هذا

الحائط» فأدرك بعين حسه، وإنما قلنا بعين حسه، لأنه تقدم حين رأى الجنة ليأخذ قطفاً منها، وتأخر حين رأى النار وهو في صلاته، ونحن نعرف أن عنده من القوة، بحيث أنه لو أدرك ذلك بعين خياله لا بعين حسه، ما أثر في جسمه تقدماً ولا تأخراً، فالخيال يُدرَك بنفسه أي بعين الخيال ويدرك بالبصر، وهو علم دقيق، أعني العلم بالفصل بين العينين، بين حاسة العين وعين الحس، فلا تغفل عن مثل هذا العلم، وفَرِّق بين الأعين، وأعلم أنك لا تقدر على ذلك إلا بقوة إلهية، يعطيها الله من شاء من عباده، فتعرض لتحصيل هذه القوة من الله، فإنك مخبر بما رأيت أنك رأيته بحسك، ولم يكن الأمر كذلك، فتحرز في العبارة فيما تراه، كما يفعله المنصف، ألا ترى الصحابة لو وفوا النظر حقه، وأعطوا المراتب حقها، لم يقولوا في جبريل عليه السلام: إنه دحية الكلبي، ولقالوا: إن لم يكن روحانياً تجسد وإلا فهو دحية الكلبي، أدركناه بالعين الحسي، فلم يحرروا ولا أعطوا الأمر الإلهي حقه، فهم الصادقون الذين ما صدقوا، فقال لهم رسول الله ﷺ: هو جبريل؛ فحينئذ عرفوا ما رأوا وبماذا رأوا، كما قالوا فيه لما تمثل لهم في صورة أعرابي مجهول عندهم، حين جاء يعلم الناس دينهم، فقال رسول الله ﷺ: «أتدرون من السائل؟» فقالوا: «الله ورسوله أعلم» لكونه ظهر في صورة مجهولة عندهم، فقال لهم «هذا جبريل» فإن كان هذا الحديث بعد حديث دحية فقولهم: «الله ورسوله أعلم» يحتمل أنهم أرادوا احتمال المعنى، أو الصورة الروحية، أو يكون إنساناً في نفس الأمر، وإن كان هذا الحديث أولاً، فما جهلوا أنه إنسان، ولكن جهلوا اسمه ولمن ينتسب من قبائل العرب.

(ف ح١/ ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٤ - ح٣/ ٥٠٧، ٥٠٩)

فلا يعرف الرائي أنه أدرك ما أدركه بعين الخيال، ما لم يعلم المدرَك ما هو؟ وما في الكون أعظم شبهة من التباس الخيال بالحس، فإن الإنسان إن تمكن في هذا النظر شك في العلوم الضرورية، وإن لم يتمكن فيه أنزل بعض الأمور غير منزلتها، فإذا أعطاه الله قوة التفصيل، أبان له عن الأمور إذا رآها بأي عين رآها، فيعلم ما هي إذا علم العين التي رآها بها من نفسه، فآكد ما على أهل الله علم هذا العلم، وكثير من أهل الله من لا يجعل باله لما ذكرناه، ولولا علمه بنومه فيما يراه أنه رآه في حال نومه، ما قال إنه خيال، فكم يرى في حال

اليقظة مثل هذا ويقول: إنه رأى محسوساً بحسه، ألا تراه ﷺ في صدق رؤياه، أنه ما يجري على نفسه حال في جسده، إلا ويظهر ذلك له في صورة مجسدة إذا هو نام، فيحكم على محسومه بما علمه من صورة متخيلة، فقيل له في الوضوء عندما نام ونفخ فلم يتوضأ، وصلى بالوضوء الذي نام عليه: إن عيني تنامان ولا ينام قلبي؛ يقول إنه لما انقلب إلى عالم الخيال، رأى صورته هناك، وهو قد نام على طهارة، ما رأى أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء، فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه (ف ح٣/ ٥٠٩)

علاقة القوى الإنسانية بالخيال:

لما وصل الخلق إلى الإنسان الكامل، الذي أقامه الحق برزخاً بين الحق والعالم - فيظهر بالأسماء الإلهية فيكون حقاً ويظهر بحقيقة الإمكان فيكون خلقاً - جعله على ثلاث مراتب: عقل وحس وهما طرفان، وخيال وهو البرزخ الوسط بين الحس والمعنى، وجعل الله تعالى للروح الإنساني في الجسم - الذي جعله الله له مُلْكاً واستوى عليه - آلات طبيعية كالعين والأذن والأنف والحنك، وجعل فيها قوة سماها سمعاً وبصراً وغير ذلك، وخلق لهذه القوى الحسية وجهين: وجهاً إلى المحسوسات عالم الشهادة، ووجهاً إلى حضرة الخيال، وجعل حضرة الخيال محلاً واسعاً، أوسع من عالم الشهادة، وجعل في القوى الإنسانية قوة تسمى الخيال، إلى قوى كثيرة روحانية معنوية، مثل المصورة والفكر والحفظ والوهم والعقل، وأمر الإنسان بالمحافظة على هذه القوى، فإذا لم يتحفظ الإنسان في غذائه، ولم ينظر في صلاح مزاجه وروحه الحيواني المدبر لطبيعة بدنه، اعتلت القوى وضعفت، وفسد الخيال والتصور من الأبخرة الفاسدة الخارجة من القلب، وضعف الفكر وقل الحفظ، وتعطل العقل بفساد الآلات التي بها يدرك الأمور، فإن المَلِكَ إنما هو بوزعته ورعاياه، وكذلك الأمر أيضاً إن صلح، فإذا طرأ على محل قوة ما خلل، فإن حكمها يفسد ويتخبط، ولا يعطي علماً صحيحاً لمحل الخيال إذا طرأت فيه علة، فالخيال لا يبطل، وإنما يبطل قبوله الصحة فيما يراه علماً، وكذلك العقل وكل قوة روحانية، ولذلك فإن من أجزاء الصديقية، العقل والفكر الصحيح، والخيال الصحيح، والإيمان بصدق المخبر وإن أحاله العقل الذي ليس بسليم، فإن بهذه القوى تدرك النفس الإنسانية الناطقة، في الإنسان الكامل

والحيوان ـ وهو مطلق الإنسان ـ جميع ما يعطيها حقائق هذه القوى من المعلومات، واعلم أن القوى الخيالية والوهمية والحافظة والذاكرة في الإنسان، بما هو حيوان من حيث الروح الحيواني، ولكنها في الإنسان أقوى منها في الحيوان، وخص الإنسان بالقوة المصورة والمفكرة والعاقلة، فيتميز عن الحيوان، وإليك تفصيل هذه القوى في الإنسان.
(ف ح٢/ ٣٩١، ٦٩١ ـ ح٣/ ٣٨ ـ ح١/ ٥٣٢، ١٥٩ ـ ح٢/ ٩١ ـ ح٣/ ٣٦٤، ٣٨ ـ ح١/ ١٢٤)

الحس :

الإنسان إنما يدرك المعلومات كلها بإحدى القوى الحسية، وهي على خمس: الشم والطعم واللمس والسمع والبصر، إذا كان المعلوم محسوساً، ويختلف إدراك المدركات من القرب والبعد، وبالوجه الذي للبصر إلى عالم الشهادة، تدرك جميع المحسوسات، ويرفعها البصر إلى الخيال، فالحس يرفع إلى الخيال ما يدركه، وبإرسال الحواس في المحسوسات تمتلىء خزانة الخيال، فجميع ما يدركه الإنسان في النوم، هو مما ضبطه الخيال في اليقظة من الحواس، وهو على نوعين: إما ما أدرك صورته في الحس، وإما ما أدرك أجزاء صورته التي أدركها في النوم بالحس، لابد من ذلك، فإن نقصه شيء من إدراك الحواس في أصل خلقته، فلم يدرك في اليقظة ذلك الأمر، الذي فقد المعنى الحسي الذي يدركه به في أصل خلقته، فلا يدركه في النوم أبداً، فالأصل الحس، والإدراك به في اليقظة، والخيال تبع في ذلك، ولذلك سمي الخيال بالحس المشترك للمناسبة بين الحس والخيال، وكل ما يعطيه الحس من المغاليط، ليس على الحقيقة نسبة الغلط فيه إلى الحس، وإنما الغلط للحاكم وهو أمر وراء الحس. (ف ح١/ ٩٤ ـ ح٣/ ٣٨، ٣٦٤ ـ ح٢/ ٤٤، ٣٧٥ ـ ح٣/ ١٠٧ ـ الأعلاق)

القوة المصورة :

القوة المصورة في الإنسان تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، وكذلك الوهم أيضاً يتصرف فيها بالأمر، ومادة القوة المصورة من المحسوسات، فتركب الصورة في الخيال ما شاءته، من صور لم يوجد لها عين، لكن أجزاءها كلها موجودة حساً، فقد تأخذ القوة المصورة أموراً من موجودات مختلفة، كلها محسوسة، وتركب منها شكلاً غريباً، ما أبصرته قط حساً بمجموعه، ولكن ما فيه جزء إلا وقد أبصرته، فالقوة المصورة

لها سلطان على القوة الخيالية، فهي رئيسة عليها، وإن كانت لها رئاسة أعني القوة الخيالية، فإن القوة المصورة تصور من خزانة الخيال بحسب ما تعشقت به، وإن كانت القوة المصورة قد صورت ذلك عن أمر العقل بقوة الفكر، فذلك لطلب العلم بأمر ما، والعلم مقيد بلا شك، وإن كان ما صورته المصورة عن أمر الوهم، لا من حيث ما تصرف به العقل من حكم الوهم، بل من الوهم نفسه، فإن تلك الصورة لا تبقى، فإن الوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده.

(ف ح٣/ ٣٦٤ ـ ح١/ ١٢٥ ـ ح٣/ ٣٨ ـ ح١/ ٢٤٠ ـ ح٢/ ٤٨ ـ ح٣/ ١٦٤)

القوى الحافظة:

من القوى الروحانية في النفس الناطقة القوة الحافظة، جعلها الله على خزانة الحفظ، تمنع أن يخرج منها ما اختزنته فيها، وتأخذ ما فارق الحال فتخزنه فيها، ولهذه القوى الحافظة سادنان: الواحد الذكر، وقد وكلته بحفظ المعاني المجردة عن المواد، والسادن الآخر الخيال، وقد وكلته بحفظ المثل في تلك الخزانة، وبقيت هي مشغولة بقبول ما يأتي إليها عند مفارقة الحال، وإن شئت قلت: إن الحواس ترفع إلى الخيال جميع المحسوسات، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة. (ف ح٣/ ٤٠٥، ٣٨)

القوة الذاكرة:

اعلم أن الذاكر لابد أن يحضر مذكوره في نفسه، إن كان المذكور ذا صورة في اعتقاده، أحضره في خياله، وإن كان من غير عالم الصور أو لا صورة له، أحضرته القوة الذاكرة، فإن القوة الذاكرة من الإنسان تضبط المعاني، والقوة المتخيلة تضبط المثل التي أعطتها الحواس، وما تركبه القوة المصورة من الأشكال الغريبة التي استفادت جزئياتها من الحس، لابد من ذلك. (ف ح٢/ ١٥١)

الفكــر

من البلاء الذي ابتلى الله تعالى به الإنسان، أن خلق فيه قوة تسمى الفكر، وجعل هذه القوة خادمة لقوة أخرى تسمى العقل، وجبر العقل مع سيادته على الفكر، أن يأخذ

منه ما يعطيه، ولم يجعل للفكر محلاً إلا في القوة الخيالية، وجعل سبحانه القوى الخيالية محلاً جامعاً لما تعطيه القوى الحساسة، وجعل لها قوة يقال لها المصورة، فلا يحصل في القوة الخيالية إلا ما أعطاه الحس، أو أعطته القوة المفكرة، وقيل للفكر ميز بين الحق والباطل الذي في هذه القوة الخيالية، فكان سبب الحيرة لصاحب النظر العقلي، إنما هو اتساع عالم الخيال[1]، فإنه ما من دليل إلا وعليه عنده دخل وشبهة، إذ القوة المفكرة ما لها تصرف إلا في الحضرة الخيالية، أو بما فيها مما اكتسبته من القوى الحسية، أو مما تصوره القوة المصورة، وبقوة الفكر يلحق الخيال الصور المحسوسة بالمعقولات، لأن الخيال قد لطف صورتها التي كانت في الحس من الكثافة، فتروحنت بواسطة هذا البرزخ، فإن الخيال محل العمل في التلطيف والتكثيف. (ف ح١/ ١٢٥ - ح٤/ ١٨٥ - ح١/ ٣٩٥، ٣٩٦)

العقل:

لا يصح أن يقبل العقل إلا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر، وهو يشهد المعاني مجردة عن المواد التي كان الخيال يعطيه إياها، ونظر العقل ممتزج بالحس من طريق الخيال، لأنه يأخذ عن الفكر عن الخيال عن الحس، إما بما يعطيه أو بما تعطيه القوة المصورة، فإن قلنا: إن الخيال فقير إلى الحواس، فلا يتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى، ثم إن القوة الحافظة إن لم تمسك على الخيال ما حصل عنده من هذه القوى، لا يبقى في الخيال منها شيء، فهو فقير إلى الحواس وإلى القوة الحافظة، ثم إن القوة الحافظة قد تطرأ عليها موانع تحول بينها وبين الخيال، فيفوت الخيال أمور كثيرة، من أجل ما طرأ على القوة الحافظة من الضعف لوجود المانع، فافتقر إلى القوة الذكرة، فتذكره ما غاب عنه، فهي معينة للقوة الحافظة على ذلك، ثم إن القوة المفكرة إذا جاءت إلى الخيال، افتقرت إلى القوة المصورة، لتركب بها مما ضبطه الخيال من الأمور، صورة دليل على أمر ما، وبرهانٍ تستند فيه إلى المحسوسات أو الضروريات، وهي أمور مركوزة في الجبلة، فإذا تصور الفكر ذلك الدليل، حينئذ يأخذه

---

(١) التوسع الإلهي لا ينحصر ولا يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر، فكل ما ثبت في النظر الفكري من انبساط الحقائق، فهو عند العلماء بالله بالكشف والمشاهدة من الأغاليط، عصمنا الله وإياكم من أغاليط الأفكار. (التنزلات الموصلية)

العقل منه، فيحكم به على المدلول، وما من قوة إلا ولها موانع وأغاليط، فيحتاج إلى فصلها من الصحيح الثابت، فانظر يا أخي ما أفقر العقل، حيث لا يعرف شيئاً إلا بواسطة هذه القوى، وفيها من العلل ما فيها، فإنه بالنظر إلى ذاته، لا علم عنده إلا الضروريات التي فطر عليها. (ف ح١/ ٩٤ ـ ح٣/ ٢٣٤ ـ ح١/ ٦٠٨، ٢٨٩)

ومن أثر سلطنة الوهم على العقل، أن أثر فيه أن لا يقبل معنى ـ يعلم قطعاً أنه ليس بمادة ولا في مادة ـ إلا بتصور، وذلك التصور ليس غير الصورة التي يحكم بها الوهم، فصار العقل مقيداً بالوهم بلا شك فيما هو به عالم بالنظر، وأما علمه الضروري فليس للوهم عليه سلطان، وبه يعلم أن ثَمّ معاني ليست بمواد ولا في أعيان مواد، وإن لم يقبلها بالنظر إلا في مواد، من خلف حجاب رقيق يعطيه الوهم. (ف ح٣/ ٣٦٤)

الوهـــم

إن للوهم حكماً في الإنسان كما للعقل حكماً فيه، فمن القوى التي خلقها الله في هذا الخليفة ـ بل في الإنسان الكامل والحيوان وهو مطلق الإنسان ـ قوة تسمى الوهم، وقوة تسمى العقل، وقوة تسمى الفكر، وميز الحضرات الثلاث لهذا الخليفة، وجعل فيه قوة مصورة تحت حكم العقل والوهم، يتصرف فيها العقل بالأمر، كذلك الوهم يتصرف فيها بالأمر، وقوّى في هذه النشأة سلطان الوهم على العقل، والوهم سريع الزوال لإطلاقه، بخلاف العقل فإنه مقيد محبوس بما استفاده[1]، فأثر الأوهام في النفوس البشرية، أظهر وأقوى من أثر العقول، إلا من شاء الله تعالى، فالغالب على الخلق حكم الأوهام، لسلطنة الوهم على العقل، فالوهم مثلاً يلحق الحق بالمحسوسات، ويتوهم في الحق أنه لا يقول للشيء كن إلا إذا أراده، ويرى أن الموجودات يتأخر وجود بعضها عن بعض، وكل موجود منها لابد أن يكون مراداً بالوجود، ولا يتكون إلا بالقول الإلهي على جهة الأمر، فيتوهم الإنسان أو ذو القوة الوهمية أوامر كثيرة، لكل شيء كائن أمراً إلهياً، لم يقله الحق إلا عند إرادته تكوين ذلك الشيء، فبهذا الوهم عينه يتقدم الأمرُ الإيجاد أو الوجود، لأن الخطاب

---

(١) العقل مشتق من العقال وهو القيد.

الإلهي على لسـان الرسول اقتضى ذلك، فلابد من تصوره، وإن كان الدليل العقلي لا يتصوره ولا يقول به[1]، ولكن الوهم يحضره ويصوره صورة وجودية، وإن كان لا يقع في الوجود الحسي أبداً، ولكن لها وقوع في الوهم.

(ف ح١/ ٤١٥ - ح٣/ ٣٦٤ - ح٤/ ٤٠٩ - ح٣/ ٣٦٥)

والوهم الذي هو على صورة العقل، يرجح على الله ما لم يرجحه الله، وما رجح الله إلا الواقع، فأوقع ما أوقع حكمة منه، وأمسك ما أمسك حكمة منه، وهو الحكيم العليم، والعقل لا يعطي صاحبه في الواقع إلا الوقوف، فإنه يدري ممن صدر[2]، وقد اتفق في الوجود أمر غريب، وذلك أن ثَمّ أموراً يتحقق بها العقل، ويثبت عليها ولا يتزلزل، وتتفلت من الوهم، ولا يقدر يبقى على ضبطها، مثل أن الحق ما أحب إلا نفسه في صورة العالم[3]، وهي مسألة يثبتها العقل ولا يقدر يزول عنها، وتتفلت من الوهم ولا يقدر على ضبطها، وثَمّ أمور أخر بالعكس، تتفلت من العقل وتثبت في الوهم، ويحكم عليها ويؤثر فيها، كمن يعطيه العقل بدليله أن رزقه لابد أن يأتيه، سعى إليه أو لم يسع، فيتفلت هذا العلم عن العقل، ويحكم عليه الوهم بسلطانه، أنك إن لم تسع في طلبه تَمُتْ، فيغلب عليه، فيقوم يتعمل في تحصيله، فحقه من جهة عقله زائل، وباطله من جهة وهمه ثابت لا يتزلزل، وكمن يرى حية أو أسداً، على صورة لا يتمكن فيما يعطيه العقل أن يصل ضرره إليه، فيغيب عن ذلك الدليل ويتوهم ضرره، فينفر منه ويتغير وجهه وباطنه بحكم الوهم وسلطانه، وهذا موجود[4]، فللوهم سلطان في مواطن، وللعقل سلطان في مواطن، فتحفظ من الوهم فإن الوهم موجود، يبرز للنفس على صورة العقل، فقد يلتبس عليك وهو وزير مطاع، له في

---

(١) فإن تصور التقدم الزماني في تعلق المشيئة والإرادة والقول الإلهي عند الإيجاد، لا يصح في حق الحق، فإن الترتيب والتقدم هنا بالرتبة لا بالوجود، الذي يقتضي الترتيب الزماني، فهذا من حكم الوهم في العقائد.

(٢) فالعقل يؤدي إلى الرضى والتسليم، والوهم يدفع إلى السخط وعدم الرضى والاعتراض بقول «لو كان كذا».

(٣) راجع كتابنا الحب ص ٢٩.

(٤) يعني تأثير الوهم في باطن الإنسان بالخوف والرعب، وفي ظاهره في الحس.

الإنسان تأثير عظيم، وهو المستولي على الناس، والباعث على الأفكار الرديئة، وهو يورث الوسوسة فتحفظ منه. (ف ح٤/ ٢٥٩ - ح٢/ ٣٢٦ - كتاب التدبيرات الإلهية)

ولما علم الحق ما ركب عليه العالم المكلف مما ذكرناه، أرسل الرسل إلى الناس والمكلفين، فوقفوا في حضرة الخيال خاصة، ليجمعوا بين الطرفين المعاني والمحسوسات، فهو موقف الرسل عليهم السلام، فقالوا لبعض الناس من هذه الحضرة «اعبد الله كأنك تراه» ثم نبه هذا المخاطب المكلف - بعد هذا التقرير - على أمر آخر ألطف منه، لأنه علم أن ثَمَّ رجالاً علموا أن ثَمَّ معاني مجردة عن المواد، فقال له «فإن لم تكن تراه» أي تقف مع دليلك الذي أعلمك أنك لا تراه «فإنه» يعني الله «يراك» أي الزم الحياء منه والوقوف عند ما كلفك، فعدل في الخطاب إلى حكم وَهْمٍ ألطف من الحكم الأول، فإنه لابد لهذا المكلف أن يعلم أنه يراه، إما بعقله أو بقول الشرع، وبكل وجه فلابد أن يقيده الوهم، فإن العبد بحيث يراه الله، فتنتج الأهواء مع إطلاقها، ما تنتجه العقول مع تقييدها، فلا يسلم لعقل حكم أصلاً بلا وهم في هذه النشأة، لأن النشأة لها ولادة على كل من ظهر فيها، وما ثَمَّ أعلى من الحق رتبة، ومع هذا تخيلته، وقال لها: تخيليني[1]، أمرها بذلك لكونه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ووسعها ما تعطيه حقيقتها، وجعل سعادتها في ذلك التخيل، ثم قال لها ﴿ليس كمثله شيء﴾ فجمعت بين التنزيه فقيدته، وبين التشبيه فقيدته، فإنها مقيدة، فلا تعلم إلا التقييد الذي هو حقيقتها. (ف ح٣/ ٣٦٥)

وأقول أنا محمود محمود الغراب: إن الفرق بين الوهم والخيال دقيق، فقد قال الشيخ رضي الله عنه: إن الخيال حق كله، والمتخيل منه حق ومنه باطل، وللتفرقة بين الحالتين، تعلق المتخيل الباطل بقوة تسمى الوهم، وتعلق المتخيل الحق بقوة تسمى القوة المتخيلة أو الخيال، والصحيح أن الأصل واحد، وهو الخيال والقوة المتخيلة.

القوة المتخيلة:

سبق أن ذكرنا أن الاسم الإلهي القوي، ما ظهر سلطانه ولا قوته إلا في خلق القوة المتخيلة والخيال، فإن قوة الخيال ما عندها مُحَال أصلاً، ولا تعرفه، فلها إطلاق التصرف

(١) في قوله: اعبد الله كأنك تراه - في الحديث المتقدم.

في الواجب الوجود والمحال، وكل هذا عندها قابل بالذات إمكان التصور، وهذه القوة وإن كان لها هذا الحكم فيمن خلقها، فهي مخلوقة، وهذا الحكم لها وصف ذاتي نفسي، لا يكون لها وجود عين فيمن خُلقت فيه، إلا ولها هذا الحكم، فإنه عين نفسها، وما حازها إلا هذا النشء الإنساني، وبها يرتب الإنسان الأعيان الثبوتية في حال عدمها كأنها موجودة، وكذلك هي، لأن لها وجوداً متخيلاً في الخيال. (ف ح٤/ ٣٢٢، ٢١١)

وقد علمنا أن الحق ميز الحضرات الثلاث للنفس الناطقة وولاها عليها: حضرة المحسوسات، وحضرة المعاني المجردة في نفسها عن المواد ـ وإن لم يظهر بعضها إلا في بعض المواد ـ وحضرة الخيال الذي هو حضرة متوسطة بين طرفي الحس والمعنى، وهو خزانة الجبايات التي تجبيها الحواس، فالخيال خزانة المحسوسات، فإن الحس يرفع إليه جميع ما يدركه، فيحفظها الخيال بالقوة الحافظة، بعد ما تصورها القوة المصورة، وجعل القوة الخيالية في مقدم الدماغ الإنساني، وجعلها فقيرة إلى الحواس، فلا تتخيل أصلاً إلا ما تعطيه هذه القوى، ولما كان الخيال من عالم الطبيعة، فإنه إذا جسد ما ليس بجسد، كان ذلك من فعل الطبيعة، ولذلك كان للسُّكْر أثر قوي في القوة المتخيلة، فإن له أثراً في تخيل السكران وخياله.

(ف ح٣/ ٣٦٤ ـ ح١/ ١٢٠ ـ ح٣/ ٣٨ ـ ح١/ ٣٦٦، ٢٨٩ ـ ح٢/ ١٩٢، ٥٤٤)

ثم اعلم أن الله تعالى جعل للروح الإنساني في الجسم الذي جعله الله له مُلْكاً واستوى عليه، جعل فيه هذه القوى والآلات الحسية والمعنوية، وقيل له: خذ العلوم منها وصرفها على حد كذا وكذا، وجعلت له هذه الآلات على مراتب، فالقوى المعنوية كلها قوى كاملة، إلا قوة الخيال فإنها خُلِقَت ضعيفة، والقوة الحساسة، وجعلت هاتان القوتان تابعتين للجسم، فكلما نما الجسم وكبر وزادت كميته، كلما تقوى حسه وخياله، إذ كانت جميع القوى لا تأخذ الأشياء إلا من الخيال، وهي قوة هيولانية قابلة لجميع ما يعطيها الحس من الصور، وقابلة لما تفتح فيها القوة المصورة من الصور، التي تركيبها من أمور موجودة، قد أمسكها الخيال من القوة الحساسة، وليس في القوى من يشبه الهيولي في قبول الصور إلا الخيال، فإذا تقوى الخيال، حينئذ وجد الفكر حيث يتصرف ويظهر سلطانه، والوهم كذلك، والعقل

كذلك، والقوة الحافظة كذلك، فلم تكن لطيفة الإنسان من حيث ذاتها مدركة لما تعطيها هذه القوى إلا بواسطتها، فلو اتفق أن تعطيها هذه القوى المعلومات من أول ما يظهر الولد في عالم الحس، قبلها الروح الإنساني قبولاً ذاتياً، ألا ترى أن الله قد خرق العادة في بعض الناس في ذلك، وهو ما ذكر من صبي يوسف حين شهد له بالبراءة، وكلام عيسى عليه السلام حين شهد بالبراءة، وصبي جريج حين شهد له بالبراءة، هذا سبب تأخير التكليف عن الروح الإنساني إلى الحلم، الذي هو حد كمال هذه القوى في علم الله، فلم يبق عند ذلك عذر للروح الإنساني، في التخلف عن النظر والعمل بما كلفه ربه. (ف ح٢/ ٦٩١)

ومع كون الخيال من موالي النفس الناطقة، فإن له التحكم فيها، وما له فيها تحكم إلا أنه يصورها في أي صورة شاء، وإن كانت النفس على صورة في نفسها، ولكن لا يتركها هذا الخيال من المتخيَّل، إلا على حسب ما يريده من الصور في تخيله، وليس للخيال قوة تخرجه عن درجة المحسوسات، لأنه ما تولد ولا ظهر عينه إلا في الحس، فكل تصرف يتصرفه في المعدومات والموجودات، ومما له عين في الوجود أو لا عين له، فإنه يصوره في صورة محسوس، له عين في الوجود، أو يصور صورة ما لها بالمجموع عين في الوجود، ولكن أجزاء تلك الصورة كلها أجزاء وجودية محسوسة، لا يمكن أن يصورها إلا على هذا الحد، فقد جمع الخيال بين الإطلاق العام، الذي لا إطلاق يشبهه، فإن له التصرف العام في الواجب والمحال والجائز، وما ثَمَّ من له حكم هذا الإطلاق، وهذا هو تصرف الحق في المعلومات بوساطة هذه القوة، كما أن له التقييد الخاص المنحصر، فلا يقدر أن يصور أمراً من الأمور إلا في صورة حسية، كانت موجودة تلك الصورة المحسوسة أو لم تكن، لكن لابدَّ من أجزاء الصورة المتخيلة أن تكون كلها كما ذكرنا، موجودة في المحسوسات، أي قد أخذها من الحس حين أدركها متفرقة، لكن المجموع قد لا يكون في الوجود. (ف ح٣/ ٤٧٠)

تأثير الخيال في الحس:

الاحتلام:

فإن قلت هل في قوة الخيال أن يعطي صورة حسية حقيقية، فلا يكون للحس فضل على الخيال، لأن الحس يعطي الصور للخيال؟ وكيف يكون المؤثِّر فيه مؤثراً فيمن هو مؤثر

فيه؟ قلنا: نعم، فإن عالم البرزخ أشد قوة في التأثير من عالم الحس، فإنه يؤثر في عالم الحس ما يؤثره الحس، والحس لا يقدر أن يؤثر في الخيال، ألا ترى النائم يرى في الخيال أنه ينكح، فينزل منه الماء في عالم الحس، ولذلك كان على صاحب مقام الورع أن يجتنب في خياله ما يجتنب في ظاهره، لأن الخيال تبع للحس، ولهذا إذا احتلم المريد برؤيا عاقبه شيخه، ألا ترى أنه ما احتلم نبي قط، ولا ينبغي له ذلك، فإن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور في اليقظة، إنما هو من بقية طبيعية في خياله، وهو كذب، فإنه يظن أنه في الحس الظاهر، فلو اجتنبه في الحس لأثر في خياله. (ف ح١/ ٣٠٥ - ٦٠٩، ١٧٦)

ويرى النائم ما يفزعه فيتأثر لذلك جسم النائم، بحركة أو صوت يصدر منه، أو كلام مفهوم أو عرق، لقوة سلطان الخيال، وأنت ترى نائماً إلى جنبك، وهو يبصر نفسه، معذباً أو منعماً أو تاجراً أو مَلِكاً أو مسافراً، ويطرأ عليه خوف في منامه في خياله، فيصيح ويزعق، والذي إلى جانبه لا علم له بذلك ولا بما هو فيه، وربما إذا اشتد الأمر تغير له المزاج، فأثر في الصورة الظاهرة النائمة حركة أو زعاقاً أو كلاماً أو احتلاماً، كل ذلك من غلبة تلك القوة على الروح الحيواني، فيتغير البدن في صورته. (ف ح٢/ ٦٠٩ - ح٣/ ٣٨)

ويُظهر الخيال في صورة الحس ما ليس في نفسه بمحسوس، ويلحقه بالحس، فقد يتخيل الإنسان أنه رأى المَلَك أو الجني، وهو ما رأى إلا أمثلة في خياله، قامت له لقوة سلطان الخيال عليه خارجة عن وهمه - وهو ما نسميه الوهم - فهو يصدق فيما يراه، ويخطىء في الحكم أنه رأى مَلَكاً أو جاناً، وذلك المرئي ليس بملك ولا جان، ولهذا يحتاج إلى علامة للتمييز بين صحة الكشف والتخيل - أقول فلو علم المتخيل أن ما يراه إنما هو فعل القوة المتخيلة، ولا وجود له في الحس، لم يكن متوهماً، ولكان متخيلاً. (ف ح٢/ ٦٠٩)

الوهـــم:

ولذلك نقول: إن الخيال وإن كان من الطبيعة، فله سلطان عظيم على الطبيعة، بما أيده الله به من القوة الإلهية، وإذا أردت تأنيساً لذلك، فانظر في علم الطبيعة إذا توجهت

المرأة وهي حامل على شيء، خرج الولد يشبه ذلك الشيء، فإن الشهوة إرادة طبيعية مقيدة عن تخيل صوري، وإذا نظرت المرأة عند الجماع، أو تخيل الرجل، صورة عند الوقاع وإنزال الماء، يكون الولد على خلق صورة ما تخيل، ولذلك كانت الحكماء تأمر بتصوير صور الفضلاء من أكابر الحكماء في الأماكن، بحيث تنظر إلى تلك الصورة المرأة عند الجماع والرجل، فتنطبع في الخيال فتؤثر في الطبيعة، فتخرج تلك القوة التي كانت عليها تلك الصورة، في الولد الذي يكون من ذلك الماء، وهو سر عجيب في علم الطبيعة، كما قالت

الحكماء إذا أراد الإنسان أن ينجب ولده، فليقم في نفسه عند اجتماعه مع امرأته، صورة من شاء من أكابر العلماء، وإن أراد أن يحكم أمر ذلك، فليصورها في صورتها التي نقلت إليه أو رآها عليها المصور، ويذكر لامرأته حسن ما كانت عليه تلك الصورة، وإذا صورها المصور فليصورها على صورة حسن علمه وأخلاقه، وإن كانت الصورة المحسوسة قبيحة المنظر، فلا يصورها إلا حسنة المنظر، بقدر حسن علمه وأخلاقه. كأنه يجسد تلك المعاني، ويحضر تلك الصورة لامرأته ولعينه عند الجماع، ويستفرغان في النظر إلى حسنها، فإن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع، أثر في ذلك الحمل ما تخيلا من تلك الصورة في النفس، فيخرج المولود بتلك المنزلة ولابد، حتى إن لم يخرج كذلك، فلأمر طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم، أخرجها ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران، وتعبر عنه العامة بتوحم المرأة، وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين أو الزوجين، صورة كلب أو أسد أو حيوان ما، فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه، على صورة ما وقع للوالدين من تخيل ذلك الحيوان، وإن اختلفا فيظهر في الولد صورة ما تخيله الوالد وصورة ما تخيلته الأم، حتى في الحسن الظاهر في الصورة أو في القبح، وهم مع معرفتهم بهذا السلطان لا يرفعون به رأساً، وانظر ما أثر سلطان الخيال في زكريا في ابنه يحيى عليهما السلام، حين استفرغت قوة زكريا في حسن حال مريم عليها السلام، وانظر في تكوين عيسى عليه السلام عن مشاهدة مريم جبريل في صورة بشر، كيف جمع بين كونه روحاً يحيي الموتى وبين كونه بشراً، إذ كان الروح به تحيا الأجسام الطبيعية.

(ف ج٣/ ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩ ـ ج٢/ ١٩٢، ٣٧٧ ـ ج٣/ ٥٠٧)

ولد الرؤيا:

حتى إذا دلت الرؤيا على وجود ولد، فذلك الولد مخلوق من عين تلك الرؤيا ماءً في صلب أبيه، وإن كان الماء قد نزل في الرحم، تصورت فيه تلك الرؤيا ولداً، فهو ولد رؤيا، وإن لم تتقدم له رؤيا، فهو على أصل نشأته كما هو سائر الأولاد، فاعلم ذلك فإنه سر عجيب وكشف صحيح، وكل ولد يكون عن رؤيا ترى له تمييزاً على غيره، ويكون أقرب إلى الأرواح من غيره، إن جعلت بالك هكذا تبصره، وكل مخلوق من حالة أو عرض أو نسبة من ولاية أو غيرها يكون عن رؤيا، يكون له ميز على من ليس عن رؤيا، وانظر ذلك في رؤيا آمنة أم رسول الله ﷺ يبدو لك صحة ما ذكرناه، فكان ﷺ عين رؤيا أمه، ظهرت في ماء أبيه بتلك الصورة التي رأته أمه، ولذلك كثرت المرائي فيه ﷺ فتميز عن غيره[1]. (ف ح٢/ ٣٧٧/ ٣٧٨)

إيراد الكبير على الصغير:

إيراد الكبير على الصغير، هو اتساع الصغير لدخول الكبير فيه، مع بقاء الصغير على صغره والكبير على كبره، كالجمل يلج في سَمِّ الخياط، يشاهد ذلك حساً لا خيالاً[2]، يحدث هذا في حضرة الخيال، فإن ذلك من حقيقته، رأى رسول الله ﷺ الجنة والنار في عرض الحائط، وقد ورد في الخبر أن النبي ﷺ خرج وفي يده كتابان مطويان، قابضاً بكل يد على كتاب، فسأل أصحابه أتدرون ما هذان الكتابان؟ فأخبرهم أن في الكتاب الذي بيده اليمنى، أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم، من أول من خلقه الله إلى يوم القيامة، وفي اليد الأخرى في الكتاب الآخر، أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم إلى يوم القيامة، فهذا من إيراد الكبير على الصغير، من غير تصغير الكبير أو تكبير الصغير، وإلا فأي ديوان يحصر أسماء هؤلاء، مع صغر حجم الكتاب وكثرة الأسماء، ويُعْلَم من هذا، أن الأمر الذي يحيله العقل، لا يستحيل نسبة إلهية، فتعلم أن الله قادر على المحال

---

(١) راجع قصة الجوهري في باب خلق الخيال ص ٢٢.

(٢) المقصود بهذه الكلمة الخيال المتصل الذي يقوم بالإنسان كالرؤيا في النوم أو الوهم من خارج.

العقلي، كإدخال الجمل في سَمِّ الخياط، مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره، وهذا المقام وراء طور العقل، من حيث ما يستقل بإدراكه من كونه مفكراً، لا من كونه قابلاً.

تمكن الشيطان من حضرة الخيال:

إن الله تعالى قد مكن الشيطان من حضرة الخيال، وجعل له سلطاناً فيها، فيخيل الشيطان للإنسان أو النفس، إذ حضرة الخيال تنشيء كل صورة، فللشيطان في كل كشف يطلعك الحق عليه أمر من عالم الخيال، ينصبه لك مشابهاً لحالك الذي أنت به في وقتك، فإن لم يكن لك علم قوي بما تميز به بين الحق وبين ما يخيله لك، وإلا التبس عليك الأمر، كما خيلت السحرة للعامة أن الحبال والعصي حيات، فلا يفرق بين الخيال والحقيقة، أو بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، ومن أجل ذلك أمرنا رسول الله ﷺ بالتعوذ في كل صلاة من فتنة المحيا والممات، فإن فتنة المحيا قد تكون هي فتنة المسيح الدجال، لما يظهره من دعواه الألوهية، وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة، من إحياء الموتى وغير ذلك، مما ثبتت الروايات بنقله، وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه، وهي مسألة في غاية الإشكال، لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات، فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرروه، وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد، وأما فتنة الممات فمنها ما يكون في حال النزع والسياق، من رؤية الشياطين الذين يتصورون للمحتَضَر، على صورة ما سلف من آبائه وأقربائه وإخوانه، فيقولون له: مُتْ نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً أو معطِّلاً، ليحولوا بينه وبين الإسلام، ولذلك شُرِع التلقين عند الموت إذا احتضر، فإن الهول شديد والمقام عظيم، وهو وقت الفتنة التي قد تكون هي فتنة المحيا من بعض الوجوه، بما يكشفه المحتضر عند كشف الغطاء عن بصره، فيعاين ما لا يعاينه الحاضر، ويتمثل له من سلف من معارفه على الصور التي يعرفهم فيها، وهم الشياطين تتمثل للمحتضر على صورهم بأحسن زي وأحسن صورة، يعرفونه أنهم ما وصلوا إلى ما هم فيه من الحسن، إلا بكونهم ماتوا مشركين بالله، فينبغي للحاضرين عنده في ذلك الوقت من المؤمنين، أن يلقنوه شهادة التوحيد، ويعرفوه بصورة هذه الفتنة ليتنبه بذلك، فيموت

مسلماً موحداً مؤمناً، فإنه عندما يتلفظ بشهادة التوحيد ويتحرك بها لسانه، أو يظهر نورها في قلبه بتذكره إياها، فإن ملائكة الرحمة تتولاه، وتطرد عنه تلك الصور الشيطانية التي تحضره. (ف ح٣/ ٧١، ١٩٨ ـ ح١/ ١٥٨، ٤٣٢)

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: ما ترى؟ قال أرى عرشاً على الماء، فقال ﷺ: ترى عرش إبليس على البحر.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه صلى صلاة قال: إن الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة عليّ، فأمكنني الله منه فذعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام ﴿رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فرده الله خاسياً.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام، فأخذته، وقلت: والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعليّ عيال ولي حاجة شديدة، فخليت عنه، فأصبحت فقال النبي ﷺ: ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعليّ عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: ياأباهريرة ما فعل أسيرك؟ قلت: يارسول الله شكا حاجة شديدة وعيالاً فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود، فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات أنك تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، الله لا إله إلا هو الحي القيوم، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك الشيطان حتى تصبح ـ وكانوا أحرص الناس على الخير ـ فقال النبي ﷺ: أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأباهريرة؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان.

الحروف والسيمياء :

كما أن للحروف وعلم السيمياء تأثيراً في حضرة الخيال فإنك إذا أكلت بالسيمياء أكلت ولا تجد شبعاً، وإذا أراك صاحب العلم السيماوي تدخل الحمام ثم ترجع إلى نفسك لا ترى لذلك حقيقة، فكل ما تراه بطريق السيمياء إنما هو مثل ما يراه النائم فإذا انتبه لم يجد شيئاً مما رآه، فإن صاحب علم السيمياء له سلطان وتحكم على خيالك بخواص الأسماء والحروف يخطف به بصر الناظر عن الحس ويصرفه إلى خياله، فيرى مثل ما يرى النائم وهو في يقظته، وأما حضرة الخيال الحق فإنك إذا أكلت بها شبعت، وإن أمسكت فيه شيئاً من ذهب أو ثياب أو ما كان بقي معك على حاله لا يتغير، ومن هذا المقام قال رسول الله ﷺ لست كهيئتكم إني أبيت معي مطعم يطعمني وساقٍ يسقيني وفي رواية يطعمني ربي ويسقيني، فلم يكن في تلك الجماعة التي خاطبها في ذلك الوقت من له هذا المقام، فكان إذا أكل شبع وواصل على قوة معتادة، ولما كان الأكل في حضرة الخيال لا في حضرة الحس صح أن يكون مواصلاً[1]. (ف ح٣/ ٤٣)

السحر - الفرق بين عصا موسى وعصي السحرة :

يقول الله تعالى: ﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ اعلم أن من خرق العوائد قسماً يرجع إلى ما يدركه البصر، أو بعض القوى، على حسب ما يظهر لتلك القوة مما ارتبطت في العادة بإدراكه، وهو في نفسه على غير ما أدركته تلك القوة، وهذا القسم داخل تحت قدرة البشر، ومنه ما يرجع إلى خواص أسماء، إذا تلفظ بتلك الأسماء، ظهرت تلك الصور في عين الرائي أو في سمعه خيالاً، وما ثَمَّ في نفس الأمر - أعني في المحسوس - شيء من صورة مرئية ولا مسموعة، وهو فعل الساحر، وهو على علم أنه ما شيء مما وقع في الأعين والأسماع، وللأسماء سلطان على خيال الحاضرين، فتخطف أبصار الناظرين، فيرى صوراً في خياله كما يرى النائم في نومه، وما ثَمَّ في الخارج شيء مما يدركه، لذا قال تعالى: ﴿يخيل إليه﴾ يعني إلى موسى، فإن موطن الخيال يعطي في

---

(١) راجع وراثة الشيخ الأكبر محي الدين بن العربي للنبي ﷺ لهذا المقام في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٠١.

أعين الناظرين حياة الجمادات وحركتها، وهي في نفسها ليست بتلك الحياة التي تدركها الأبصار، كحبال سحرة موسى عليه السلام وعصيهم، يخيل إلى موسى ﴿من سحرهم﴾ الذي سحروا به أعين الناس وعلمهم بما فعلوه، والسِّحْر مأخوذ من السَّحَر، وهو اختلاط الضوء والظلمة، فالسَّحَر له وجه إلى الظلمة. وليس ظلاماً خالصاً، وله وجه إلى الضوء وليس ضوءاً خالصاً، كذلك السِّحْر له وجه إلى الحق، وهو ما ظهر إلى بصر الناظر أنه حق، وله وجه إلى الباطل، لأنه ليس الأمر في نفسه على ما أدركه البصر، فلهذا سمته العرب سحراً، وسمي العامل به ساحراً لا العالم به ﴿أنها تسعى﴾ وليست بساعية في نفس الأمر، أقاموا ذلك في حضرة الخيال المنفصل، أمام الجميع، فرأوا العصي والحبال في صور الحيات، وكذلك أدركها موسى مخيلة، ولا يعرف أنها مخيلة، بل ظن أنها مثل عصاه في الحكم، فهي ساعية في نظر موسى ونظر الحاضرين، إلا السحرة فإنهم يرونها حبالاً، والغريب لو ورد لرآها كما يراها السحرة، فكان فعل السحرة عن حكم أسماء كانت عندهم، لها في عيون الناظرين خاصية النظر إلى ما يريد الساحر إظهاره، فله بتلك الأسماء قلب النظر، لا قلب المنظور فيه، وهذا بخلاف عصا موسى عليه السلام حين ألقاها عن الأمر الإلهي، فانقلب المنظور فيه فتبعه النظر، فتلك حبال نشأت بين الخيال وبين أعين الناظرين أنها تسعى، وهي أجسام في عينها، لا حكم لها في السعي، فظهرت في عين موسى بصورة الجسم الذي له سعي، والأمر في نفسه ليس كذلك، وامتلأ الوادي من حبالهم وعصيهم، ورآها موسى فيما خيل له حيات تسعى، فلهذا خاف موسى عليه السلام ﴿فأوجس في نفسه خيفةً موسى﴾ لم يكن نسبة الخوف إلى موسى عليه السلام في هذا الوقت نسبة الخوف الأول، فإن الخوف الأول لما ألقى موسى عصاه فكانت حية تسعى، خاف منها على نفسه على مجرى العادة، فولى مدبراً ولم يعقب، حتى أخبره الله تعالى، وكان خوفه الثاني الذي ظهر منه للسحرة، عندما ألقت السحرة الحبال والعصي، فصارت حيات في أبصار الحاضرين، كان هذا الخوف الآخر على الحاضرين من الأمة، لئلا تظهر عليه السحرة بالحجة، فيلتبس الأمر على الناس، فلا يفرقون بين الخيال والحقيقة، أو ما بين ما هو من عند الله وبين ما ليس من عند الله، فاختلف تعلق الخوفين، فإنه عليه السلام على بينة من ربه، قوي الجأش بما تقدم له في الإلقاء الأول ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي ترجع عصاً كما كانت في

عينك، فلما خاف موسى عليه السلام على الأمة قال الله له: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ لما ادعى فرعون الفوقية اللائقة بالربوبية، وهي الفوقية الحقيقية في قوله ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ كذبه الله تعالى بقوله تعالى لموسى ﷺ ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ ولما ظهر للسحرة خوف موسى مما رآه، وما علموا متعلق هذا الخوف، أي شيء هو؟ علموا أنه ليس عند موسى من علم السحر شيء، فإن الساحر لا يخاف مما يفعله، لعلمه أنه لا حقيقة له من خارج، وأنه ليس كما يظهر لأعين الناظرين، فأمر الله موسى أن يلقي عصاه، وأخبر أنها تلقف ما صنعوا، فقال تعالى ﴿وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فلما ألقى موسى عصاه فكانت حية، تلقفت تلك الحية جميع ما كان في الوادي من الحبال والعصي، أي تلقف صور الحيات منها المتخيلة في عيون الحاضرين، فأبصرت السحرة والناس حبال السحرة وعصيهم التي ألقوها حبالاً وعصياً كما هي، وأخذ الله بأبصارهم عن ذلك، فهذا كان تلقفها، لا أنها انعدمت الحبال والعصي، إذ لو انعدمت لدخل عليهم التلبيس في عصا موسى، وكانت الشبهة تدخل عليهم، فإن الله يقول ﴿تلقف ما صنعوا﴾ وما صنعوا الحبال ولا العصي، وإنما صنعوا في أعين الناس صور الحيات، وهي التي تلقفت عصا موسى، وما قال تعالى ﴿تلقف حبالهم وعصيهم﴾ ﴿إنما صنعوا كيد ساحر﴾ أي فعلوا ما يقارب الحق، فإن الكيد من كاد، وكاد من أفعال المقاربة، أي فعلوا ما يقارب الحق في الصورة الظاهرة للبصر ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ فكانت الآية عند السحرة خوف موسى، وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي، فكان ظهور حجته على حجتهم، أن بقيت حبالهم وعصيهم في صور حبال وعصي، فلما رأى الناس الحبال حبالاً، علموا أنها مكيدة طبيعية، يعضدها قوة كيدية روحانية، وأما العامة فنسبوا ما جاء به موسى، إلى أنه من قبيل ما جاءت به السحرة، إلا أنه أقوى منهم وأعلم بالسحر، بالتلقف الذي ظهر من حية عصا موسى، فقالوا: هذا سحر عظيم، ولم تكن آية موسى عند السحرة، إلا خوفه وأخذ صور الحيات من الحبال والعصي خاصة، فمثل هذا خارج عن قوة النفس، فتخيل السحرة أن موسى خاف من الحيات، وكان موسى في نفس الأمر غير خائف من الحيات، لما تقدم له في ذلك من الله في الفعل الأول، حين قال له ﴿خذها ولا تخف﴾ فنهاه عن الخوف منها، وأعلمه أن ذلك آية له،

فكان خوفه الثاني على الناس، لئلا يلتبس عليهم الدليل والشبهة، والسحرة تظن أنه خاف من الحيات، فلبّس الله عليهم خوفه كما لبّسوا على الناس، لأن السحرة لو علمت أن خوف موسى من الغلبة بالحجة، لما سارعت إلى الإيمان، ثم إنه كان لحية موسى التلقف، ولم يكن لحياتهم تلقف ولا أثر، لأنها حبال وعصي في نفس الأمر، فلما علمت السحرة قدر ما جاء به موسى من قوة الحجة، وأنه خارج عما جاؤوا به، وتحققت شفوف ما جاء به على ما جاؤوا به، ورأوا عصاه حية حقيقة، علموا عند ذلك أنه أمر غيب من الله، الذي يدعوهم إلى الإيمان به، وما عنده من علم السحر خبر، لما علمت من خوف موسى أنه لو كان ذلك منه وكان ساحراً، ما خاف، لأنه يعلم ما يجري، فآية موسى عند السحرة خوفه، وآيته عند الناس تلقف عصاه، وعلم السحرة أن أعظم الآيات في هذا الموطن، تلقف هذه الصور من أعين الناظرين، وإبقاء صورة حية عصا موسى في أعينهم، والحال عندهم واحدة، فعلموا صدق موسى فيما يدعوهم إليه، وأن هذا الذي أتى به خارج عن الصور والحيل المعلومة عند السحرة، فهو أمر إلهي ليس لموسى عليه السلام فيه تعمل، فصدقوا برسالته على بصيرة، وآمنت السحرة ﴿فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ لما علمت السحرة أن الذي جاء به موسى من عند الله، آمنوا بما جاء به موسى عن آخرهم، وخروا سجداً عند هذه الآية، قيل كانوا ثمانين ألف ساحر، آمنوا واختاروا عذاب فرعون على عذاب الله، وآثروا الآخرة على الدنيا، وعلموا من علمهم بذلك أن الله على كل شيء قدير، وقالت السحرة ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾ قالت ذلك لرفع اللبس من أذهان السامعين.

(ف ح١/ ٢٣٤ - ح٢/ ٣٧ - ح٤/ ١٠٩ - ح٢/ ٥٧٦ - ح٣/ ٥٠٧، ٢٨٨ - ح٢/ ٣١١ - ح٣/ ٢٨٨ - ح٤/ ١٠٩ - ح٣/ ١٠٨ - ح١/ ٢٣٥، ١٥٨، ٢٣٥ - ح٢/ ٥٧٦ - ح١/ ١٥٨، ٢٣٥)

الخيال المتصل والخيال المنفصل:

نعلم من خلاصة ما سبق، أن الخيال المنفصل هو حضرة البرزخ الجامعة الشاملة، حضرة التضاهي الخيالي، وعالم الحقائق والامتزاج، فيها يتجلى الحق في الصور، أياً كانت

الصور، وفيها تظهر الروحانيات من الملائكة والجان في التشكل في الصور، مثل تمثل جبريل لمريم في صورة البشر، وتمثل الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة الضيوف، وفيه تتنزل المعاني في الصور والقوالب الحسية، وفيه يتروحن البشر في الصور، ويدخل فيما شاء من الصور، كقضيب البان وغيره، وكل ما يظهر في حضرة الخيال المنفصل فهو أجساد لا أجسام، لا يمكن تمييزها إلا بقوة إلهية يعطيها الحق من شاء من عباده، وأما الخيال المتصل، فهو القوة المتخيلة المخلوقة في الإنسان، وبها يدخل حضرة الخيال المنفصل في اليقظة والمنام.

ولذلك نقول: إن للخيال حالين، حال اتصال، وهذا الحال له بوجود الإنسان وبعض الحيوان، وحال انفصال، وهو ما يتعلق به الإدراك الظاهر منحازاً في نفس الأمر، كجبريل في صورة دحية ومن ظهر من عالم الستر من الجنة من مَلَكٍ وغيره، والفرقان بين الخيال المتصل والخيال المنفصل، أن المتصل يذهب بذهاب المتخيِّل (اسم فاعل)، والمنفصل حضرة ذاتية قابلة دائماً للمعاني والأرواح، فتجسدها بخاصيتها لا يكون غير ذلك، ومن هذا الخيال المنفصل يكون الخيال المتصل، والخيال المتصل على نوعين: منه ما يوجد عن تخيل، ومنه ما لا يوجد عن تخيل، كالنائم ما هو عن تخيل ما يراه من الصور في نومه، والذي يوجد عن تخيل ما يمسكه الإنسان في نفسه، من مثل ما أحس به، أو ما صورته القوة المصورة، إنشاءً لصورة لم يدركها الحس من حيث مجموعها، لكن آحاد المجموع لابد أن يكون محسوساً، فقد يندرج المتخيَّل (اسم مفعول) الذي هو صورة المَلَك في صورة البشر، وهو من الخيال المنفصل في الخيال المتصل، فيرفعه في الخيال المتصل، وهو حال بينهما صورة حسية، لولاها ما رفع مثالها الخيال المتصل، وأنت قد عاينت في حسك وعلى ما تعطيه نشأتك في نفسك، المعاني والروحانيين يتخيلون ويتمثلون في الأجساد المحسوسة في نظرك، بحيث إذا وقع أثر في ذلك المتصور، تأثر المعنى المتصور فيه في نفسه، ولا شك أنك أحق بحضرة الخيال من المعاني ومن الروحانيين، فإن فيك القوة المتخيلة، وهي من بعض قواك التي أوجدك الحق عليها، فأنت أحق بملكها والتصرف فيها من المعنى، إذ المعنى لا يتصف بأن له قوة خيال، ولا الروحانيون من الملأ الأعلى بأن لهم في نشأتهم قوة خيال، ومع هذا فلهم التميز في هذه الحضرة الخيالية بالتمثل والتخيل، فأنت

أولى بالتخيل والتمثل منهم، حيث فيك هذه الحضرة حقيقة، فالعامة لا تعرفها ولا تدخلها إلا إذا نامت، ورجعت القوى الحساسة إليها، والخواص يرون ذلك في اليقظة لقوة التحقق بها، فتصور الإنسان في عالم الغيب في حضرة الخيال أقرب وأولى، ولاسيما وهو في نشأته له في عالم الغيب دخول، بروحه الذي هو باطنه، وله في عالم الشهادة دخول، بجسمه الذي هو ظاهره، والروحاني ليس كذلك، وليس له دخول في عالم الشهادة إلا بالتمثل في عالم الخيال، فيشهده الحس في الخيال صورة ممثلة نوماً ويقظة، فإنْ تميّزَ الإنسان في عالم الغيب فله ذلك، فإنه يتميز فيه حقيقة لا خيالاً، من حيث روحه الذي لا يدركه الحس، وهو من عالم الغيب، وإن أراد أن يتروحن بجسمه ويظهر به في عالم الغيب، وجد المساعد وهو روحه المرتبط بتدبيره، فهو أقرب إلى التمثل في حضرة الغيب من الروحاني المتمثل في صورة عالم الشهادة، وهذا مقام يكتسب وينال[1] ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة عالم الغيب، فإن في قوة الإنسان من حيث روحه، التمثل في غير صورته في عالم الشهادة، فيظهر الإنسان في أي صورة شاء من صور بني آدم أمثاله، وفي صور الحيوانات والنبات والشجر والحجر، فإن هذه النشأة الإنسانية تعطي القبول لأي صورة كانت، فإذا علم الإنسان أنه على أصل وحقيقة تقبل الصور، فيتحمل في تحصيل أمر يتوصل به إلى معرفة الأمر، فإذا فُتِحَ له فيه، ظهر في عالم الشهادة في أي صورة من صور عالم الشهادة شاء، وظهر في عالم الغيب والملكوت في أي صورة من صوره شاء، غير أن الفرق بيننا وبين عالم الغيب، أن الإنسان إذا تروحن وظهر للروحانيين في عالم الغيب، يعرفون أنه جسم تروحن، والناس في عالم الشهادة إذا أبصروا روحاً تجسد، لا يعلمون أنه روح تجسد ابتداءً حتى يعرفوا بذلك، كما قال عليه السلام حين دخل عليه الروح الأمين، في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، قال الراوي: لا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وذكر حديث سؤاله إياه عن الإسلام والإيمان والإحسان، والساعة وما لها من الشروط، فلما فرغ من سؤاله قام ينصرف، فلما غاب قال النبي ﷺ لأصحابه: أتدرون من الرجل؟ وفي رواية: ردوا عليّ الرجل، فالتمس فلم

---

(١) يكتسب بالرياضة النفسية، ولو كان الإنسان على أي ملة أو لا دين له.

يجدوه، فقال ﷺ: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم؛ غير أن بعض الناس يعرفون الروحاني إذا تجسد من خارج من غيره من الناس، أو من جنس تلك الصورة التي يظهر فيها، وما كل أحد يعرف ذلك، ويفرقون أيضاً بين الصور الروحانية المعنوية المتجسدة، وبين الصور الممثلة من داخل، بعلامات يعرفونها، فيعرفون الروح إذا تجسد من خارج أو من داخل، من الصورة الجسمية الحقيقية، والعامة لا تعرف ذلك، والملائكة كلهم يعرفون الإنسان إذا تروحن وظهر فيهم بصورة أحدهم، أو بصورة غريبة لم يروا مثلها، فيزيدون على عالم البشر بهذا، وينقصهم أن يظهروا في عالمهم على صور بعضهم كما نظهر في عالمنا، إذا كان لنا هذا المقام في صورة جنسنا، وقد روينا أن جبريل ظهر في صورة الحس رجلاً معروفاً، كظهوره في صورة دحية، وفي وقت رجلاً غير معروف، ولم يبلغنا أنه ظهر في عالم الغيب في الملائكة في صورة غيره من الملائكة، فجبريل لا يظهر في الملائكة وفي عالم الغيب في صورة ميكائيل أو إسرافيل، وقد رأينا من له قوة التمثل من البشر، يظهر في البشر في صورة بشر آخر غير صورته، فيظهر زيد في صورة عمرو، وليس للمَلَك ذلك في عالم الغيب، وكما ظهر جبريل في صورة البشر، يظهر الإنسان في عالم الغيب عند الملائكة في صورة ملك من الملائكة، أي صورة ملك شاء. (فـ ح٣/ ٤٤٢ ـ ح٢/ ٣١١ ـ ح٣/ ٤٢ ـ ٤٤)

أثر الحب في الخيال:

أحببت شخصاً جميع الناس تعرفه	من كان في بدوه أو كان في حضره
الشمس من نوره فالقلب منزله	والمسك من ريحه والشهد من أثره
إذا أصابنه تسري الحياة به	في خدّه فيذوب القلب من خفره
لما بحثت عليه لا أراه سوى	ما قام بالنفس منه فهو من أثره
فما يهيّم قلباً في الهوى أبداً	إلا تخيله لا غير من نظره
فبالخيال نعيم الناس أجمعهم	كما به الألم الآتي على قدره
إذا علمت بهذا قد نعمت بما	تشكو نواه إذا ما غاب في سفره

(ديوان/ ٣٢١)

سبحان واضع الحكم وناصب الآيات، ومظهر جمال الدلالات، ومن أجلها عيناً، وأكملها كوناً، عالم الخيال، وبه ضرب الله الأمثال، ألا ترى الرؤيا وبعينها يدرك الخيال، يرى ما يكون قبل كونه وما كان، وما هو الوقت عليه، وأي حضرة تجد فيها هذه الجمعية إلا حضرة الخيال، وكل من تعشق بأمر ما، فما تعشق به إلا بعد أن حصله في خياله، وجعل له في وهمه مثالاً، وطبق محبوبه على مثاله، ولو لم يكن الأمر كذلك، لكان إذا فارقه من تعلق بصره به أو سمعه أو شيء من حواسه، فارق التعلق به، ونحن لا نجد الأمر كذلك، فدل على أن المحبوب عند المحب، على مثال صوّره وأنشأه في خياله، فلزم مشاهدته، فتضاعف وجده وتزايد حبه، وصار ذلك المثال الذي صوره، يحرض مصوره على طلب من صوّره على صورته، فإن ذلك الأصل هو روح هذا الخيال، وبه بقاؤه، وهو الذي يحفظه، وما اشتد حب المحب إلا في صنعته وفعله، فإن الصورة التي تعشق بها في خياله هي من صنعته.
(ف ح٣/ ٤٥٠)

ومن أحوال المحبين، طائفة نظرت إلى المثال الذي في خيالها، من الموجود الذي يظهر محبوبه فيه، ويعاين وجود محبوبه، وهو الاتصال به في خياله، فيشاهده متصلاً به اتصال لطف، ألطف منه في عينه في الوجود الخارج، وهو الذي اشتغل به قيس المجنون عن ليلى، حين جاءته من خارج، فقال لها «إليك عني» لئلا تحجبه كثافة المحسوس منها، عن لطف هذه المشاهدة الخيالية، فإنها في خياله ألطف منها في عينها وأجمل، وهذا ألطف المحبة، وصاحب هذا النعت لا يزال مُنَعَّماً لا يشكو الفراق، ولنا في هذا النعت اليد الطولى بين المحبين، فإن مثل هذا في المحبين عزيز الوجود، لغلبة الكثافة عليهم، وسبب ذلك عندنا، أنه من استفرغ في حب المعاني المجردة عن المواد، فغايته إذا كثفها أن ينزلها إلى الخيال، ولا ينزل بها أكثر، فمن كان أكثف حاله الخيال، فما ظنك بلطافته في المعاني؟! وهذا الذي حاله هذا، هو الذي يمكن أن يحب الله، فإن غايته في حبه إذا لم يجرده عن التشبيه، أن ينزله إلى الخيال، وهو قوله عليه السلام «اعبد الله كأنك تراه» فإذا أحببنا ونحن بهذه الصفة موجوداً، نحب ظهور محبوبنا فيه من المحسوسات عالم الكثائف، نلطفه بأن نرفعه إلى الخيال، لنكسوه حسناً فوق حسنه، ونجعله في حضرة لا يمكنه الهجر معها ولا الانتقال عنها، فلا يزال في اتصال دائم، ولنا في ذلك:

ما لمجـنـون عامـر من هواه	غير شكـوى البعاد والاغتراب
وأنـا ضده فإن حبـيـبـي	في خيـالي فلم أزل في اقتراب
فحبيبي مني وفي وعنـدي	فلماذا أقـول ما بي ومـا بي

(ف ح٢/ ٣٣٧)

وعلامة الحب الإلهي حب جميع الكائنات في كل حضرة، معنوية أو حسية أو خيالية أو متخيلة، ولكل حضرة عين من اسمه النور، فإذا نزل العبد إلى عالم خياله، وقد عرف الأمور على ما هي عليه مشاهدة، وقد كان قبل ذلك عرفها علماً وإيماناً، رأى الحق في حضرة الخيال صورة حسية فلم ينكره، وأنكره العابر والأجانب، وقد بلغ بي قوة الخيال، أن كان حبي يجسد لي محبوبي من خارج لعيني، كما كان يتجسد جبريل لرسول الله ﷺ، فلا أقدر أنظر إليه، ويخاطبني وأصغي إليه وأفهم عنه، ولقد تركني أياماً لا أسيغ طعاماً، كلما قدمت لي المائدة يقف على حرفها وينظر إلي ويقول لي بلسان أسمعه بأذني: تأكل وأنت تشاهدني؟! فأمتنع عن الطعام، ولا أجد جوعاً، وأمتلىء، حتى سمنت وعبلت من نظري إليه، فقام لي مقام الغذاء، وكان أصحابي وأهل بيتي يتعجبون من سمني مع عدم الغذاء، لأني كنت أبقى الأيام الكثيرة لا أذوق ذواقاً، ولا أجد جوعاً ولا عطشاً، لكنه كان لا يبرح نصب عيني، في قيامي وقعودي وحركتي وسكوني. (ف ح٢/ ١١٣ ـ ح٣/ ٢٣٥ ـ ح٢/ ٣٢٥)

واعلم أن الحواس كلها وجميع القوى، لا تدرك شيئاً حساً وخيالاً إلا بالله تعالى[1]، والكل بحمد الله خيال في نفس الأمر، لأنه لا ثبات لها دائماً على حالة واحدة «والناس نيام» وكل ما يراه النائم قد عرف ما يرى، وفي أي حضرة يرى «فإذا ماتوا انتبهوا» من هذا النوم، فما برحوا نائمين، فما برحوا في أنفسهم في هذا التنوع، وما برح ما يدركونه في أعينهم في التنوع، فلم يزل الأمر كذلك، ولا يزال الأمر في الحياة الدنيا وفي الآخرة هكذا، فالخيال عين الكمال، لولاه ما فضل الإنسان على سائر الأحوال، به جال وصال، وافتخر وطال، وبه قال ما قال، فله الشتات، والجمع بين أضداد الصفات، حكم على المحال والواجب، بما شاءه من المذاهب، يخرق فيهما العادة، ويلحقها بعالم الشهادة، فيجسدهما في عين

(١) فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله تعالى.

الناظر، ويلحق الأول في الحكم بالآخر، لا يثبت على حال، وله الثبوت على تقلب الأحوال، فله من آي القرآن ما جاء في سورة الرحمن «كل يوم هو في شأن» فمن ذلك سر تمشق القوم بالنوم. (ف ح٤/ ١٩، ٣٤٤)

النـــوم

اعلم أيدك الله أن للإنسان حالتين: حالة تسمى النوم وحالة تسمى اليقظة، وفي كلتا الحالتين قد جعل الله له إدراكاً يدرك به الأشياء، تسمى تلك الإدراكات في اليقظة حساً، وتسمى في النوم حساً مشتركاً، فكل شيء تبصره في اليقظة يسمى رؤية، وكل ما تبصره في النـوم يسمى رؤيا مقصوراً، وقد يتقوى الأمر على بعض الناس، فيدركون في اليقظة ما كانوا يدركونه في النوم، وذلك نادر، وهو لأهل هذا الطريق من نبي وولي.

(ف ح٤/ ٣٤٤)

النـــوم جامـــع أمـــر ليس يجمعـــه	غير المـنـام فـفكـر فيـه واعـتـبر
إن الخـــيـــال له حكـــم وســـلطنـــة	على الـوجـودين من معنى ومن صور
ولـيـس يدركـه في غير المـنـــام ولا	تبـــدو له صورة من حضرة الـــــور
تختص بالصـــاد لا بالسـين حضرتـه	فهـــو المـحيط بما في الغيب من صور

(ف ح٢/ ١٨٣)

فالنوم حالة تنقل العبد من مشاهدة عالم الحس إلى البرزخ، فإذا نام الإنسان نظر البصر بالوجه الذي له إلى عالم الخيال، وهو أكمل العالم فلا أكمل منه، هو أصل مصدر العالم، له الوجود الحقيقي والتحكم في الأمور كلها، يجسد المعاني، ويرد ما ليس قائماً بنفسه قائماً بنفسه، وما لا صورة له يجعل له صورة، ويرد المُحَال ممكناً، ويتصرف في الأمور كيف يشاء، فالخيال له قدرة على المحال، والخيال خلق من خلق الله، ولا تشك فيما تراه من المعاني التي جسدها لك، وأراك إياها أشخاصاً قائمة، فكذلك يأتي الله بأعمال بني آدم ـ مع كونها أعراضاً ـ صوراً قائمة توضع في الموازين لإقامة القسط، ويؤتى بالموت ـ مع كونه نسبة فوق العَرَض في البعد عن التجسيد ـ في صورة كبش أملح، يقال نام فلان فرأى كذا، أي

مقلوبه من مان[1]، أي كذب في عرف العادة، فإن العلم ما هو لبن، والقرآن ما هو عسل، ولكن هكذا تراه، فإذا كَمُلْتَ رأيته علماً في حضرة المعاني، في حال رؤيتك إياه لبناً في حضرة البرزخ، وهو هو لا غيره، وما جعل الله النوم في العالم الحيواني، إلا لمشاهدة حضرة الخيال في العموم، فيعلم أن ثَمَّ عالماً آخر يشبه العالم الحسي، ونبه بسرعة استحالة تلك الصور الخيالية للنائمين من العقلاء، على أن في العالم الحسي والكون الثابت استحالات مع الأنفاس، لكن لا تدركها الأبصار ولا الحواس[2]، إلا في الكلام خاصة وفي الحركات، وما عدا هذين الصنفين، فلا تدرك صورة الاستحالات والتغيرات فيها إلا بالبصيرة، وهو الكشف، أو بالفكر الصحيح في بعض هذه الصور لا في كلها، فإن الفكر يقصر عن ذلك.
(ف ج٣/ ٣٨ ـ ح٢/ ١٨٣، ١٩٨)

والنوم هو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة الموجبة للراحة، لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة في حال اليقظة. من الحركة، وإن كان في هواها، قال تعالى ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ يقول: وجعلنا النوم لكم راحة تستريح به النفوس، وهو على قسمين: قسم انتقال وفيه بعض الراحة، أو نيل غرض أو زيادة تعب، والقسم الآخر قسم راحة خاصة، وهو النوم الخالص الصحيح الذي ذكر الله أنه جعله راحة، لما تعبت فيه هذه الآلات والجوارح والأعضاء البدنية في حال اليقظة، وجعل زمانه الليل وإن وقع بالنهار، كما جعل النهار للمعاش وإن وقع بالليل، ولكن الحكم للغالب، فأما قسم الانتقال فهو النوم الذي يكون معه الرؤيا، فتنتقل هذه الآلات من ظاهر الحس إلى باطنه، ليرى ما تقرر في خزانة الخيال، الذي رفعت إليه الحواس ما أخذته من المحسوسات، وما صورته القوة المصورة التي هي من بعض خدم هذه الخزانة، لترى هذه النفس الناطقة ـ التي مَلَّكَها الله هذه المدينة الإنسانية ـ ما استقر في خزانتها، كما جرت العادة في الملوك إذا دخلوا خزائنهم، في أوقات خلواتهم ليطلعوا على ما فيها، وعلى قدر ما كمل لهذه النشأة، من الآلات التي هي الجوارح، والخدام الذين هم القوى الحسية، يكون الاختزان، فثَمَّ خزانة كاملة لكمال

(١) مقلوب نام.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ـ علم الاستحالة ص ٢٣٥ طبعة أولى، ص ٢٣٢ طبعة ثانية.

الحياة، وثَمّ خزانة ناقصة، كالأكمه فإنه لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الألوان، والخرس لا ينتقل إلى خزانة خياله صور الأصوات ولا الحروف اللفظية، هذا كله إذا عدمها في أصل نشأته، وأما إذا طرأت عليه هذه الآفات فلا، فإنه إذا انتقل بالنوم إلى باطن النشأة ودخل الخزانة، وجد صور الألوان التي اختزنها فيها قبل طرق الآفة، وكذلك كل ما أعطته قوة من قوى الحس الذين هم جباة هذه المملكة، ولله تجلٍ في هذه الخزانة في صور طبيعية بصفات طبيعية، مثل قوله ﷺ: «رأيت ربي في صورة شاب» وهو ما يراه النائم في نومه من المعاني في صور المحسوسات، لأن الخيال هذه حقيقته، أن يجسد ما ليس من شأنه ان يكون جسداً، وذلك لأن حضرته تعطي ذلك، وما ثَمّ في طبقات العالم من يعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية، فإنها تجمع بين النقيضين، وفيها تظهر الحقائق على ما هي عليه، لأن الحق في الأمور أن تقول في كل أمر تراه أو تدركه - بأي قوة كان الإدراك - إن ذلك الذي أدركته هو لا هو، كما قال: ﴿وما رميت إذ رميت﴾ فلا تشك في حال الرؤيا في الصورة التي تراها، أنها عين ما قيل لك إنه هو، وما تشك في التعبير إذا استيقظت، أنه ليس هو، ولا تشك في النظر الصحيح أن الأمر هو لا هو، فالحق الظاهر بالصورة هو لا هو، فهو المحدود الذي لا يُحَدّ، والمرئي الذي لا يُرَى، وما ظهر هذا الأمر إلا في هذه الحضرة الخيالية في حال النوم، أو الغيبوبة عن ظاهر المحسوسات، بأي نوع كان، وهو في النوم أتم وجوداً وأعمه، لأنه للعارفين والعامة، وحال الغيبة والفناء والمحو وشبه ذلك ما عدا النوم، لا يكون للعامة في الإلهيات، فما أوجد الله شيئاً من الكون على صورة الأمر على ما هو عليه في نفسه، إلا هذه الحضرة الخيالية، فلها الحكم العام في الطرفين، كما للممكن قبول النقيضين، فيكون له ذلك ذوقاً، فأوجد الله هذه الحضرة الخيالية ليظهر فيها الأمر - الذي هو الأصل - على ما هو عليه، وجعل تعالى هذه الحضرة كالجسر بين الشطين، للعبور عليه من هذا الشط إلى هذا الشط، فجعل النوم معبراً، وجعل المشي عليه عبوراً، قال تعالى: ﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ وجعل إدراك ذلك في حالة تسمى راحة وهي النوم، وإنما سمينا هذه الحالة من النوم بانتقال، لأن المعاني تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس المواد، كظهور الحق في صور الأجسام، والعلم في صورة اللبن وما أشبه ذلك، والانتقال الثاني،

انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى هذه الحضرة بالظاهر المحسوس، ولكن ما له في هذه الحضرة ثبوته الذي له في حضرة اليقظة، فإنه سريع التبدل في هذه الحضرة، ولهذا تعبر الرؤيا ولا يعبر ما أدركه الحس، وأما القسم الآخر من التقسيم، فهو قسم الراحة وهو النوم، الذي لا يرى فيه رؤيا، فهو لمجرد الراحة البدنية لا غير.

قال ﷺ: «الناس نيام» فيا أعجب الأخبار النبوية، لقد أبانت عن الحقائق على ما هي عليه، وعظمت ما استهونه العقل القاصر، فإنه ما صدر إلا من عظيم، وهو الحق، فإذا ارتقى الإنسان في درج المعرفة، علم أنه نائم في حال اليقظة المعهودة، وأن الأمر الذي هو فيه رؤيا إيماناً وكشفاً، ولهذا ذكر الله أموراً واقعة في ظاهر الحس وقال: ﴿فاعتبروا﴾ وقال: ﴿إن في ذلك لعبرة﴾ أي جوزوا واعبروا مما ظهر لكم من ذلك، إلى علم ما بطن به وما جاء له، لذلك قال ﷺ: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا» ولكن لا يشعرون، ولهذا قلنا: إيماناً، فالوجود كله نوم ويقظته نوم. (ف ح٢/ ٣٧٨)

الدخول إلى عالم الخيال الحقيقي

الرياضة والمجاهدة:

الرياضة ومنها رضت الدابة، هو الإذلال، ولا يوصف به إلا الجموح، والجموح نزاع، وإنما يراض المهر الصغير لجموحه وجهله بما خُلِقَ له، فإنه خُلِقَ للتسخير والركوب والحمل عليه، والمهر يأبى ذلك، فإنه ما يعلمه، فيراض حتى ينقاد في أعنة الحكم الإلهي، وكذلك رياضة النفوس، لولا ما فيها من الجموح، ما راضها صاحبها، فإن النفوس الإنسانية لما خلقها الله على الصورة الإلهية، شمخت على جميع العالم ممن ليست له هذه الحقيقة، واحتجبت عن الحقائق الإلهية، التي تستند إليها حقائق العالم حقيقة حقيقة، فاكتسبت الرياضة لأجل هذا الشموخ، فذلت تحت سلطانه، وحُمِدَت على ذلك، والرياضة تذليل الصعب من الأمور، فمن ذلل صعباً فقد راضه، وأزال عن النفس جموحها، فإنها تحب الرياسة والتقدم على أشكالها، والرياضة تمنع النفس من هذا الخاطر وسلطانه، ولا ترى لها شفوفاً على غيرها، لاشتراكها معهم في العبودية، وإحاطة القبضة بالكل، فبهاذا

ترأس؟! فتمتثل أمر الله من حيث أنها مخاطبة من عند الله بذلك، وتود أن يكون كل مخاطب من العبيد مسارعاً إلى امتثال أمر سيده، إيثاراً لجنابه، ما يخطر لها في المسارعة أن تسبق غيرها من النفوس، فيكون لها بذلك مزية على غيرها، لا يقتضي مقام الرياضة ذلك، فإن الرياضة خروج عن الأغراض النفسية مطلقاً من غير تقييد. (فـ ح٤/ ٢١٦ - ح٢/ ٥٤٩)

والمجاهدة حمل النفس على المشاق البدنية، المؤثرة في المزاج وهناً وضعفاً، كما أن الرياضة تهذيب الأخلاق النفسية، بحملها على احتمال الأذى في العِرْض، والخارج عن بدنه مما لا حركة فيه بدنية، فبالرياضة تهذبت أخلاق الإنسان وسهل انقياده، وبالمجاهدة قلَّ فضوله، ويعطي حكم ذوق العقل الرياضات النفسية وتهذيب الأخلاق، فتتضمن الرياضة المجاهدات البدنية، ولا تتضمن المجاهدة الرياضات، والرياضات أتم في الحكم، فإن النبي ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فمن جُبِلَ عليها فهو منور الذات مقدس، ومن لم يجبل عليها، فإن الرياضة تلحقه بها وتحكم عليه. (فـ ح٢/ ١٤٦ - ح٤/ ٤١٢ - ح٢/ ٥٤٩)

السلوك العقلي والسلوك الشرعي:

اعلم أن الله ما نصب طريقاً إلى معرفته ـ التي لا يستقل العقل بإدراكها من حيث فكره ـ إلا ما شرعه لعباده على ألسنة رسله وأنبيائه، وإنما قلنا هذا، لما علمنا أن ثَمَّ طريقاً آخر يقتضيه الوجود، وتحصله بعض النفوس الفاضلة، فأردنا أن نرفع الإشكال، وذلك أن النفوس تصفو بالرياضة، وترك الشهوات الطبيعية والاستغراق في الأمور المحسوسة، وتتشوق إلى ما منه جاءت، وما أريدت له؟ وإلى أين مآلها؟ وما مرتبتها من العالَم؟ وعلمت من ذاتها أن وراء هذا الجسم أمراً آخر، هو المحرك له والمدبر، لما عاينت من الموت النازل به، فتنظر إلى آلاته على كمالها، ولا ترى له تلك الإدراكات التي كانت له في زمان وصفه بالحياة، فعلمت أنه لابد من أمر آخر هناك، لا تعرف ما نسبته إلى هذا الجسم، هل نسبة العَرَض إلى محله؟ أو المتمكن إلى مكانه؟ أو الملك إلى ملكه؟ ثم علمت أن بين الموت والنوم فرقاناً، بما تراه في النوم من الصور، وما تستفيده من الأحوال الملذة والمؤلمة، وسرعة التغير في صورة النائم من حال إلى حال، ولم تَرَ ذلك في صورة الجسم، ثم تستيقظ فترى الجسم

على حاله في صورته ما تغير، وترى انفعال الجسم في بعض الأوقات لما يطرأ للنائم في حال نومه، مثل دفق الماء في الاحتلام عند رؤية الجماع في النوم، فعلمت بهذا كله أن وراء هذا الجسم أمراً آخر، بينه وبين هذه الصورة علاقة، ثم إنها رأت تفاوت الأمثال في العلوم والفهم، وافتقار بعضها إلى التعليم، ونظرت إلى حال من زهد وفكر واتخذ الخلوات، ولم يأخذ من لذات المحسوسات إلا ما تمس إليه الحاجات، مما به قوام هذا الجسم، وأن صاحب هذا الحال يزيد على نفس أخرى، بعلوم وفضائل يُفتقر إليه فيها وفي العلم بها، فنظرت في الطريق الذي أوصل تلك النفوس دون غيرها إلى هذا المقام، فلم ترَ مانعاً إلا انكباب بعض النفوس على تناول هذه المشتهيات ـ الظاهرة الطبيعية ـ والتنافس فيها، فزهدت في ذلك كله، وتحلت بمكارم الأخلاق، ولم تترك لأحد عليها مطالبة ولا علاقة، ولم تزاحمهم على ما هم عليه، وجنحت إلى الخلوات، ورفعت الهمة إلى الاستشراف، لتعلم ما هو الأمر عليه، فلما كانت بهذه المثابة، وكل ذلك نظر منها، ما هو عن تقليد شرعي إلهي، وإنما هو عن فكرة صحيحة، وإلهام إلهي ناقص غير كامل، لأن الإلهام الكامل أن يلهم لاتباع الشرع والنظر في كلامه، وفي الكتب التي قيل لنا إنها جاءت من عند الله، فمثل هذا هو الإلهام الأكمل، فلما صفت هذه النفوس وشفت، وصارت مثل المرآة، وزال عنها صدأ هذه الطبيعة، انتقش فيها صور العالم، فرأت ما لم تكن رأته، فنطقت بالغيوب، والتحقت بالملأ الأعلى التحاق غريب، ورد على غير موطنه وهو موطنه، ولكن ما عرفه لغربته، لما سافر إلى أرض طبيعته وبدنه، فلم يكن له ذلك الإدلال، ولا كمال الأنس بذلك العالم، ورأى اشتغال ذلك العالم عنه بالتسبيح والتقديس، وما سُخّروا فيه من الأعمال في حق هذه المولدات العنصرية، فرأت هذه النفس المرتاضة، ما يختص منهم بتحريك الأفلاك وتسيير كواكبها، وما يحدث في الأركان منها، وعلمت ما لم تكن تعلم، وأخذت عن الأرواح الملكية علوماً لم تكن عندها، وما علمت أن ثَمّ طريقاً تصل منه ـ إذا سلكت عليه ـ إلى الأخذ عن الله منشىء الكل، وأن بينه وبينها باباً خاصاً يخصها، فقالت: هذا هو الغاية، وما ثَمّ إلا هؤلاء، ونظرت إلى تفوقها بذلك على غيرها من أمثال فقنعت، فكل ما يأتي به مَنْ هذا نعته وحاله، ليس له ذوق إلهي البتة، ولا يأخذ أبداً إلا عن الأرواح والعقول الملكية، أخذ حال

لا أخذ نطق، إلا إن تجسد له في خياله أمر يخاطبه، أما عقول أهل الإيمان بالله، فقد رأت أن الله قد طلب منها أن تعرفه، بعد أن عرفته بأدلتها النظرية، وعلمت أن ثَمَّ علماً آخر بالله، لا تصل إليه من طريق الفكر، فاستعملت الرياضات والخلوات. والمجاهدات، وقطع العلائق والانفراد. والجلوس مع الله، بتفريغ المحل وتقديس القلب عن شوائب الأفكار، إذ كان متعلق الأفكار الأكوان، واتخذت هذه الطريقة من الأنبياء والرسل، وعلمت أن الطريق إليه من جهته أقرب إليه من طريق فكرها، فتوجه الطالب إلى الله بكله، وانقطع من كل ما يأخذ عنه من القوى، فعند هذا التوجه، أفاض الله عليه من نوره علماً إلهياً، عرفه بأن الله تعالى من طريق المشاهدة والتجلي، لا يقبله كون ولا يَرُدُّه، فإن صاحب الطريقة الشرعية يقلد الشارع فيما أخبر به، من أنه ما ثَمَّ إله بينه وبين العالم مناسبة، وأنه تعالى ليس كمثله شيء، ولا يشبه شيئاً من العالم أعلاه وأسفله، ومع هذا كله، فله عين وأعين ويد ويدان ووجه وكلام، ونزول واستواء وفرح، ومعية مع عباده بالصحبة، وقُرْب وبُعْد، وإجابة لمن دعاه ورحمة، وأن العالم كله عبيد له، خلقهم وفضل بعضهم على بعض، وأن له غضباً، وأن له خلفاء في الأرض من هذا النوع الإنساني، فعندما سمع ذلك، وعلم أن ثمة خليفة من نوعه، تشوف إلى تلك المرتبة أن ينالها، ورأى الطريق التي شرعها شارع وقته وخاطبه بها، ورأى جميع ما كان يفعله صاحب تلك النفس التي فكرت بنظرها، قد حرّضها هذا الشارع عليه وحده وقال به، فأخذ به هذا المؤمن من حيث أن الشارع جاء به، وعلق الهمة بربه الذي أوجده، لما أعلمه الشارع أنه المنتهى، فقال له ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ «وليس وراء الله مرمى» فجعله موضع غايته، وسلك سلوك المفكر الباحث صاحب النظر العقلي، لكن بالطريق الشرعي، فصفت نفسه وصقلت مرآته، وانتقش فيها صور العالَم كله الروحاني، وإلى حد الطبيعة التي دون النفس يصل أهل الفكر، وما ينتقش فيهم مما فوقها إلا من يكون سلوكه على الطريق المشروع، فإذا وصل هذا السالك على طريق الشرع، انتقش فيه ما في اللوح المحفوظ، فيرى مرتبة الشرائع، ويرى نفسه وحظه ونصيبه وغايته من العالَم، فيعمل بحسب ما يراه، فيرتفع بالطلب إلى الوجه الخاص به، فيأخذ عن الحق أخذ إلهام، وأخذ تجل، وأخذ تنزيه، وأخذ تشبيه، ويعاين سريان الوجود في الممكنات،

ويعلم عنـد ذلـك لمن الحكم فيما ظهر، ومن هو الظاهر، الذي تظهر فيه هذه الأحكام والاختلافات الروحانية والطبيعية، فإذا نطق هذان الشخصان، علم الكامل من الرجال الفرق بين الشخصين، وعلم من أين أتي على كل واحد منهما، ولماذا نقص السالك بفكره عن رتبة المتشرع، فصاحب الفكر لا يزال أبداً منكوس الرأس، منتظراً ما يأتيه به الإمداد الروحاني، وصاحب الشرع لا يزال منكوس الرأس، حياء من التجلي الإلهي في أوقات، كما لا يزال شبه الحائر الواله المبهوت، إذا رآه في كل شيء، فلا ينطق إلا به، ولا ينظر إلا إليه، ولا يعلم أن ثَمَّ عيناً سواه، فيطلبه الملأ الأعلى والأرواح العلى، والأفلاك الدائرة المتحركة، والكواكب السابحة، لتوصل إليه ما أمنت عليه مما يستحقه عليها، فلا تجد من يأخذ عنها بطريق الاعتبار والأدب، فتؤدي ذلك أداءً ذاتياً، ويأخذه منها ما بقي من نشأته أخذاً ذاتياً، وهو غائب بربه عن هذا كله[1]، فإذا رُدَّ إلى رؤية ذاته، رأى في ذاته جميع ما أعطاه العالم كله ـ أعلاه وأسفله ـ مما هو له، وهو أمانة عندهم، فشكر الله على ذلك، وعَلم أن كل ما في الكون مسخر له ولأمثاله، ولكن لا يعلمون.

(فـ ح٣/ ١٧٦ ـ ح١/ ٢٨٩ ـ ح٣/ ١٧٦ ـ ١٧٧)

الإسراء والعروج:

اعلم أن عروج المَلَك بذاته، لأنه رجوع إلى أصله، وإذا عرج الرسول ركب البراق، فعرج به البراق بذاته، وعرج الرسول لعروج البراق، بحكم التبعية والحركة القسرية، فكان محمولاً في عروجه، حمله مَنْ عروجه ذاتي، فتميز عروج الرسول من عروج الملك، ولمعراج الرسل خطاب خاص، تعطيه خاصية هذا المعراج، لا يكون إلا للرسل، فلو عرج عليه الولي، لأعطاه هذا المعراج بخاصيته ما عنده، وخاصيته ما تنفرد به الرسالة، فكان الولي إذا عرج به فيه يكون رسولاً، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن باب الرسالة والنبوة قد أغلق، فتبين لك أن هذا المعراج لا سبيل للولي إليه البتة، فمعارج الأولياء بالهمم، وشاركهم الأنبياء في هذا المعراج من كونهم أولياء، لا من كونهم أنبياء ولا رسلاً، فيعرج الولي بهمته

---

(١) وزائة من قوله تعالى ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾.

وبصيرته، على براق عمله ورفرف صدقه، معراجاً معنوياً، يناله فيه ما يعطاه خواص الهمم من مراتب الولاية والتشريف، ثم لتعلم، إذا رقيت الأولياء في معارج الهمم، فغاية وصولها إلى الأسماء الإلهية، فإن الأسماء الإلهية تطلبها، فإذا وصلت إليها في معارجها، أفاضت عليها من العلوم وأنوارها، على قدر الاستعداد الذي جاءت به، فلا تقبل منها إلا على قدر استعدادها، ولا تفتقر في ذلك إلى مَلَكٍ ولا رسول، فإنها ليست علوم تشريع، وإنما هي أنوار فهوم فيما أتى به هذا الرسول، في وحيه أو في الكتاب الذي نزل عليه أو الصحيفة لا غير، وسواء علم ذلك الكتاب أو لم يعلمه، ولا سمع بما فيه من التفاصيل، ولكن لا يخرج علم هذا الولي عن الذي جاء ذلك الرسول به، من الوحي عن الله وكتابه وصحيفته، لابد من ذلك لكل ولي صديق برسوله، إلا هذه الأمة، فإن لهم - من حيث صديقيتهم بكل رسول ونبي - العلم والفتح والفيض الإلهي بكل ما يقتضيه وحي كل نبي وصفته وكتابه وصحيفته، وبهذا فضلت على كل أمة من الأولياء، فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الإلهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه، فالأسماء الإلهية لها على كل معراج ظهور، ولهذا تخبر كل طائفة من الأولياء عن ربها في أوقات بغير واسطة، وهو قوله ﷺ: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي» وهذا المقام لكل شخص من الخلق، غير أن في القيامة يعرف كل أحد أن ربه يكلمه، وفي الدنيا لا يعرف ذلك، إلا العلماء بالله أصحاب العلامات، فيعرفون كلام الله إياهم، فسبحان من خلقنا أطواراً، وجعل لنا على علم الغيب والشهادة دليلاً ليلاً ونهاراً، فمنا من كلمه ربه غيباً، ومنا من كلمه ربه شهادة. (ف ح ٣/ ٥٥، ٥٦)

واعلم أنه لو كان إسراء رسول الله ﷺ بروحه، وتكون رؤيا كما يراه النائم في نومه، ما أنكره أحد ولا نازعه، وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه في المواطن كلها، وله ﷺ أربعة وثلاثون مرة الذي أسري به: منها إسراء واحد بجسمه، والباقي بروحه رؤيا رآها، وأما الأولياء فلهم إسراءات روحانية برزخية، يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال، يعطون العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء، غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراء الجسم، واختراق السموات والأفلاك حساً، وقطع مسافات

حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى لا حساً، من السموات فما فوقها، فمعارج الأولياء معارج أرواح، ورؤية قلوب، وصور برزخيات، ومعان متجسدات.

ألم تر أن الله أسرى بعبده	من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السموات قاصداً	إلى بيته المعمور بالملأ الأعلى
إلى السدرة العليا وكرسيه الأحمى	إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلى سبحات الوجه حين تقشعت	سحاب العمى عن عين مقلته النجلا
وكان تدليه على الأمر إذ دنا	من الله قرباً قاب قوسين أو أدنى
وكانت عيون الكون عنه بمعزل	تلاحظ ما يسقيه بالمورد الأحلى
فخاطبه بالأنس صوت عتيقه	توقف فرب العرش سبحانه صلّى
فأزعجه ذاك الخطاب وقال هل	يصلي إلهي ما سمعت به يتلى
وشال حجاب العلم عن عين قلبه	وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعاين ما لا يقدر الخلق قدره	وأيده الرحمن بالعروة الوثقى
وألفاه تواقاً إلى وجه ربه	فأكرمه الرحمن بالمنظر الأجلى
ومن قبل ذا قد كان أشهد قلبه	بغار حراء قبل ذلك في المجلى

(ف ح٣/ ٣٤٢)

الإسراء بالأولياء وورثة الرسل:

فإذا أراد الله تعالى أن يسري بأرواح من شاء من ورثة رسله وأوليائه، لأجل أن يريهم من آياته، فهو إسراء لزيادة علم، وفتح عين فهم، فيختلف مسراهم، فمنهم من أسرى به فيه، فهذا الإسراء فيه حل تركيبهم، فيوقفهم بهذا الإسراء على ما يناسبهم من كل عالم، بأن يمر بهم على أصناف العالم المركب والبسيط، فيترك مع كل عالم من ذاته ما يناسبه، وصورة تركه معه، أن يرسل الله بينه وبين ما ترك منه من ذلك الصنف من العالم حجاباً، فلا يشهده، ويبقى له شهود ما بقي، حتى يبقى بالسر الإلهي، الذي هو الوجه الخاص الذي من الله إليه، فإذا بقي وحده، رفع عنه حجاب الستر، فيبقى معه تعالى كما بقي كل

شيء منه مع مناسبه، فيبقى العبد في هذا الإسراء هو لا هو، فإذا بقي هو لا هو، أسرى به من حيث هو، لا من حيث لا هو، إسراء معنوياً لطيفاً فيه، لأنه في الأصل على صورة العالم، وصورته على صورته تعالى، فكله على صورته من حيث هو تعالى، فإن العالم على صورة الحق[1] والإنسان على صورة العالم[2]، فالإنسان على صورة الحق، فإن المساوي لأحد المتساويين، مساو لكل واحد من المتساويين، كذلك ينظر الإنسان نفسه من حيث هو على صورة الحق[3]، لا من حيث هو على صورة العالم، وإن كان العالم على صورة الحق، ولما كان الترتيب على ما وقع عليه الوجود، لتأخر النشأة الجسمية الإنسانية عن العالم، فكانت آخراً، فظهرت في نشأتها على صورة العالم، وما كان العالم على الكمال في صورة الحق، حتى وجد الإنسان فيه، فبه كَمُلَ العالَم، فهو الأول بالمرتبة والآخر بالوجود، فالإنسان من حيث رتبته، أقدم منه من حيث جسميته، فالعالَم بالإنسان على صورة الحق، والإنسان دون العالم على صورة الحق، والعالم دون الإنسان ليس على الكمال في صورة الحق، ولا يقال في الشيء: إنه على صورة كذا، حتى يكون هو من كل وجوهه، إلا الذي لا يمكن أن يقال فيه هو، فقد تميز عين كل واحد بأمر ليس هو عين الآخر، كذلك الحق حق، والإنسان إنسان، والعالم عالم، وقد بان ذلك بالتساوي، فإنه إن لم تكن ثَمَّ حقيقة يقع بها تميز الأعيان، لم يصح أن نقول كذا مساو لكذا، بل نقول عين كذا بلا تجوز، فإني قد أشرت إلى أمرين، فقد وقع التمييز، فلابد من فصل يُعْقَل، لولا ذلك الفصل ما كانت كثرة في عين الواحد، فلم يبق للواحد سوى أحديته، التي يقال بها لا هو عين الآخر، والذي يقال به هو عين الآخر، هو أحدية الكثرة، ثم قال: كل هذا هو هذا، فأشار فكثر، وأعاد الضمير فوحد، فوصل وفصل، فالفصل في عين الوصل لمن عقل، فإذا وقف الغير على ما قدمناه، وعلم أنه ما كان

(١) يعني أن العالم موجود على الصورة التي كان عليها في علم الله، وهل علم الله ذاته أم أمر زائد؟ فهو أمر مختلف فيه بين علماء التوحيد.

(٢) من حيث قوله تعالى ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ فكل ما هو في الآفاق موجود في الإنسان، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أتحسب أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر».

(٣) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه من قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته».

على صورة العالم، وإنما كان على صورة الحق، أسرى به الحق في أسمائه، ليريه من آياته فيه، فيعلم أنه المسمى بكل اسم إلهي، سواء كان ذلك الاسم من المنعوت بالحسن أو لا[1]، وبها يظهر الحق في عباده، وبها يتلوّن العبد في حالاته، فهي في الحق أسماء، وفينا تلوينات، وهي عين الشؤون التي هو فيها الحق، ففينا بنا يتصرف[2]، كما نحن به فيه نظهر[3]، ولهذا قلنا:

دليلي فيك تلويني وهذا منك يكفيني
فلم أسأل عن الأمر الذي إليك يدعوني
فإني لست أدريه وليس الأمر يدريني
فلو يدريني الأمر لما ميزت تكويني
ولا قلنا ولا قالوا سيهديني ويحييني
وقد قالوا وقد قلنا فأعنيه ويعنيني
فأفنيه وأبقيه ويفنيني ويبقيني
فأرضيه فيمدحني وأغضبه فيهجوني

فإذا أسرى الحق بالولي في أسمائه الحسنى، إلى غير ذلك من الأسماء، وكل الأسماء الإلهية، عَلِمَ تقلبات أحواله وأحوال العالم كله، وأن ذلك التقلب هو الذي أحدث فينا عين تلك الأسماء، كما علمنا أن تقلبات الأحوال أحكام تلك الأسماء، فاسم الحال الذي انقلبت منه والذي انقلبت إليه هو اسمي، به أقلب كما به تقلبت، فبالرؤوف الرحيم، كان ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وبالمؤمن كان مؤمناً، وبالمهيمن كان مهيمناً، فجعلنا شهداء بعضنا على بعض وعلى أنفسنا، وبالصبور والشكور كان ما ابتلي به، فما من اسم سمى به نفسه إلا وسمانا به، فبها نتقلب في أحوالنا وبها نُقلَّب، فمن علم هذه الآيات، فقد أسرى الحق به في أسمائه، فأراه من آياته، ليكون سميعاً بصيراً، سميعاً لما يخبر به الحق من التعريفات

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر «كل الأسماء والصفات لله تعالى بالأصالة» ص ٢١٧ الطبعة الأولى - ٢١٤ الطبعة الثانية.

(٢) راجع: العلم تابع للمعلوم - كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٢ طبعة أولى - ٢٠٩ طبعة ثانية.

(٣) راجع: وحدة الوجود - كتابنا شرح كلمات الصوفية ص ٤١٩ طبعة أولى - ص ٤٦٨ طبعة ثانية.

باللسان الخاص، وهو ما أنزله من كلامه الذي نسبه إليه، وباللسان العام[1] وهو ما يتكلم به جميع العالم، مما يتكلمون به، كان ما كان، إذ ليس في وسع المخلوق أن ينطق من غير أن يُنطَق، فإذا نُطِّق نَطَق فأفهم، فإذا أكمل حظه من الإسراء في الأسماء، وعلم ما أعطته من الآيات أسماء الله في ذلك الإسراء، عاد يركب ذاته تركيباً غير ذلك التركيب الأول، لما حصل له من العلم الذي لم يكن عليه حين تحلل، فما زال يمر على أصناف العالم، ويأخذ من كل عالم ما ترك عنده منه، فيتركب في ذاته، فلا يزال يظهر في طور طور، إلى أن يصل إلى الأرض، فيصبح في أهله، وما عرف أحد ما طرأ عليه في سرّه حتى تكلم، فسمعوا منه لساناً غير اللسان الذي كانوا يعرفونه، فإذا قال له أحدهم: ما هذا؟ يقول له: «إن الله أسرى بي فأراني من آياته ما شاء» فيقول له السامعون: ما فقدناك، كذبت فيما ادعيت من ذلك، ويقول الفقيه منهم: هذا رجل يدعي النبوة، أو قد دخله خلل في عقله، فهو إما زنديق فيجب قتله، وإما معتوه فلا خطاب لنا معه، فيسخر به قوم، ويعتبر به آخرون، ويؤمن بقوله آخرون، وترجع مسألة خلاف في العالم، وغاب الفقيه عن قوله تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ ولم يخص طائفة من طائفة، فمن أراه الله شيئاً من هذه الآيات على هذه الطريقة التي ذكرناها، فليذكر ما رآه ولا يذكر الطريقة، فإنه يُصَدَّق ويُنْظَر في كلامه، ولا يقع الإنكار عليه إلا إذا ادعى الطريقة. (فس ح٣/ ٣٤٣)

الفرق بين عروج صاحب النظر وعروج صاحب الشريعة:

إذا سلك رجلان أو شخصان ـ إن كانا امرأتين أو إحداهما امرأة ـ في الطريق، الواحد بحكم النظر، والآخر بحكم التقليد، وأخذا في الرياضة، وهو تهذيب الأخلاق، والمجاهدة وهي المشاق البدنية، من الجوع والعبادات العملية البدنية، كالقيام الطويل في الصلاة والدؤوب عليها، والصيام والحج والجهاد والسياحة، هذا بنظره، وهذا بما شرع له أستاذه ومعلمه المسمى شارعاً، فلما فرغا من أسر الطبيعة العنصرية، وما بقي واحد منهما يأخذ من حكم الطبيعة العنصرية، إلا الضروري الذي يحفظ به وجود هذا الجسم، الذي

(١) راجع «ألسنة العالم كلها أقوال الحق» كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢١٨ طبعة أولى ـ ص ٢١٥ طبعة ثانية.

بوجوده واعتداله وبقائه يحصل لهذه النفس الجزئية مطلوبها، من العلم بالله الذي استخلفها خاصة، فإذا خرجا عن حكم الشهوات الطبيعية العنصرية، وفتح لهما باب **السماء الدنيا** تلقى المقلد آدم عليه السلام، ففرح به وأنزله إلى جانبه، وتلقى صاحب النظر المستقل روحانية القمر فأنزله عنده، فإن روحانية كل كوكب من الكواكب السيارة السبعة، ملك من ملائكة تلك السماء، يجري مع ذلك الكوكب المسخر في سباحته، لأن الله هو الذي وجهه إلى غاية يقصدها عن أمر خالقه، أما التابع نزيل آدم، فيعلمه أبوه من الأسماء الإلهية على قدر ما رأى أنه يحمله مزاجه، وفي أول سماء يقف من علم آدم، على الوجه الإلهي الخاص الذي لكل موجود سوى الله، الذي يحجبه عن الوقوف مع سببه وعلته، وصاحب النظر لا علم له بذلك الوجه أصلاً، فعلم كل واحد منهما ما لهذا الفلك من الحكم، الذي ولاه الله به في الأركان الأربعة والمولدات، وما أوحى الله في هذه السماء من الأمر المختص بها في قوله ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ وما علم صاحب النظر نزيل القمر من ذلك، إلا ما يختص بالتأثيرات البدنية والاستحالات في أعيان الأجسام المركبة من الطبيعة العنصرية، وحصل التابع ما فيها من العلم الإلهي، الحاصل للنفوس الجزئية مما هو لهذا الفلك خاصة، وما نسبة وجود الحق من ذلك؟ وما له فيهم من الصور؟ ومن أين صحت الخلافة لهذه النشأة الإنسانية؟ فعلم التابع صورة الاستخلاف في العلم الإلهي، وعلم صاحب النظر الاستخلاف العنصري في تدبير الأبدان، وعلل الزيادة والربو والنمو في الأجسام القابلة لذلك والنقص، فكل ما حصل لصاحب النظر حصل للتابع، وما كل ما حصل للتابع حصل لصاحب النظر، فما يزداد صاحب النظر إلا غماً على غم، وما يصدق متى ينقضي سفره ويرجع إلى بدنه، فإنهم في هذا السفر مثل النائم فيما يرى في نومه، والتابع ليس كذلك، فإنه يرى الترقي يصحبه حيث كان، من ذلك الوجه الذي لا يعرفه إلا صاحب هذا الوجه، فإذا أقاما في هذه السماء ما شاء الله، وأخذا في الرحلة، وودع كل واحد منهما نزيله، وارتقيا في معراج الأرواح إلى **السماء الثانية** وقرعاها وفتحت لهما، صعدا، فنزل التابع عند عيسى عليه السلام وعنده يحيى ابن خالته، ونزل صاحب النظر عند الكاتب، وأقام التابع عند ابني الخالة ما شاء الله، فأوقفاه على صحة المعلم رسول الله ﷺ بدلالة

إعجاز القرآن، ويحصل له الفرقان في مرتبة خرق العوائد، وكما أن الروح والحياة لا يفترقان، كذلك هذان النبيان عيسى ويحيى لا يفترقان، لما يحملانه من هذا السر، ويحصل للتابع علم سر التكوين من هذه السماء، فيعلم الحياة الطبيعية، ويعلم علم المقدار والميزان الطبيعي والروحاني، لجمع عيسى بين الأمرين، ومن هذه السماء يحصل لنفس هذا التابع الحياة العلمية، التي يحيي بها القلوب، إلى غير ذلك من العلوم، وهو من الوجه الخاص، الخارج عن الطريق المعتادة في العلم الطبيعي، الذي يقتضي الترتيب النسبي الموضوع، وإذا انصرف الكاتب إلى نزيله، فإنه كان في خدمة التابع نزيل عيسى ويحيى عليهما السلام، حتى يفرغ من الخدمة، أعطى نزيله إذا رد نظره إليه من العلم المودع في مجراه، ما يعطيه استعداده مما له من الحكم في الأجسام التي تحته من العالم العنصري، لا من أرواحه، فذلك قراه يطلب الرحيل عنه، فجاء صاحب النظر إلى صاحبه التابع، وخرجا يطلبان السماء الثالثة، فلما قرعا **السماء الثالثة** فتحت، فصعدا فيها، فتلقى التابع يوسف عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب الزهرة، فالتابع يتلقى من يوسف عليه السلام ما خصه الله به من العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، وعرفه بموازينها ومقاديرها ونَسَبها ونِسَبها، وما زال يعلمه تجسد المعاني في النسب، في صورة الحس والمحسوس، وعرفه معنى التأويل في ذلك كله، إلى غير ذلك من العلوم، التي يزيد التابع على الناظر بما أعطاه الوجه الخاص من العلم الإلهي، وتلقى الناظر من كوكب الزهرة، ما خصه من تأثير الفلك في عالم الأجسام، ثم انتقل الصاحبان يطلبان **السماء الوسطى** التي هي قلب السموات كلها، فلما دخلاها، تلقى التابع إدريس عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب الشمس، فحصل لهما من تحصيل العلوم على النهج السابق، ثم يرحلان يطلبان **السماء الخامسة** فنزل التابع بهارون عليه السلام، ونزل صاحب النظر بالأحمر، وأخذ كل منهما ما يخصه وانصرفا يطلبان **السماء السادسة** فنزل التابع على موسى عليه السلام، فأفاده اثني عشر ألف علم من العلم الإلهي، سوى ما أفاده من علوم الدور والكور، وأعلمه أن التجلي الإلهي إنما يقع في صور الاعتقادات وفي الحاجات[1]، ونزل صاحب النظر على البرجيس، فعرفه ببعض ما

---

(١) يشير هنا إلى تجلي الحق لموسى عليه السلام في صورة النار، التي خرج موسى عليه السلام

يليق به مما عليه التابع من علم موسى، بما يختص من تأثيرات الحركات الفلكية في النشأة العنصرية لا غير، وارتحلا، التابع المحمدي على رفرف العناية، وصاحب النظر على براق الفكر، ففتح لهما السماء السابعة وهي الأولى من هناك، فتلقى التابع إبراهيم الخليل عليه السلام، وتلقى صاحب النظر كوكب كيوان، ووجد التابع الخليل مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فقال الخليل له: أيها التابع ميز المراتب، واعرف المذاهب، وكن على بينة من ربك في أمرك، ولا تهمل حديثك، فإنك غير مهمل، ولا متروك سدى، اجعل قلبك مثل هذا البيت المعمور، بحضورك مع الحق في كل حال، واعلم أنه ما وسع الحق شيء سوى قلب المؤمن، وهو أنت، فعندما سمع صاحب النظر هذا الخطاب، قال: ياحسرتي على ما فرطت في جنب الله. وإن كنت لمن الساخرين؛ وعلم ما فاته من الإيمان بذلك الرسول واتباع سنته، ويقول: ياليتني لم اتخذ عقلي دليلاً، ولا سلكت معه إلى الفكر سبيلاً، فإنك إذا صقلت مرآة نفسك بالرياضات والمجاهدات حتى تزكو، وأزلت عنها صدأ الطبيعة، وقابلت بمرآة ذاتك صور العالم، انتقش فيها جميع ما في العالم كله، وإلى هذا الحد ينتهي صاحب النظر وأتباع الرسل، وهذه الحضرة الجامعة لهما، ويزيد التابع على صاحب النظر بأمور لم تنتقش في العالم جملة واحدة، من حيث ذلك الوجه الخاص، الذي لله في كل ممكن محدث، مما لا ينحصر ولا ينضبط ولا يتصور، يمتاز به هذا التابع عن صاحب النظر، فاستفاد التابع من إبراهيم عليه السلام ما قدر الله له من العلوم، وأراد صاحب النظر القرب من إبراهيم عليه السلام، فقال إبراهيم للتابع: من هذا الأجنبي معك؟ فقال: هو أخي؛ قال: أخوك من الرضاعة أو أخوك من النسب؟ قال: أخي من الماء؛ قال: صدقت، لهذا لا أعرفه، لا تصاحب إلا من هو أخوك من الرضاعة، كما أني أبوك من الرضاعة[1]، فإن الحضرة السعادية، لا تقبل إلا إخوان الرضاعة وآباءها وأمهاتها، فإنها النافعة عند الله،

في طلبها لحاجة أهله، وهي قوله ﴿إني آنست ناراً﴾ وقوله تعالى: ﴿أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ سورة النمل الآية /٨/ و/٩/.

(١) الرضاعة إشارة إلى الإيمان بالله ورسله ﴿ملة أبيكم إبراهيم﴾.

ثم أمره أن يدخل البيت المعمور فدخله دون صاحبه، وصاحبه منكوس الرأس، ثم خرج من الباب الذي دخل منه، ولم يخرج من باب الملائكة، وهو الباب الثاني لخاصية فيه، وهو أنه من خرج منه لا يرجع إليه، ثم ارتحل من عنده يطلب العروج، ومُسك صاحبه صاحب النظر هنالك، وقيل له: قف حتى يرجع صاحبك، فإنه لا قدم لك هنا، هذا آخر الدخان[1]؛ فبقي هنالك، ومشى التابع فبلغ به سدرة المنتهى فرأى صور أعمال السعداء من النبيين وأتباع الرسل، ورأى عمله من جملة أعمالهم، فشكر الله على ما وفقه إليه من اتباع الرسول المعلم، وعاين هنالك أربعة أنهار: منها نهر كبير عظيم، فقيل له: هذا مثل مضروب أقيم لك، هذا النهر العظيم هو القرآن، وهذه الثلاثة الأنهار الكتب الثلاثة، التوراة والزبور والإنجيل، وهذه الجداول الصحف المنزلة على الأنبياء، فمن شرب من أي نهر كان أو أي جدول، فهو لمن شرب منه وارث، وكلٌ حق، فإنه كلام الله، والعلماء ورثة الأنبياء بما شربوا من هذه الأنهار والجداول، فاشرع في نهر القرآن تفز بكل سبيل للسعادة، فإنه نهر محمد ﷺ الذي صحت له النبوة وآدم بين الماء والطين، وأوتي جوامع الكلم، وبعث عامة، ونسخت به فروع الأحكام، ولم ينسخ له حكم بغيره، ورأى السدرة وقد غشاها النور، فإليها تنتهي أعمال بني آدم السعادية، وفيها مخازنها إلى يوم الدين، وهنا أول أقدام السعداء، والسماء السابعة التي وقف عندها صاحبك منتهى الدخان، ولابد لها ولمن هو تحتها من الاستحالة إلى صور كانت عليها، أو على أمثالها قبل أن تكون سماء، ثم قيل لهذا التابع: ارق فرقي في فلك المنازل فتلقاه من هنالك من الملائكة والأرواح الكوكبية، ما يزيد على ألف، وعشرات من الحضرات تسكنها هذه الأرواح، فعاين منازل السائرين إلى الله تعالى بالأعمال المشروعة، فلم يزل يقطعها منزلة منزلة، بسبع حقائق هو عليها، كما يقطع فيها السبع الدراري، ولكن في زمان أقرب، حتى وقف على حقائقها بأجمعها، وقد كان أوصاه إدريس بذلك، فلما عاين كل منزل منها، رآها وجميع ما فيها من الكواكب تقطع في فلك آخر فوقها، فطلب الارتقاء فيه، ليرى ما أودع الله في هذه الأمور، من الآيات والعجائب الدالة على قدرته وعلمه، فعندما حصل على سطحه، حصل في الجنة الدهماء،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

فرأى ما فيها، مما وصف الله في كتابه من صفة الجنات، وعاين درجاتها وغرفها، وما أعد الله لأهلها فيها، ورأى جنته المخصوصة به، واطلع على جنات الميراث وجنات الاختصاص وجنات الأعمال، وذاق من كل نعيم منها، بحسب ما يعطيه ذوق موطن القوة الجنانية، فلما بلغ من ذلك أمنيته، رُقي به إلى المستوى الأزهى، والستر الأبهى، فرأى صور آدم وبنيه السعداء من خلف تلك الستور، فعلم معناها وما أودع الله من الحكمة فيها، وما عليها من الخلع التي كساها بني آدم، فسلمت عليه تلك الصور، فرأى صورته فيهن، فعانقها وعانقته، واندفعت معه إلى المكانة الزلفى، فدخل **فلك البروج** الذي قال الله فيه فأقسم به ﴿والسماء ذات البروج﴾ فعلم أن التكوينات التي تكون في الجنان من حركة هذا الفلك، وله الحركة اليومية في العالم الزماني، والتكوينات التي تكون في جهنم من حركة **فلك الكواكب**، وهو سقف جهنم أعني مقعره، وسطحه أرض الجنة، فالوجود كل متحرك على الدوام دنيا وآخرة، لأن التكوين لا يكون عن سكون، فمن الله توجهات دائمة، وكلمات لا تنفذ، ليكون خلاقاً على الدوام، والكون فقيراً على الدوام، فيعلم التابع من هذه الحضرة التكوينات الجنانية وجميع ما ذكرناه، وأما صاحب النظر رفيق التابع، فما عنده خبر بشيء من هذا كله، لأنه تنبيه نبوي لا نظر فكري، وصاحب النظر مقيد تحت سلطان فكره، وليس للفكر مجال إلا في ميدانه الخاص به وهو معلوم بين الميادين، فإن لكل قوة في الإنسان ميدان يجول فيه لا يتعداه، ومهما تعدت ميدانها وقعت في الغلط والخطأ، ووصفت بالتحريف عن طريقها المستقيم، فالعقول الموصوفة بالضلال إنما أضلتها أفكارها، وإنما ضلت أفكارها لتصرفها في غير موطنها، ثم يخرج بالتابع مع حامله إلى **الكرسي** فيرى فيه انقسام الكلمة، التي وصفت قبل وصولها إلى هذا المقام بالوحدة، ويرى القدمين اللتين تدلتا إليه، فينكب من ساعته إلى تقبيلهما، القدم الواحدة تعطي ثبوت أهل الجنات في جناتهم، وهي قدم الصدق، والقدم الأخرى تعطي ثبوت أهل جهنم في جهنم على أي حالة أراد، وهي قدم الجبروت، فيعرف التابع من هذا المقام ما لكل دار، ثم إنه يفارق هذا الموضع ويزج به في **النور الأعظم**، فيغلبه الوجد، وهذا النور هو حضرة الأحوال، الظاهر حكمها في الأشخاص الإنسانية، ثم يخرج من ذلك النور إلى موضع الرحمة العامة

التي وسعت كل شيء، وهـو المعـبر عنه **بالعرش**، فيجد هنالك من الحقائق الملكية، إسرافيل وجبريل وميكائيل ورضوان ومالك، ومن الحقائق البشرية، آدم وإبراهيم ومحمداً سلام الله عليهم، فيجد عند آدم وإسرافيل علم الصور الظاهرة في العالم، المسماة أجساماً وأجساداً وهياكل، سواء كانت نورية أو غير نورية، ويجد عند جبريل ومحمد عليهما السلام، علم الأرواح المنفوخة في هذه الصور التي عند آدم وإسرافيل، فيقف على معاني ذلك كله، ويرى نسبة هذه الأرواح إلى هذه الصور، وتدبيرها إياها، ومن أين وقع فيها التفاضل، مع انبعاثها من أصل واحد؟ وكذلك الصور، علم من هذه الحضرة ذلك كله، ويعلم من هذه الحضرة علم الأكاسير، التي تقلب صور الأجساد بما فيه من الروح، وينظر إلى ميكائيل وإبراهيم عليهما السلام، فيجد عندهما علم الأرزاق، وما يكون به التغذي للصور والأرواح، وبماذا يكون بقاؤها، ثم ينظر إلى رضوان ومالك، فيجد عندهما علم السعادة والشقاء، والجنة ودرجاتها، وجهنم ودركاتها، وهو علم المراتب في الوعد والوعيد، ويعلم حقيقة ما تعطي كل واحدة منهما، وإذا علم هذا كله، علم العرش وحملته وما تحت إحاطته، وهو منتهى الأجسام، وليس وراءه جسم مركب ذو شكل ومقدار.

المعراج المعنوي:

فإذا علم هذا كله، عرج به معراجاً آخر معنوياً ـ في غير صورة متخيلة ـ إلى مرتبة المقادير، فيعلم منها كميات الأشياء الجسمية وأوزانها، في الأجسام المقدرة من المحيط إلى التراب، وما فيهن وما بينهن من أصناف العالم، الذين هم عمار هذه الأمكنة، ثم ينتقل إلى علم **الجوهر المظلم** الكلي، الذي لا جزء له ولا صورة فيه، وهو غيبُ كلِّ ما وراءه من العالم، ومنه ظهرت هذه الأنوار والضياءات في عالم الأجسام، وهي الأنوار المركبة، سلخت من هذا الجوهر فبقي مظلماً، ثم ينتقل من هذا المقام إلى **حضرة الطبيعة البسيطة** فيعلم حكمها في الأجسام مطلقاً، من اختلاف تركيبها وأحوالها، ومن أين وقع الغلط لبعض الطبيعيين فيما غلطوا فيه من العلم بأحكامها؟ وذلك لجهلهم بالعلم بذاتها، فصاحب هذا الكشف يعلم ذلك كله، ثم ينتقل من النظر في ذلك إلى شهود **اللوح المحفوظ**، وهو الموجود الانبعاثي عن القلم، وقد رقم الله فيه ما شاء من الكوائن في العالم، فيعلم هذا

التالي لما في هذا اللوح، علم القوتين، وهما علم العلم وعلم العمل، ويعلم الانفعالات الانبعاثية، ومن كون هذا الروح لوحاً، يعلم ما سطره فيه، مَنْ سماه لوحاً بالقلم الإلهي، مما أملاه الحق عليه، وكتابته فيه نقش صور المعلومات، التي يجريها الله في العالم في الدنيا إلى يوم القيامة خاصة، وهي علوم محصورة مسطرة صوراً، كصور الحروف المرقومة في الألواح والكتب المسماة كلمات، ثم ينتقل هذا التابع من هذا المقام، إلى مشاهدة **القلم الأعلى**، فيحصل له من هذا المشهد علم الولاية، ومن هنالك هو ابتداء مرتبة الخلافة والنيابة، ومن هناك دونت الدواوين، وظهر سلطان الاسم المدبر والمفصل، وهذا هو علم القلم، ويشاهد تحريك اليمنى إياه، التحريك المعنوي اللطيف، ومَن أين يستمد، وأنه من ذاته له علم الإجمال والتفصيل، والتفصيل يظهر بالتسطير، وهو عين دواته، فلا افتقار له إلى معلم يستمدّ منه سوى خالقه عز وجل، وكتابته نقش، ولهذا تثبت فلا تقبل المحو، وبهذا سمي اللوح المحفوظ، يعني عن المحو، فيفرق من هذا المشهد بين الأقلام والألواح وأنواع الكتبة، ويعلم علم الأحكام والإحكام، ومن هنا يعلم أنه لم يبق في الإمكان ما ينبغي أن يكون دليلاً على الله، إلا وقد ظهر من كونه دليلاً، وإن كثرت الأدلة، فيجمعها كمالية الدلالة خاصة، ثم ينظر عن يمين هذا المشهد فينظر إلى **عالم الهيمان** وهو العالم المخلوق من العماء، ثم ينتقل إلى **العماء** وهو مستوى الاسم الرب، كما كان العرش مستوى الرحمن، والعماء هو أول الأينيات[1]، ومنه ظهرت الظروف المكانيات والمراتب، فيمن لم يقبل المكان وقبل المكانة، ومنه ظهرت المَحَال القابلة للمعاني الجسمانية حساً وخيالاً، وهو موجود شريف، الحق معناه، وهو الحق المخلوق به كل ما سوى الله، وهو المعنى الذي ثبتت فيه واستقرت أعيان الممكنات، ويقبل حقيقة الأين وظرفية المكان ورتبة المكانة واسم المحل، ومن عالم الأرض إلى هذا العماء، ليس فيهما من أسماء الله سوى أسماء الأفعال خاصة، ليس لغيرها أثر في كون مما بينهما، من العالم المعقول والمحسوس، ومن هذا العماء يبتدي بالترقي والمعراج في أسماء التنزيه، إلى أن يصل إلى الحضرة التي يشهد فيها أن التنزيه يُحِدُّه، ويشير إليه ويقيده،

---

(١) قيل لرسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل خلق الخلق؟ قال: في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ـ الحديث ـ.

ويستشرف على العالم بأسره، المعنوي والروحاني والجسمي والجسماني، فلا يجد في مشهده ذلك، ما ينبغي أن ينزه عنه من ظهر فيه، ويرى ارتباطه به ارتباط المرتبة بصاحبها، فلا يتمكن له التنزيه الذي كان يتخيله، ولا يتمكن له التشبيه، فإنه ليس ثَمَّ بمن، وهذه هي الحضرة التي لا تقبل التنزيه ولا التشبيه، فيتنزه عن الحد بنفي التنزيه، وعن المقدار بنفي التشبيه، ثم ينقلب التابع فيطلب ما منه خرج، فسلك به الحق تعالى طريقاً غير طريقه الأولى، وهو طريق لا يتمكن أن ينقال، ولا يعرفه إلا من شاهده ذوقاً. (ف ح ٢/ ٢٧٣، ٢٨٣)

التلبيس في هذه الحضرة:

اعلم أنها يقع التلبيس في الحضرة الخيالية، من كون الجن والشياطين تخيل للناس صوراً عنهم وعن غيرهم، وليس بحقيقة، وهذه المسألة التبس الأمر فيها على أبي حامد الغزالي وغيره، وممن التبس عليه الأمر في ذلك ـ من الشيوخ الذين أدركناهم ـ أبو أحمد بن سيدبون بوادي أشت، فكان يقول هو وأمثاله: إن الإنسان إنما يطرأ عليه التلبيس ما دام في عالم العناصر، فإذا ارتقى عنها وفتحت له أبواب السماء، عصم من التلبيس، فإنه في عالم الحفظ والعصمة من المردة والشياطين، فكل ما يراه هنالك حق، وذلك صحيح أن الأمر كما زعموه، ولكن إذا كان المعراج فيها جسماً وروحاً، كمعراج رسول الله ﷺ، وأما من عُرِجَ به بخاطره وروحانيته بغير انفصال موت، بل بفناء أو قوة نظر يُعطَى إياها، وجسده في بيته، وهو غائب عنه بفناء، أو حاضر معه لقوة هو عليها، فلابد من التلبيس، إن لم يكن لهذا الشخص علامة إلهية بينه وبين الله، يكون فيها على بينة من ربه، فيما يراه ويشاهده ويخاطب به، فإن كان له علامة يكون بها على بينة من ربه، وإلا فالتلبيس يحصل له، وعدم القطع بالعلم في ذلك إن كان منصفاً، وقد يكون الذي شاهده حقاً، ويكون معصوماً محفوظاً في نفس الأمر، ولكن لا علم له بذلك، فإذا كان على بينة من ربه، حينئذ يأمن التلبيس، كما أمنته الأنبياء عليهم السلام فيما يلقى إليهم من الوحي في بيوتهم، وذلك أن الشيطان لا يزال مراقباً لحال هذا المريد المكاشف، سواء كان من أهل العلامات أو لم يكن، فإن له حرصاً على الإغواء والتلبيس، ولعلمه بأن الله قد يخذل عبده بعد عصمته مما يلقى إليه، فيقول: عسى؛ ويعيش بالترجي والتوقع، وإن عصم باطن الإنسان منه، ورأى أنوار

الملائكة قد حفت بهذا العبد، انتقل إلى حسه، فيظهر له في صورة الحس أموراً، عسى يأخذه بها عما هو بسبيله مع الله في باطنه، وهذا فعله مع كل معصوم محفوظ بأنوار الملائكة حساً في باطنه، وأما إن كان معصوماً في نفس الأمر، وليس على باطنه حفظة من الملائكة، فإن الشيطان يأتي إلى قلبه، وهذا الشخص بكونه معصوماً في نفس الأمر، بالبينة التي هو عليها من ربه، لا يقبل منه ما يلقي إليه، هذا إن لم يكن متبحراً في العلم، ويكون صاحب مقام مقصور عليه، وأما إن كان صاحب تمكين وتبحر في العلم الإلهي، أخذ ذلك منه، فإنه رسول من الله إليه، فإن كان محموداً قلب عينه في مجرد الأخذ، حيث أخذه عن الله، ولم يلتفت إلى الواسطة، لعلمه بمحلها عند الله من الطرد والبعد، فينقلب خاسئاً، حيث أراد أمراً فلم يتم له، بل كان فيه زيادة سعادة لهذا الشخص، ولكن من حرصه على الإغواء، يعود إليه المرة بعد المرة، وإن كان الذي أتاه به ملموماً قلب عينه، فصار محموداً في حقه، بأن يصرفه على المصرف المرضي، فينقلب خاسئاً، حيث أراد أمراً فلم يتم له، بل كان فيه سعادة لهذا الشخص، فإن كان حال هذا الشخص **الأخذ من الأرض**، أقام له الشيطان أرضاً ليأخذ منها، فإما أن يردّه خاسئاً ويفرق بين الأرضين، وإما أن يكون متبحراً، فيشكر الله حيث أعطاه أيضاً أرضاً متخيلة، كما أعطاه أرضاً محسوسة، وينظر سر الله فيها، ويأخذ منها ما أودع الله فيها من الأسرار التي لم تخطر ببال إبليس، ويردها الله لهذا الشخص زيادة في ملكه، وإن كان حاله **السماء**، فإن الشيطان يقيم له سماء مثل السماء التي يأخذ منها، ويدرج له من السموم القاتلة ما يقدر عليه، فيعامله العارف بما ذكرناه في معاملته له بالأرض، وإن لم يكن في هذا المقام لُبِّس عليه، وتجرع تلك السموم القاتلة، ولحق بالأخسرين أعمالاً، وإن كان حاله في **سدرة المنتهى** أو في ملك من الملائكة، جلى له صورة سدرة مثلها أو صورة مثل صورة ذلك الملك، وتسمى له باسمه، ثم ألقى إليه ما عرف أنه يُلقى إليه من ذلك المقام الذي هو فيه، ليلبس عليه، فإن كان من أهل التلبيس فقد ظفر به عدوه، وإن كان معصوماً حفظ منه، فيطرده ويرمي ما جاء به، أو يأخذه من الله دونه، ويشكر الله على ما أولاه وما زاده، ثم يرتقي هذا الشخص إلى حال هو أعلى، فإن كان حاله **العرش** أو العماء أو الأسماء الإلهية، ألقى إليه الشيطان بحسب حاله ميزاناً

بميزان، فإن كان من أهـل التلبيس، كان كما ذكرناه، وإن لم يكن، انقسم أمره إلى ما ذكرناه، فقد أعلمتك أن الشيطان لا يجلّي للشخص، إلا على ما هي عليه حالته في صورة ذلك على السواء، وعلى ما استقر في ذهنه مما قررته الشريعة، ألا ترى ابن صياد، لما أظهر له إبليسه العرش، إذ كان حاله، وأبصر ذلك العرش على البحر، لأنه رأى الله تعالى يقول ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فجلّى له العرش على البحر وهو قاعد عليه، يأخذ عنه ابن صياد، ويتخيل أنـه يأخـذ عن الله، فإن الله قد قال على ما أخبره به رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ فقال له رسول الله ﷺ «ماذا ترى؟» قال «أرى العرش» قال «أين؟» قال «علـى البحر» فقال له رسول الله ﷺ «ذلك عرش إبليس» وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان من القرآن، فقال له رسول الله ﷺ «ما خبأت لك؟» فقال «الدخ» والدخ هي لغة في الدخان، فقال له رسول الله ﷺ «اخسأ فلن تعدو قدرك» يعني إنك ممن لُبّس عليه الأمر، فإنـه ﷺ ما خبأ له إلا سورة الـدخان، وهي تحوي على الدخان وعلى غيره، فما خبأ له الدخان، فأتاه باسم السورة لا بما خبأ له، وما قال: سورة الدخان، وإنما قال: الدخ، ولم يأت في هذه السورة إلا الدخان لا الدخ، وإن كان هو بعينه، فلم يفرق ابن الصياد بين سورة الدخان وبين الدخان، فجهل، فلهذا قال له رسول الله ﷺ «اخسأ فلن تعدو قدرك» حيث جاء من هذه السورة بما يناسب إبليس، الذي عرفه بذلك، وهو أن الشيطان مخلوق من النار، فما رأى من تلك الخبيئة إلا ما يناسبه، وما عرف أنها سورة الدخان، فألقى إلى ابن صياد في روعه هذا القدر، وذلك أن النبي ﷺ تلفظ باسم السورة عندما عيّنها في نفسه، فسرقهـا الشيطان واختـطفهـا من لفظه، ولو أضمرها رسول الله ﷺ في نفسه ما عرفها إبليس، فإنه ليس له على قلبه ﷺ اطلاع ولا استشراف، بخلاف قلب الولي، فإن النبي معصوم من الوسوسة في حال نزول الوحي وفي غيرها، لا فرق، ألا ترى الشيطان لما علم أن رسول الله ﷺ بهذه المثابة والعناية من الله، في عصمة قلبه من استشراف إبليس عليه، جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة نار مخيلة، فرمى بها في وجهه، وغرضه أن يحول بينه وبين الصلاة، لما يرى له فيها من الخير، فإنه يحسده بالطبع، فتأخر النبي ﷺ إلى خلف ولم يقطع صلاته، وأخبر بذلك أصحابه، وأما الولي، فقد يلقي إليه في قلبه، وقد يسمع منه ما يحدث

به نفسه، فيطمع أن يلبس عليه حاله كما ذكرناه، فمن كان على بينة من ربه فقد سعد، وارتفع الإشكال ولابد، للبينة التي يكون عليها أن تكون بينة له، وإن لم تكن بينة، فلا يقدر أن يحكم بها، فإنه قد تكون علامة لا بينة، فيتخيل أن العلامة هي البينة، وليس كذلك، فإن العلامة إذا كانت بينة وهو التحقق بها، وبها يقطع النبيون والأولياء فيما يرد عليهم من الله، وكانت في الباطن لا تزول عنه، فصاحبها هو الذي يكون بها على بينة من ربه في نفسه، وإن كانت العلامة في غيره، كان ذلك الغير حاكماً لها، إن شاء ظهر له فيها وإن شاء لم يظهر، فالعلامة إن كانت في غيره، فإنه ما هو على بينة من ربه. (ف ح٢/ ٦٢٢)

إسراء الشيخ الأكبر رضي الله عنه:

لما كان المُحدَث لا يستقل بالوجود، فلابد أن يكون محمولاً، ولهذا ما أسري برسول قط إلا على براق، إذا كان إسراء جسمياً محسوساً، وإذا كان بالإسراء الخيالي الذي يعبر عنه بالرؤيا، فقد يرى نفسه محمولاً على مركب، وقد لا يرى نفسه محمولاً على مركب، لكن يعلم أنه محمول في الصورة التي يرى نفسه فيها، إذ قد علمنا أن جسمه في فراشه وفي بيته نائم. (ف ح٤/ ١٠)

فلما أراد الله أن يسري بي، ليريني من آياته في أسمائه من أسمائي، وهو حظ ميراثنا من الإسراء، أزالني عن مكاني، وعرج بي على براق إمكاني، فزج بي في أركاني، فلم أرَ أرضي تصحبني، فقيل لي: أخذه الوالد الأصلي الذي خلقه الله من تراب، فلما فارقت ركن الماء، فقدت بعضي، فقيل لي: إنك مخلوق من ماء مهين، فأهانته ذلته، فلصق بالتراب، فلهذا فارقته، فنقص مني جزآن، فلما جئت ركن الهواء، تغيرت عليّ الأهواء، وقال لي الهواء: ما كان فيك مني فلا يزول عني، فإنه لا ينبغي له أن يعدو قدره، ولا يمد رجله في غير بساطه، فإن لي عليك مطالبة، بما غيره مني تعفينك، فإنه لولاه ما كنت مسنوناً، فإني طيب بالذات، خبيث بصحبة من جاورني، فلما خبثتني صُحبتُه ومجاورتُه قيل فيه «حمأ مسنون»، فعاد خبثه عليه، فإنه هو المنعوت، وهو الذي غيرني في مشامّ أهل الشم من أهل الروائح، فقلت له: ولماذا أتركه عندك؟ قال: حتى يزول عنه هذا الخبث الذي اكتسبه من عفونتك، ومجاورة

طينتك ومائك، فتركته عنده، فلما وصلت إلى ركن النار، قيل: قد جاء الفخار، فقيل: وقد بُعِثَ إليه، قيل: نعم، قيل: ومن معه، قال: جبريل الجبر، فهو مضطر في رحلته ومفارقة بنيته، فقال لي: عنده في نشأته جزء مني لا أتركه معه، إذ قد وصل إلى الحضرة التي يظهر فيها مُلكي واقتداري ونفوذ تصرفي، فنفذت إلى **السماء الأولى** وما بقي معي من نشأتي البدنية شيء أعول عليه، ولا أنظر إليه، فسلمت على والدي، وسألني عن تربتي، فقلت له: إن الأرض أخذت مني جزأها، وحينئذ خرجت عنها وعن الماء بطينتي، فقال لي: ياولدي هكذا جرى لها مع أبيك، فمن طلب حقه فما تعدّى، ولاسيما وأنت لها مفارق، ولا تعرف هل ترجع إليها أم لا؟ فإنه تعالى يقول ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ ولا يعلم أحد ما في مشيئة الحق إلا أن يعلمه الحق بذلك، فالتفت فإذا أنا بين يديه، وعن يمينه من نسم بنيه عيني، فقلت له: هذا أنا؛ فضحك، فقلت له: فأنا بين يديك وعن يمينك؛ قال: نعم هكذا رأيت نفسي بين يدي الحق حين بسط يده، فرأيتني وبني في اليد، ورأيتني بين يديه، فقلت له: فما كان في اليد الأخرى المقبوضة؟ قال: العالم؛ قلت له: فيمين الحق تقضي بتعيين السعادة؛ فقال: نعم تقضي بالسعادة، فقلت: فقد فرق الحق لنا بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فقال لي: ياولدي ذلك يمين أبيك وشماله، ألا ترى نسم بنيّ على يميني وعلى شمالي، وكلتا يدي ربي يمين مباركة، فبنيَّ في يميني وفي شمالي، وأنا وبنيّ في يمين الحق، وما سوانا من العالم في اليد الأخرى الإلهية، قلت فإذاً لا نشقى، فقال: لو دام الغضب لدام الشقاء، فالسعادة دائمة وإن اختلف المسكن، فإن الله جاعل في كل دار، ما يكون به نعيم أهل تلك الدار، فلابد من عمارة الدارين، وقد انتهى الغضب في يوم العرض الأكبر، وأمر بإقامة الحدود فأقيمت، وإذا أقيمت زال الغضب، فإن الرسالة تزيله، فهو عين إقامة الحدود على المغضوب عليه، فلم يبق إلا الرضا، وهو الرحمة التي وسعت كل شيء، فإذا انتهت الحدود، صار الحكم للرحمة العامة في العموم، فأفادني أبي آدم هذا العلم، ولم أكن به خبيراً، فكان لي ذلك بشرى معجلة إلهية في الحياة الدنيا، وتنتهي القيامة بالزمان، كما قال الله ﴿خمسين ألف سنة﴾ وهذه مدة إقامة الحدود، ويرجع الحكم بعد انقضاء هذه المدة إلى الرحمن الرحيم، وللرحمن الأسماء الحسنى، وهي حسنى لمن تتوجه عليه بالحكم،

فالرحيم برحمته ينتقم من الغضب، وهو شديد البطش به، مذل له، مانع بحقيقته، فيبقى الحكم في تعارض الأسماء بالنسب، والخلق بالرحمة مغمورون، فلا يزال حكم الأسماء في تعارضها لا فينا، فافهم فإنه علم غريب دقيق لا يشعر به، بل الناس في عماية عنه، وما منهم إلا من لو قلت له: ترضى لنفسك أن يحكم عليك ما يسوءك من هذه الأسماء؟ لقال: لا؛ ويجعل حكم ذلك الاسم الذي يسوء في حق غيره، فهذا من أجهل الناس بالخلق، وهو بالحق أجهل، فأفاد هذا الشهود، بقاء أحكام الأسماء في الأسماء لا فينا، وهي نسب تتضاد بحقائقها، فلا تجتمع أبداً، ويبسط الله رحمته على عباده حيث كانوا، فالوجود كله رحمة[1]، ثم رحلت عنه بعدما دعا لي، فنزلت بعيسى عليه السلام في **السماء الثانية** فوجدت عنده ابن خالته يحيى عليهما السلام، فكانت الحياة الحيوانية، ولو كان[2] يحيى ابن خالته لكان روحاً، ولما كانت الحياة الحيوانية ملازمة للروح، وجدت يحيى عند روح الله عيسى، لأن الروح حي بلا شك، وما كل حي روح، فسلمت عليهما، فقلت له: بماذا زدت علينا حتى سماك الله بالروح المضاف إلى الله[3]؟ فقال: ألم ترَ إلى مَنْ وهبني لأمي؟ ففهمت ما قال، فقال لي: لولا هذا ما أحييت الموتى، فقلت له: فقد رأينا من أحيا الموتى ممن لم تكن نشأته كنشأتك، فقال: ما أحيا الموتى مَنْ أحياهم إلا بقدر ما ورثه عني، فلم يقم في ذلك مقامي، كما لم أقم أنا مقام مَنْ وهبني في إحياء الموتى، فإن الذي وهبني ـ يعني جبريل ـ ما يطأ موضعاً إلا حيي ذلك الموضع بوطأته، وأنا ليس كذلك، بل حظنا أن نقيم الصور بالوطء خاصة، والروح الكل يتولى أرواح تلك الصور، وما يطؤه الروح الذي وهبني، هو يعطي الحياة في صورة ما أظهره الوطء[4]، فاعلم ذلك، ثم رددت وجهي إلى

---

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ـ شمول الرحمة وعدم سرمدة العذاب ـ ص ٢٣٠ طبعة أولى ـ ص ٢٢٦ طبعة ثانية.

(٢) المعنى لو كان يحيى بدل عيسى لكان روحاً مثله.

(٣) يشير إلى قوله تعالى في عيسى عليه السلام ﴿روح الله وكلمته﴾.

(٤) يشير إلى قول السامري ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾ يعني جبريل ﴿فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي﴾ فخار العجل بإلقاء أثر جبريل فيه.

يحيى عليه السلام، وقلت له: أخبرت أنك تذبح الموت إذا أتى الله به يوم القيامة، فيوضع بين الجنة والنار، ليراه هؤلاء وهؤلاء، ويعرفون أنه الموت في صورة كبش أملح، قال: نعم، ولا ينبغي ذلك إلا لي، فإني يحيى، وإن ضدي لا يبقى معي، وهي دار الحيوان، فلابد من إزالة الموت، فلا مزيل له سواي؛ فقلت له: صدقت فيما أشرت إلي به، ولكن في العالم يحيى كثير؛ فقال لي: ولكن لي مرتبة الأولية في هذا الاسم، فبي يحيى كل مَنْ يحيى مِنْ الناس، مَنْ تقدم ومَنْ تأخر، وإن الله ما جعل لي من قبل سمياً، فكل يحيى تبع لي، فبظهوري لا حكم لهم؛ فنبهني على شيء لم يكن عندي، فقلت: جزاك الله عني خيراً من صاحب موروث، وقلت: الحمد لله الذي جمعكما في سماء واحدة - أعني روح الله عيسى ويحيى عليهما السلام - حتى أسألكما عن مسألة واحدة، فيقع الجواب بحضور كل واحد منكما، فإنكما خصصتما بسلام الحق، فقيل في عيسى: إنه قال في المهد ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ وقيل في يحيى ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ فأخبر عيسى عن نفسه بسلام الحق عليه، والحق أخبر بسلامه على يحيى، فأي مقام أتم؟ فقال لي: ألست من أهل القرآن؟ قلت له: بلى أنا من أهل القرآن؛ فقال: انظر فيما جمع الحق بيني وبين ابن خالتي، أليس قد قال الله فيّ ﴿ونبياً من الصالحين﴾ فعيني في النكرة؟ فقلت: له نعم، قال: ألم يقل في عيسى ابن خالتي ﴿إنه من الصالحين﴾ كما قال عني فعينه في النكرة؟ ثم قال: إن عيسى هذا لما كان كلامه في المهد، دلالة على براءة خالتي مما نسب إليها، لم يترجم عن الله إلا هو بنفسه، فقال ﴿والسلام عليّ﴾ يعني من الله، قلت له: صدقت؛ قلت: ولكن سلم بالتعريف، وسلام الحق عليك بالتنكير، والتنكير أعم؛ فقيل لي: ما هو تعريف عين، بل هو تعريف جنس، فلا فرق بينه بالألف واللام وبين عدمهما، فأنا وإياه في السلام على السواء، وفي الصلاح كذلك، وجاء الصلاح لنا بالبشرى فيّ وفي عيسى بالملائكة؛ فقلت له: أفدتني أفادك الله، فقلت له: فلم كنت حصوراً؟ فقال: ذلك من أثر همة والدي في استفراغه في مريم البتول، والبتول المنقطعة عن الرجال، لما دخل عليها المحراب، ورأى حالها فأعجبه، فدعا الله أن يرزقه ولداً مثلها، فخرجت حصوراً منقطعاً عن النساء، فما هي صفة كمال، وإنما كانت أثر همة، فإن في الإنتاج عين الكمال،

قلت له: فنكاح الجنة ما فيه نتاج، فقال: لا تقل، بل هو نتاج ولابد، وولادته نَفَس تخرج من الزوجة عند الفراغ من الجماع، فإن الإنزال ريح كما هو في الدنيا ماء، فيخرج ذلك الريح بصورة ما وقع عليه الاجتماع بين الزوجين، فمنا من يشهد ذلك ومنا من لا يشهده، كما هو الأمر عليه في الدنيا، عالم غيب لمن غاب عنه، وعالم شهادة في حق من شهده، قلت له: أفدتني أفادك الله من نعمة العلم به؛ ثم قلت له: هذه سماؤك؟ قال لي: لا، أنا متردد بين عيسى وهارون، أكون عند هذا وعند هذا، وكذلك عند يوسف وإدريس عليهما السلام، فقلت له: فلماذا خصصت هارون دون غيره من الأنبياء؟ فقال لي: لحرمة النسب، ما جئت لعيسى إلا لكونه ابن خالتي، فأزوره في سمائه، وآتي إلى هارون، لكون خالتي أختاً له ديناً ونسباً؛ قلت: فما هو أخوها، لأن بينهما زماناً طويلاً وعالَماً، فقال لي: قوله ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾ ما هذه الأخوة؟ أترى هو أخو ثمود لأبيه وأمه، فهو أخوهم؟ فسمي القبيلة باسم ثمود، وكان صالح من نسل ثمود، فهو أخوهم بلا شك، ثم جاء بعد ذلك بالدين، ألا ترى أصحاب ليكة، لما لم يكونوا من مدين، وكان شعيب من مدين، فقال في شعيب أخي مدين ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً﴾ ولما جاء ذكر أصحاب الأيكة قال ﴿إذ قال لهم شعيب﴾ ولم يقل أخاهم لأنهم ليسوا من مدين، وشعيب من مدين، فزيارتي لها صلة رحم، وأنا لعيسى أقرب مني لهارون؛ ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف عليه السلام، فقلت له، بعد أن سلمت عليه فرد وسهل بي ورحب: يايوسف لِمَ لم تجب الداعي حين دعاك؟ ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: إنه لو ابتلي بمثل ما ابتليت به ودعي لأجاب الداعي، ولم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقول النسوة؟ فقال لي: بين الذوق والفَرْض ما بين السماء والأرض، كثير بين أن تفرض الأمر أو تذوقه من نفسك، لو نسب إليه ﷺ ما نسب إليّ، لطلب صحة البراءة في غيبته، فإنها أدل على براءته من حضوره، ولما كان رحمة كان من عالم السعة، والسجن ضيق، فإذا جاء لمن حاله هذا، سارع إلى الانفراج، وهذا فرض، فالكلام مع التقدير المفروض، ما هو مثل الكلام مع الذائق، ألا تراه ﷺ ما ذكر ذلك إلا في معرض نسبة الكمال إليّ فيما تحملته من الفرية عليّ، فقال ذلك أدباً معي، لكوني أكبر منه بالزمان، كما قال في إبراهيم: نحن أحق بالشك من إبراهيم

فيما شك فيه إبراهيم، وكما قال في لوط: يرحم الله أخي لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد؛ أتراه أكذبه؟ حاشا لله، فإن الركن الشديد الذي أراده لوط هو القبيلة، والركن الشديد الذي ذكره رسول الله ﷺ هو الله، فهذا تنبيه لك أن لا تجري نفسك فيما لا ذوق لك فيه، مجرى من ذاق، [فلا تقل: لو كنت أنا عوض فلان لما قيل له كذا وقال كذا، ما كنت أقوله؛ لا والله، بل لو نالك ما ناله، لقلت ما قاله، فإن الحال الأقوى حاكم على الحال الأضعف، وقد اجتمع في يوسف ـ وهو رسول الله ـ حالان: حال السجن وحال كونه مفترى عليه، والرسول يطلب أن يقرر في نفس المرسل إليه، ما يقبل به دعاء ربه فيما يدعوه به إليه، والذي نسب إليه معلوم عند كل أحد، أنه لا يقع من مثل من جاء بدعوته إليهم، فلابد أن يطلب البراءة من ذلك عندهم، ليؤمنوا بما جاء به من عند ربه، ولم يحضر بنفسه ذلك المجلس، حتى لا تدخل الشبهة في نفوس الحاضرين بحضوره، وفرق كبير بين من يحضر في مثل هذا الموطن، وبين من لا يحضر، فإذا كانت المرأة لم تخن يوسف في غيبته لما برأته، وأضافت المراودة لنفسها، لتعلم أن يوسف لم يخن العزيز في أهله، وعلمت أنه أحق بهذا الوصف منها في حقه، فما برأت نفسها، بل قالت ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ فمن فتوة يوسف عليه السلام، إقامته في السجن بعد أن دعاه الملك إليه، وما علم قدر ذلك إلا رسول الله ﷺ حيث قال عن نفسه «لأجبت الداعي» ثناء على يوسف][1] فقلت له: فالاشتراك في إخبار الله عنك إذ قال ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ ولم يعين في ماذا، يدل في اللسان على أحدية المعنى، فقال: ولهذا قلت للملك على لسان رسوله أن يسأل عن النسوة وشأن الأمر، [فما ذكرت المرأة إلا أنها راودته عن نفسه، وما ذكرت أنه راودها، فزال ما كان يتوهم من ذلك] ولما لم يسم الله في التعبير عن ذلك أمراً، ولا عين في ذلك حالاً، فقلت له: لابد من الاشتراك في اللسان؛ قال: صدقت، فإنها همت بي لتقهرني على ما تريده مني، وهممت أنا بها لأقهرها في الدفع عن ذلك، فالاشتراك وقع في طلب القهر مني ومنها، فلهذا قال ﴿ولقد همت به﴾ يعني في عين ما هَمَّ بها، وليس إلا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه، دليل ذلك قولها: ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ وما جاء في السورة

(١) ما بين [. . . . .] كأنه من كلام الشيخ وليس من كلام يوسف عليه السلام.

قط أنه راودها عن نفسها،] فأراه الله البرهان عند إرادته القهر في دفعها عنه فيما تريده منه، فكان البرهان الذي رآه، أن يدفع عن نفسه بالقول اللين، كما قال لموسى وهارون ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ أي لا تعنف عليها وتسبها، فإنها امرأة موصوفة بالضعف على كل حال] فقلت له: أفدتني أفادك الله، ثم ودعته وانصرفت إلى إدريس عليه السلام[1]، فسلمت عليه، فرد وسهل ورحب، وقال: أهلاً بالوارث المحمدي، فقلت له: كيف أبهم عليك الأمر على ما وصل إلينا، فما علمت أمر الطوفان بحيث لا تشك فيه، والنبي واقف مع ما يوحى به إليه[2]؟ فقال ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فهذا مما أوحى به إليّ، قلت له: وصلني عنك أنك تقول بالخرق، فقال: فلولا الخرق ما رفعت مكاناً علياً؛ فقلت: فأين مكانتك من مكانك؟ فقال: الظاهر عنوان الباطن[3]، قلت: بلغني أنك ما طلبت من قومك إلا التوحيد لا غير، قال: وما فعلوا، فإني كنت نبياً أدعو إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد، فإن التوحيد ما أنكره أحد؛ قلت: هذا غريب!! ثم قلت: ياواضع الحكم، والاجتهاد في الفروع مشروع عندنا، وأنا لسان علماء الزمان، قال: وفي الأصول مشروع، فإن الله أَجَلُّ أن يكلف نفساً إلا وسعها[4]؛ قلت: فلقد كثر الاختلاف في الحق والمقالات فيه، قال: لا يكون إلا كذلك، فإن الأمر تابع للمزاج؛ قلت: فرأيتكم معاشر الأنبياء ما اختلفتم فيه؛ فقال: لأنّا ما قلناه عن نظر، وإنما قلناه عن إله واحد، فمن علم الحقائق، علم أن اتفاق الأنبياء أجمعهم على قول واحد في الله، بمنزلة قول واحد من أصحاب النظر، قلت: فهل الأمر في نفسه كما قيل لكم، فإن أدلة العقول تحيل أموراً مما جئتم به في ذلك؟ فقال: الأمر كما قيل

---

(١) يشير إلى السماء الرابعة.

(٢) إدريس عليه السلام كان نبياً قبل نوح عليه السلام، وكان قد أخبر قومه عن الطوفان، لما تحققه من العلم بدقائق الفلك، وربط العالم بعضه ببعض.

(٣) السماء الرابعة هي المكان الذي يدور عليه رحى عالم الأفلاك، تحته سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك، وإدريس عليه السلام ما مات إلى الآن، بل رفعه الله مكاناً علياً.

(٤) يشير إلى قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به، فإنما حسابه عند ربه﴾ والبرهان على قدر الصادق في اجتهاده.

لنا وكما قال من قال فيه، فإن الله عند قول كل قائل، ولهذا ما دعونا الناس إلا إلى كلمة التوحيد لا إلى التوحيد، ومن تكلم في الحق من نظره، ما تكلم في محظور، فإن الذي شرع لعباده «توحيد المرتبة» وما ثَمَّ إلا من قال بها؛ قلت: فالمشركون؟ قال: ما أخذوا إلا بالوضع، فمن حيث كذبوا في أوضاعهم واتخذوها قربة، ولم ينزلوها منزلة صاحب تلك الرتبة الأحدية، قلت: فإني رأيت في واقعتي شخصاً بالطواف أخبرني أنه من أجدادي، وسمى لي نفسه، فسألته عن زمان موته، فقال لي: أربعون ألف سنة، فسألته عن آدم لما تقرر عندنا في التاريخ لمدته، فقال لي: عن أي آدم تسأل، عن آدم الأقرب[1]؟ فقال: صَدَّق إني نبي الله، ولا أعلم للعالم مدة نقف عندها بجملتها، إلا أنه بالجملة لم يزل خالقاً، ولا يزال دنيا وآخرة، والآجال في المخلوق بانتهاء المدد، لا في الخلق، فالخلق مع الأنفاس يتجدد، فما أعلمناه علمناه ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ فقلت له: فما بقي لظهور الساعة؟ فقال: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ قلت: فعرفني بشرط من شروط اقترابها، فقال: وجود آدم من شروط الساعة، قلت: فهل كان قبل الدنيا دار غيرها؟ قال: دار الوجود واحدة، والدار ما كانت دنيا إلا بكم، والآخرة ما تميزت عنها إلا بكم، وإنما الأمر في الأجسام، أكوان واستحالات، وإتيان وذهاب، لم يزل ولا يزال؛ قلت: ما ثَمَّ؟ قال: ما ندري وما لا ندري، قلت: فأين الخطأ من الصواب؟ قال: الخطأ أمر إضافي، والصواب هو الأصل، فمن عرف الله وعرف العالم، عرف أن الصواب هو الأصل المستصحب الذي لا يزال، وأن الخطأ بتقابل النظرين، ولابد من التقابل، فلابد من الخطأ، فمن قال بالخطأ قال بالصواب، ومن قال بعدم الخطأ قال صواباً، وجعل الخطأ من الصواب، قلت: من أي صفة صدر العالم؟ قال: من الجود، قلت: هكذا سمعت بعض الشيوخ يقول، قال: صحيح ما قال، قلت: وإلى ماذا يكون المآل بعد انتقالنا من يوم العرض؟ قال: رحمة الله وسعت كل شيء، قلت: أي شيء؟ قال: الشيئين، فالباقي أبقاه برحمته، والذي أوجده أوجده برحمته، ثم قال: مَحَالُّ العوارض ثابتة في وجودها، والعوارض تتبدل عليها بالأمثال والأضداد، قلت: ما الأمر الأعظم؟ قال: العالِمُ به أعظم؛

---

(١) راجع كتابنا الرؤيا والمبشرات ـ أصل كل شيء آدمه ـ .

ثم ودعته وانصرفت، فنزلت بهارون عليه السلام[1]، فوجدت يحيى قد سبقني إليه، فقلت له: ما رأيتك في طريقي، فهل ثَمَّ طريق أخرى؟ فقال: لكل شخص طريق لا يسلك عليها إلا هو، قلت: فأين هي هذه الطرق؟ فقال: تحدث بحدوث السلوك؛ فسلمت على هارون عليه السلام، فرد وسهل ورحب وقال: مرحباً بالوارث المكمل، قلت: أنت خليفة الخليفة[2] مع كونك رسولاً نبياً؟ فقال: أما أنا فنبي بحكم الأصل، وما أخذت الرسالة إلا بسؤال أخي، فكان يوحي إلي بما كنت عليه؛ قلت: ياهارون، إن ناساً من العارفين زعموا أن الوجود ينعدم في حقهم، فلا يرون إلا الله، ولا يبقى للعالم عندهم، ما يلتفتون به إليه في جنب الله، ولا شك أنهم في المرتبة دون أمثالكم، وأخبرنا الحق أنك قلت لأخيك في وقت غضبه ﴿لا تشمت بي الأعداء﴾ فجعلت لهم قدراً، وهذا حال يخالف حال أولئك العارفين، فقال: صدقوا، فإنهم ما زادوا على ما أعطاهم ذوقهم، ولكن انظر، هل زال من العالم ما زال عندهم؟ قلت: لا؛ قال: فنقصهم من العلم بما هو الأمر عليه على قدر ما فاتهم، فعندهم عُدِمَ العالم، فنقصهم من الحق على قدر ما انحجب عنهم من العالم، فإن العالم كله هو عين تجلي الحق لمن عرف الحق ﴿فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ بما هو الأمر عليه.

فليس الكمال سوى كونه ... فمن فاته ليس بالكامل

فياقائلاً بالفناء اتئد ... وحوصل من السنبل الحاصل

ولا تركنن إلى فائت ... ولا تبع النقد بالآجل

ولا تتبع النفس أغراضها ... ولا تمزج الحق بالباطل

ثم ودعته ونزلت بموسى عليه السلام[3]، فسلمت عليه، فرد وسهل ورحب، فشكرته على ما صنع في حقنا، مما اتفق بينه وبين نبينا محمد ﷺ، في المراجعة في حديث فرض الصلوات، فقال لي: هذه فائدة علم الذوق، فللمباشرة حال لا يُدْرَكُ إلا بها، قلت: ما زلت تسعى في حق الغير حتى صحّ لك الخير كله، قال: سعي الإنسان في حق

(١) يشير إلى السماء الخامسة.

(٢) قول موسى لهارون عليهما السلام ﴿اخلفني في قومي﴾.

(٣) يشير إلى السماء السادسة.

الغير، إنما يسمى لنفسه في نفس الأمر، فما يزيده ذلك إلا شكر الغير، والشاكر ذاكر لله بأحب المحامد لله، والساعي منطّقه بتلك المحامد، فالساعي ذاكر لله بلسانه ولسان غيره [قال الله تعالى لموسى عليه السلام «اذكرني بلسان لم تعصني به» فأمره أن يذكره بلسان الغير، فأمره بالإحسان والكرم]، ثم قلت له: إن الله اصطفاك على الناس برسالته وبكلامه، وأنت سألت الرؤية، ورسول الله ﷺ يقول: «إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت» فقال: وكذلك كان، لما سألته الرؤية أجابني فخررت صعقاً، فرأيته تعالى في صعقتي، قلت: موتاً؟ قال: موتاً، قلت: فإن رسول الله ﷺ شك في أمرك إذا وجدك في يوم البعث، فلا يدري، أجوزيت بصعقة الطور فلم تصعق في نفخة الصعق، فإن نفخة الصعق ما تعم؟

فقال: صدقت، كذلك كان، جازاني الله بصعقة الطور، فما رأيته تعالى حتى مت، ثم أفقت فعلمت من رأيت، ولذلك قلت ﴿تبت إليك﴾ فإني ما رجعت إلا إليه، فقلت: أنت من جملة العلماء بالله، فما كانت رؤية الله عندك حين سألته إياها؟ فقال واجبة وجوباً عقلياً؛ قلت: فبماذا اختصصت به دون غيرك؟ قال: كنت أراه وما كنت أعلم أنه هو، فلما اختلف عليّ الموطن ورأيته، علمت من رأيت، فلما أفقت ما انحجبت، واستصحبتني رؤيته إلى أبد الأبد، فهذا الفرق بيننا وبين المحجوبين عن علمهم بما يرونه، فإذا ماتوا رأوا الحق، فميزه لهم الموطن، فلو ردوا لقالوا مثل ما قلنا، قلت: فلو كان الموت موطن رؤيته، لرآه كل ميت، وقد وصفهم الله بالحجاب عن رؤيته، قال: نعم هم المحجوبون عن العلم به أنه هو، وإذا كان في نفسك لقاء شخص لست تعرفه بعينه، وأنت طالب له من اسمه وحاجتك إليه، فلقيته وسلمت عليه، وسلم عليك في جملة من لقيت، ولم يتعرف إليك، فقد رأيته وما رأيته، فلا تزال طالباً له، وهو بحيث تراه، فلا معول إلا على العلم، ولهذا قلنا في العلم: إنه عين ذاته، إذ لو لم يكن عين ذاته، لكان المعول عليه غيراً له، ولا معول إلا على العلم، قلت: إن الله دلك على الجبل، وذكر عن نفسه أنه تجلى للجبل، فقال: لا يثبت شيء لتجليه، فلابد من تغير الحال [فكان الدك للجبل كالصعق لموسى، يقول موسى: فالذي دكه أصعقني] قلت له: إن الله تولى تعليمي، فعلمت منه على قدر ما أعطاني، فقال: هكذا فعله مع العلماء به، فخذ منه لا من الكون، فإنك لن تأخذ إلا على قدر استعدادك،

فلا يحجبنك عنه بأمثالنا، فإنك لن تعلم منه من جهتنا، إلا ما نعلم منه من تجليه، فإنا لا نعطيك منه إلا على قدر استعداك، فلا فرق، فانتسب إليه، فإنه ما أرسلنا إلا لندعوكم إليه لا لندعوكم إلينا، فهي ﴿كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ قلت: كذا جاء في القرآن، قال: وكذلك هو، قلت: بماذا سمعت كلام الله؟ قال: بسمعي، قلت: وما سمعك؟ قال: هو، قلت: فبماذا اختصصت؟ قال: بذوق في ذلك لا يعلمه إلا صاحبه، قلت له: فكذلك أصحاب الأذواق؟ قال: نعم، والأذواق على قدر المراتب، ثم ودعته وانصرفت، فنزلت بإبراهيم الخليل عليه السلام[1]، فسلمت عليه فرد وسهل ورحب، فقلت: ياأبت لم قلت: بل فعله كبيرهم؟ قال: لأنهم قائلون بكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها، قلت: فإشارتك بقولك هذا؟ قال: أنت تعلمها، قلت: إني أعلم أنها إشارة ابتداء، وخبره محذوف، يدل عليه قولك: بل فعله كبيرهم، هذا فاسألوهم، إقامة الحجة عليهم منهم؛ فقال: ما زدت على ما كان عليه الأمر، قلت: فما قولك في الأنوار الثلاثة، أكان عن اعتقاد؟ قال: لا بل عن تعريف، لإقامة الحجة على القوم، ألا ترى إلى ما قال الحق في ذلك ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾؟ وما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمروذ بن كنعان، لم تكن تلك الأنوار آلهتهم، ولا كان نمروذ إلهاً عندهم لهم، وإنما كانوا يرجعون في عبادتهم لما نحتوه آلهة لا إليه، ولذلك لما قال إبراهيم ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ لم يجرؤ نمروذ أن ينسب الإحياء والإماتة لآلهتهم التي وضعها لهم، لئلا يفتضح، فقال ﴿أنا أحيي وأميت﴾ فعدل إلى نفسه تنزيهاً لآلهتهم عندهم، حتى لا يتزلزل الحاضرون، ولما علم إبراهيم قصور أفهام الحاضرين عما جاء به لو فصّله، وطال المجلس، فعدل إلى الأقرب في أفهامهم، فذكر حديث إتيان الله بالشمس من المشرق، وطلبه أن يأتي بها من المغرب، فبهت الذي كفر، فقلت له: هذا إعجاز من الله كونه بهت فيما له فيه مقال، وإن كان فاسداً، لأنه لو قاله، قيل له: قد كانت الشمس طالعة من المشرق وأنت لم تكن، وأكذبه من تقدمه بالسن على البديهة، فقال: وما المقال؟ قلت: يقول ما نفعل الأمر بحكمك، ولا نبطل الحكمة لأجلك؛ قال: صدقت

---

(1) يشير إلى السماء السابعة.

[فكان بهته إعجازاً من الله سبحانه، حتى علم الحاضرون أن إبراهيم عليه السلام على الحق، ولم يكن لنمرود أن يدعي الألوهة] ثم رأيت **البيت المعمور**، فإذا به قلبي، وإذا بالملائكة التي تدخله كل يوم، تجلي الحق له سبحانه الذي وسعه، في سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، فهو يتجلى فيها لقلب عبده، لو تجلى دونها، لأحرقت سبحات وجهه عالَمَ الخلق من ذلك العبد، فلما فارقته جئت **سدرة المنتهى**، فوقفت بين فروعها الدنيا والقصوى، وقد غشيتها أنوار الأعمال، وصدحت في ذرى أفنانها طيور أرواح العاملين، وهي على نشأة الإنسان، وأما الأنهار الأربعة، فعلوم الوهب الإلهي الأربعة، ثم عاينت متكآت رفارف العارفين، فغشيتني الأنوار، حتى صرت كلي نوراً، وخلع عليَّ خلعة ما رأيت مثلها، فقلت: إلهي الآيات شتات، فأنزل عليَّ عند هذا القول ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا، وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ فأعطاني في هذه الآية كل الآيات، وقرب عليَّ الأمر، وجعلها لي مفتاح كل عِلْم، فعلمت أني مجموع من ذكر لي، وكانت لي بذلك البشرى بأني محمدي المقام، من ورثة جمعية محمد ﷺ، فإنه آخر مرسَل، وآخر من إليه تنزل، آتاه الله جوامع الكلم، وخص بست لم يخص بها رسول أمة من الأمم، فعم برسالته لعموم ست جهاته، فمن أي جهة جئت، لم تجد إلا نور محمد ﷺ ينفهق عليك، فما أخذ أحدٌ إلا منه، ولا أخبر رسول إلا عنه، فعندما حصل لي ذلك، قلت: حسبي حسبي، قد ملأ أركاني، فما وسعني مكاني، وأزال عني به إمكاني، فحصّلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها، فرأيتها ترجع إلى مسمى واحد، وعين واحدة، فكان ذلك المسمى مشهودي، وتلك العين وجودي، فما كانت رحلتي إلا فيَّ، ودلالتي إلا عليَّ، ومن هنا علمت أني عبد محض، ما فيَّ من الربوبية شيء أصلاً، وفتحت خزائن منزل التوكل الخامس[1]، الذي ما كشفه أحد من المحققين، لقلة القابلين له، وقصور الأفهام عن دركه،

(١) التوكل الأول أمره تعالى لرسول الله ﷺ بقوله ﴿فتوكل على الله﴾ والتوكل الثاني أمره تعالى له بقوله ﴿فاعبده وتوكل عليه﴾ والتوكل الثالث أمره تعالى له بقوله ﴿وتوكل على الحي﴾ والرابع أمره تعالى له بقوله ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ والتوكل الخامس في ترتيب القرآن هو أمره تعالى له ﷺ بقوله ﴿فاتخذه وكيلا﴾.

فرأيت فيها من العلوم، علم أحدية عبودية التشريف، ولم أكن رأيته قبل ذلك، وإنما كنت رأيت جمعية العبودية، ورأيت علم الغيب بعين الشهادة، وأين منقطع الغيب من العالم، ويرجع الكل في حق العبد شهادة، وأعني بالغيب غيب الوجود، أي ما هو في الوجود وهو مغيب عن بعض الأبصار والبصائر[1]، وأما غيب ما ليس بموجود، فمفتاح ذلك الغيب لا يعلمه إلا هو تعالى، ورأيت فيه علم القرب والبعد، ممن وعمن؟ ورأيت فيه علم خزائن مزيد العلوم، وتنزلها على قلوب العارفين، وبمن تحق[2]، ومن يقسمها على القلوب، وما ينزل منها عن سؤال وعن غير سؤال، فإذا سأل الإنسان مزيد العلم، فليسأل كما أمر الله تعالى نبيه أن يسأل، إذ قال له ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فنكر ولم يعين، فعمَّ، فأي علم نزل عليه دخل تحت هذا السؤال، فإن النزول عن سؤال أعظم لذة من النزول عن غير سؤال، فإن في ذلك إدراك البغية وذلة الافتقار، وإعطاء الربوبية حقها والعبودة حقها، فإن العبد مأمور أن يعطي كل شيء حقه، كما أعطى الله كل شيء خلقه، وفي العلم المنزل عن السؤال من علو المنزلة، ما لا يقدر قدر ذلك إلا الله، ورأيت علم حصر الآيات في السمع والبصر، فإما شهود وإما خبر، ورأيت التوراة وعلم اختصاصها بما كتبها الله بيده، وتعجبت من ذلك، كيف كتبها بيده، ولم يحفظها من التبديل والتحريف الذي حرفه اليهود وأصحاب موسى؟! فلما تعجبت من ذلك، قيل لي في سري ـ أسمع الخطاب، بل أرى المتكلم وأشهده، في اتساع رحمة أنا فيها واقف، وقد أحاطت بي ـ فقال لي: أعجب من ذلك، أن خلق آدم بيديه، وما حفظه من المعصية ولا من النسيان، وأين رتبة اليد من اليدين؟! فمن هذا فاعجب!! وما توجهت اليدان إلا على طينته وطبيعته، وما جاءته الوسوسة إلا من طبيعته، وعلى طبيعته توجهت اليدان، ثم مع هذا فما حفظه مما حمله في طينته من عصاة بنيه، فلا تعجب لتغيير اليهود التوراة، فإن التوراة ما تغيرت في نفسها، وإنما كتابتهم إياها وتلفظهم بها، لحقه التغيير، فنسب مثل ذلك إلى كلام الله، فقال ﴿يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ أن كلام الله معقول عندهم، وأبدوا في الترجمة عنه خلاف ما هو في

---

(١) مثل الملائكة والجن والجنة والنار.

(٢) أي: تحيط.

صدورهم عندهم، وفي مصحفهم المنزل عليهم، فإنهم ما حرفوا إلا عند نسخهم من الأصل، وأبقوا الأصل على ما هو عليه، ليبقى لهم العلم ولعلمائهم، وآدم مع اليدين عصى بنفسه، ولم يحفظ حفظ كلام الله، فهذا أعجب، وإنما عُصِمَ كلام الله، لأنه حُكْم، والحُكْمُ معصوم، ومحله العلماء به، فما هو عند العلماء محرف، وهم يحرفونه لأتباعهم، وآدم ما هو حكم الله، فلا يلزمه العصمة في نفسه، وتلزمه العصمة فيما ينقله عن ربه من الحكم - إذا كان رسولاً - هو وجميع الرسل، وهذا علم شريف، فإن الله ما جعل في العالم هدى، لا يصح أن يعود عمى، فإنه أبان لمن أوصله إليه، فما اتصف بالعمى إلا من لم يصل إليه الهدى من ربه، ومن قيل له: هذا هدى، لا يقال إنه وصل إليه، حتى يكون هو الذي أنزل عليه الهدى، وحصل له العلم بذلك، فإن هذا لا يكون عنده عمى أبداً، فما استحب العمى على الهدى، إلا من هو مقلد في الأمرين لأبناء جنسه، فالعمى يوافق طبعه، والهدى يخالف طبعه، فلذلك يؤثره عليه، ورأيت فيها علم «من اتأد وعلى الله اعتمد» وهذا هو التوكل الخامس، وهو قوله تعالى في سورة المزمل ﴿فاتخذه وكيلاً﴾، ورأيت فيها علم ما ينال بالورث، وعلم ما ينال بالكسب، ورأيت فيها علم الفرق بين شكر المكلف وشكر العبد، ورأيت فيها علم تنوع الأحكام لتنوع الأزمان، فإنه من المحال أن يقع شيء في العالم، إلا بترتيب زماني، وتقدم وتأخر ومفاضلة، لأن الله أشهدني أسماءه، فرأيتها تتفاضل لاشتراكها في أمور، وتميزها في أمور مع الاشتراك، وكل اسم لا يقع فيه اشتراك مع اسم، لا مفاضلة بين ذينك الاسمين، فاعلم ذلك، فإنه علم عزيز، ورأيت فيها علم تسليط العالم بعضه على بعض، وما سببه، فرأيته من حكم الأسماء الإلهية، في طلبها ظهورها وولايتها، وما هي عليها من الغيرة، ورأيتها تستعين بالمشارك لها من الأسماء، فهي المعانة المعينة، ولذلك خرج الخلق على صورتها، فمنها المعان والمعين، ولما وقع الأمر هكذا، خاطبهم بحكم التعاون فقال ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾ فيكون ما فطروا عليه عبادة، فإنهم قد يتعاونون بتلك الحقيقة على الإثم والعدوان، ورأيت علم الجبر، فرأيته آخر ما تنتهي إليه المعاذر، وهو سبب مآل الخلق إلى الرحمة، فإن الله يعذر خلقه بذلك فيما كان منهم، فإنهم لا يبقى منهم إلا التضرع الطبيعي، ولولا أن نشء الآخرة مثل نشء الدنيا، ذو جسم طبيعي

وروح، ما صح من الشقي طلب ولا تضرع، إذ لو لم يكن هنـاك أمر طبيعي، لم يكن للنفس. إذا جهلت من ينبهها على جهلها، لعدم إحساسها، إذ لا حس لها إلا بالجزء الطبيعي، الذي هو الجسد المركب، وبالجهل شقاؤها، فكانت النفس بعد المفارقة، إذا فارقت وهي على جهالة، كان شقاؤها جهلها، ولا تزال فيه أبداً، فمن رحمة الله بها، أن جعل لها هذا المركب الطبيعي في الدنيا والآخرة، وما كل أحد يعلم حكمة هذا المركب، الـذي لا يخلو حيوان عنـه، ورأيت علم الـرجعة، وهو علم البعث وحشر الأجساد في الآخرة، وأن الإنسان إذا انتقل عن الدنيا، لن يرجع إليها أبداً، لكنها تنتقل معه بانتقاله، فمن هذه الدار من ينتقل إلى الجنة، ومنهم من ينتقل إلى النار، فالنار والجنة تعم الدار الدنيا ونعيمها، فإنه ما يبقى دار إلا الجنة والنار، والدنيا لا تنعدم ذاتها بعد وجودها، ولا شيء موجود، فلابد أن يكون في الدارين أو في أحدهما، فأعطى الكشف أن تكون مقسمة بين الـدارين، وقد ورد في الخبر النبوي من ذلك ما فيه غنية، وكان بعض الصحابة يقول: «يابحر متى تعود ناراً» وهو الحميم الذي يشربه أهل النار، وقوله ﷺ في الأنهار الأربعة إنها من الجنة، فذكر سيحان وجيحان والنيل والفرات، «وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» ومجالس الذكر حيث كانت روضات من روضات الجنة، والأخبار في ذلك كثيرة، ولسنا من أهل التقليد بحمد الله، بل الأمر عندنا كما آمنا به من عند ربنا، شهدناه عياناً، ورأيت فيها علم مرتبة قول النبي ﷺ: «إني مكاثر بكم الأمم» وأن ذلك من الشرف والمجد في موطنه، فلا يهمل مثل هذا، فإن لكل موطن شرفاً يخصه، لا يكون شرفه إلا به، وهنا زلت جماعة من العارفين، حيث لم يفرقوا بين شرف النفوس وشرف العقول، وأنهما لا يتداخلان، وأن الكمال في وجود الشرفين، ورأيت فيها علم ما يرى الإنسان إلا ما كان عليه، سواء عرف ذلك أو جهله، فإنه لابد أن يشهده، فيعرفه في الموضع الذي لا ينفعه العلم به ولا مشاهدته إياه، ورأيت فيها علم التداخل والدور، وهو أنه لا يكون الحق إلا بصورة الخلق في الفعل، ولا يكون الخلق فيه إلا بصورة الحق، فهو دور لا يؤدي إلى امتناع الوقوع، بل هو الواقع الذي عليه الأمر، فإن الله لا يمل حتى تملوا، فهذا حكم خَلْقٍ في حق، وقال ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره

ضيقاً حرجاً﴾ فهذا منه، كما كان عوده ومآله منا، ورأيت فيها علم منزلة القرآن من العالم، ولمن جاء؟ وبما جاء؟ وإلى أين يعود؟ ورأيت فيها علم التلبيس، وأن أصله العجلة من الإنسان، فلو اتأد وتفكر وتبصر، لم يلتبس عليه أمر ـ وقليل فاعل ذلك ـ ورأيت فيها علم الليل وحده، والنهار وحده، والزمان وحده، واليوم وحده، والدهر وحده، والعصر وحده، والمدة وحدها، ورأيت فيها علم التفصيل وفيما ظهر، ورأيت فيها علم ما لزم الإنسان من حكم الله الذي فصله الشرع، فلا ينفك عنه، ورأيت فيها علم تقابل النسختين، وأن الإنسان في نفسه كتاب ربه، ورأيت فيها علم سبب وجوب العذاب في الآخرة، وهو جلي، والعلم الخفي إنما هو في وجود سبب عذاب الدنيا، ولا سيما في حق الطفل الرضيع، وهل الطفل الرضيع وجميع الحيوان، لهم تكليف إلهي برسول منهم في ذواتهم، لا يشعر به؟ وأن الصغير إذا كبر وكلف، لا يشعر ولا يتذكر تكليفه في حال صغره، لما يقوم به من الآلام وبالحيوان، فإنه تعالى ما يعذب ابتداء، ولكن يعذب جزاء، فإن الرحمة لا تقتضي في العذاب إلا الجزاء للتطهير، ولولا التطهير ما وقع العذاب، وهذا من أسرار العلم الذي اختص الله به من شاء من عباده، ولكل أمة رسول، ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾، وما من شيء في الوجود إلا وهو أمة من الأمم، قال تعالى ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ في كل شيء، وقال ﷺ في الكلاب: «إنها أمة من الأمم» فعمت الرسالة الإلهية جميع الأمم، صغيرهم وكبيرهم، فما من أمة إلا وهي تحت خطاب إلهي، على لسان نذير بعث إليها منها وفيها، ورأيت فيها علم حكم الوجوب الموسع المخيَّر، كأوقات الصلوات والتخيير في الكفارات، ورأيت فيها علم كون الحق مع إرادة العبد لا يخالفه، وهذه الصفة بالعبد أولى، فكما أمر الله عبده فعصاه، كذلك دعاه عبده فلم يجبه فيما سأل فيه، كما أمره فلم يطعه، ألا ترى الملائكة لما لم تعص أمر الله، أجابها الله في كل ما سألته فيه، حتى إن العبد إذا وافق في الصلاة تأمينه تأمين الملائكة غفر له، ورأيت فيها عموم العطاء الإلهي، وأنه من الكرم الإلهي إتيان الكبائر في العالم المكلَّف، فإنه لابد لطائفة من التبديل، فيبدل بها كبير بكبير.

إحيـــاء نفس بقـــتـل نفس ... في كل نوع وكــل جنس

فمن الناس من يبدل له بالتوبة والعمل الصالح، ومن الناس من يبدل له بعد أخذ العقوبة حقها منه، وسبب إنفاذ الوعيد في حق طائفة، حكم المشيئة الإلهية، فإذا انتهت المدة، طلبت المشيئة في أولئك تبديل العذاب الذي كانوا فيه، بالنعيم المماثل له، فإن حكم المشيئة أقوى من حكم الأمر، وقد وقع التبديل بالأمر، فهو بالإرادة أحق بالوقوع، وستر الله هذا العلم عن بعض عباده، وأطلع عليه من شاء من عباده، وهو من علم الحكمة، التي من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، ولذلك قال الحق تعالى ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ غفوراً أي يستر، رحيماً بذلك الستر، بعد قوله ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ وقال في المسرفين ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ فجاء بالمغفرة والرحمة في حق التائب وصاحب العمل الصالح، كما جاء بهما في المسرفين الذين لم يتوبوا، ونهاهم عن القنوط، وأكد بقوله: ﴿جميعاً﴾ وأكثر من هذا الإفصاح الإلهي في مآل عباده إلى الرحمة ما يكون، مع عمارة الدارين الجنة وجهنم، وأن لكل واحدة منهما ملأها، لا يخرجون منها، فعطاء الله لا مانع له، وإنما الاسم المانع إنما متعلقه، أن نعيم زيد ممنوع عن عمرو، كما أن نعيم عمرو ممنوع عن زيد، فهذا حكم المانع، لا أنه يمنع شمول الرحمة[1]، ورأيت فيها علم الفرق بين مفاضلة المفضولين في الدنيا وبينهم في الآخرة، ورأيت فيها علم مَنْ ترك ما هو عليه، لماذا تركه وسببه؟ ورأيت فيها علم أن الله هو المعبود في كل معبود، من خلف حجاب الصورة [2]، ورأيت فيها علم الرفق بالعالم، ومعاملة كل صنف بما يليق به من الرفق، ورأيت فيها علم ما يجني الإنسان إلا ثمرة غرسه لا غير، ورأيت فيها علم الحدود في التصرفات ومقاديرها وأوزانها، ورأيت فيها علم التخلق بالأخلاق الإلهية من كونه رباً خاصة، ورأيت فيها علم حُكْم مرتبة الجزء من الكل، وإن كان الجزء على صورة الكل[3]، ورأيت فيها علم نتاج المقدمتين الفاسدتين علماً صحيحاً، مثل كل إنسان حجر، وكل حجر حيوان، فكل إنسان حيوان، فلم يلزم من فساد المقدمتين، أن لا تكون

---

(١) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢٣٠ طبعة أولى ـ ص ٢٢٦ طبعة ثانية.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ٢٢٠ طبعة أولى ـ ص ٢١٦ طبعة ثانية.

(٣) الإنسان على صورة العالم والإنسان جزء من العالم.

النتيجة صحيحة، وهذا لا يُعرَف ميزانه، ورأيت فيها علم تأثير المثل في مثله، بماذا أثر فيه وليس أحدهما بأولى من الآخر؟ ولا أحق بنسبة التأثير إليه، والمثلان ضدان، فافهم، ورأيت فيها علم العبث، وكيف يصح مع قوله تعالى ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلاً﴾ والعبث فيما بينهما، فبأي نظر يكون عبثاً، وبأي نظر لا يكون باطلاً، وقول الله تعالى ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ فقيد، وما قيد الباطل، ورأيت علم فضل الذكور على الإناث، وهي مفاضلة عرضية لا ذاتية، ورأيت فيها علم أحكام المَحَالّ والحال، والمكان والمتمكن فيه، ورأيت فيها علم الحجب المانعة من التأثير الإلهي في المحجوب بها، ورأيت فيها علم سلطنة الأحدية، وأنه لا يبقى لسلطانها أحد، وهل يصح فيها تجل أم لا؟ فالذي قال بالتجلي فيها ما يريد؟ هل أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟ وكذلك من لا يقول بالتجلي فيها، هل يريد أحدية الواحد أو أحدية المجموع؟ ورأيت فيها علم آداب السماع وترك الكلام عنده، ورأيت علم إلحاق الأدنى بالأعلى في حكم ضرب المثل له، ومن هو هذا الأعلى؟ وبماذا كان أعلى؟ ورأيت فيها علم المجبور على الثناء على من كان يذمه قبل الجبر، ورأيت فيها علم السبب المانع الذي يمنع العاقل من سلوك الأسدّ والأخذ بالأولى والأحق، ورأيت فيها علم العروج والنزول من الشخص الواحد لاختلاف الأحوال، ومَنْ نزل لماذا نزل؟ ومَنْ أنزله؟ ومن صعد لماذا صعد؟ ومن أصعده؟ ورأيت فيها علم أحوال الناس في البرزخ، فإنه تقابلت فيه الأخبار، فهل يعم التقابل أو يخص؟ وهل العموم والخصوص في الزمان أو في الأشخاص؟ ورأيت فيها علم ما فائدة الآيات التي لا تأتي للإعجاز، فلأي شيء أتت؟[1] ورأيت فيها علم ما السبب الذي أجرأ الضعيف من جميع الوجوه، على القوي من جميع الوجوه، مع علمه بأنه قادر على إهلاكه، ورأيت فيها علم طاعة إبليس ربه في كل شيء إلا السجود لآدم، وما ذكر آدم بأنه عصى نهي الله، وقيل في إبليس أبى، ولم يقل فيه عصى أمر الله، هل ذلك شرف يرجع لآدم لكونه على الصورة، وما لإبليس هذا المقام؟ وذكر الله في آدم أنه عصى ربه، فذكر من عصى، ولم يذكر في حق

---

(١) الآية التي يأتي بها الولي المسماة كرامة، لا تكون على سبيل الإعجاز والتحدي، بل هي تصديق لمعجزة نبي خلت.

إبليس إلا أبى، ولم يذكر أنه أبى امتثال أمر ربه، وفي آية أخرى قيل ﴿لم يكن من الساجدين﴾ وفي آية أخرى قيل ﴿استكبر﴾ وفي آية أخرى قال ﴿أأسجد لمن خلقت طيناً﴾ وفي آية أخرى قيل ﴿أبى أن يكون مع الساجدين﴾ فانظر ما أفادك الحق في هذه الآيات، وما في طيها من الأسرار، ورأيت فيها علم الاغترار، ورأيت فيها علم من فضل آدم من المخلوقين، وأن فضله لم يعم، وهكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها[1]، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبامدين، بأن فضل آدم لم يعم، ورأيت فيها علم الإمامة والإمام، ورأيت فيها علم أن الدنيا عنوان الآخرة، وضرب مثال لها، وأن حكم ما فيها هو أتم وأكمل في الآخرة، ورأيت فيها علم السبب الذي لأجله يميل قلب صاحب العلم بالشيء، عما يعطيه علمه، وما حكمه؟ ورأيت فيها علم سنة الله في عباده لا تتبدل، ورأيت فيها علم توقيت محادثة الحق، التي لابد لصاحب العناية منها، والجمع بين الشهود والمحادثة، وما يكون من المحادثة مسامرة، وأن الحق لا يمتنع من المسامرة، ويمتنع من المحادثة في أوقات ما، وهي خطاب إلهي من العبد لله ومن الله للعبد، وما ينتج هذا العلم لمن علمه يوم القيامة، ورأيت فيها علم أحوال الصادقين في حركاتهم، في الدخول إلى الحضرة الإلهية من العالم، والخروج منها إلى العالم، وممن تمكن في هذا المقام أبويزيد البسطامي، ورأيت فيها علم تشخص العدم، حتى يقبل الحكم عليه بما يؤثر فيه الوجود، وإن لم يكن كذلك فلا يُعْقَل[2]، وصورته صورة تجلي الحق، في أي صورة ظهر، يحكم عليه بما يحكم به على تلك الصورة التي تجلى فيها، ويستلزمه بحكمها، ومن ذلك نُسِب إليه تعالى ما نُسِب، من كل ما جاءنا في الكتاب والسنة، ولا يلزم التشبيه، ورأيت فيها علم الطب الإلهي، في الأجسام الطبيعية لا في الأخلاق، وقد يكون في الأخلاق، فإن مرض النفس بالأخلاق الدنية، أعظم من مرض الأجسام الطبيعية، ورأيت فيها علم ما لا يتعدى العامل ما يقتضيه طبعه ومزاجه، إن كان ذا مزاج، فإن كان العامل ممن لا مزاج له، فإن عمله بحسب ما هو عليه في ذاته، ورأيت فيها علم حكم من يُسأل عما يعلم، فيجيب أنه لا

---

(١) ما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي ـ الحديث ـ أخرجه أحمد والترمذي.

(٢) راجع حكم الخيال في جميع الحضرات الوجودية ص ١٥.

يعلم، فيكون ذلك علماً به عند السائل، أنه يعلم ما سأله عنه، فإن أجابه بما يعلم كما هو الأمر في نفسه وعليه، علم أنه لا يعلم المجيب ما سأل عنه السائل[1]، ورأيت فيها علم التعاون على حصول العلم إذا وجد، هل يحصل به كل علم يتعاون عليه، أو يحصل به علم بعض العلوم دون بعض؟ ورأيت فيها علم سبب وضع الشرائع وإرسال الرسل، ورأيت فيها علم التحكم على الرسل ما سببه؟ وهل هو محمود أو مذموم، أو لا محمود ولا مذموم، أو في موطن محمود وفي موطن مذموم؟ ورأيت فيها علم المانع من وقوع الممكنات دفعة واحدة، أعني ما وقع منها، وهل ذلك ممكن أم لا؟ وفيما يمكن ذلك، وفيما لا يمكن، والذي يمكن فيه هل وقع أم لا، وما ثَمّ إلا جوهر أو عرض، حامل ومحمول، قائم بنفسه وغير قائم بنفسه، فيدخل في ذلك التقسيم الجسم وغيره؟ وهل الجسم مجموع أعراض وصفات؟ والجوهر كذلك، أم ليس كذلك؟ ورأيت فيها علم مرتبة التسعة من العدد، ورأيت فيها علم تعارض الخصمين، ما أداهما إلى المنازعة؟ هل أمر وجودي أو عدمي؟ ورأيت فيها علم الحق المخلوق به، ورأيت فيها علم تسمية الاسم الواحد من الأسماء بجميع الأسماء، كما ذهب إليه صاحب خلع النعلين، أبو القاسم بن قسيّ رحمه الله، في كتاب خلع النعلين، ورأيت فيها علم مراتب المحامد وعواقبها، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. (فـ ح٣/ ٣٤٥)

العروج الثاني: يقول رضي الله عنه

خرجت، أبقاكم الله ووقاكم، من روحانية اسم كريم من الأسماء، إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء، فعندما تجردت عن هذه السدفة الترابية، لاحت لنا أعلام المشاهدة الغيبية، فركبنا الجادة، وسألنا المادة، واستعذنا من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب وروعة الحذر، وقطعناها عَلَماً عَلَماً، واتخذناها لمعراجنا سُلَّماً، حتى وصلنا السماء المتوسطة، والحضرة العادلة المقسطة، سماء النبي أبي العلاء والمباهاة (يعني إدريس عليه السلام) وهما أسنى الآباء والأمهات في إيجاد الحياة، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة، واستأذن لنا صاحب

---

(١) كسؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الساعة.

الحكمة المحبوبة، فأذن السيد فدخلنا، وقام لقدومنا وقعدنا، وقال: من أين جاء الركب المحفوظ؟ المصان الملحوظ، فقلنا: من بلد الجسد الغريب، فقال: مرحباً بالزائرين من بلد الحبيب، ما أحسنها من مدينة حصينة قامت أركانها على التربيع[1]، وجعل سلطانها من العالم البديع، وهذا العالم على جنسين: رفيع ونازل، وهذا السلطان من الجنس الرفيع، وقامت بها الصفات الإلهية، فدعيت بالحي العالم المريد القادر، المتكلم البصير السميع، وأحكمت بتسع قوى من صفة غاذية ونامية ومصورة، وناطقة وعاملة وحافظة ومفكرة، ومخيلة ومحسة فجاءت حسنة الترصيع، واتقنت بقوة تجذب المنافع وقوة تمسكها، وقوة تهضم ما حصل في المعدة خوفاً من المضار وقوة تدفعها، وشرح ترتيب هذه المدينة يطول[2]، لكثرة ما فيها من الفصول، لكنها جمعت حقائق المحدثات، وبعض الحقائق الإلهيات، ما خلق الله خلقاً أشرف منها، ولا أُحدث حكم عن أحد مثل ما أُحدث عنها، أوتيت جوامع الكلم وأُودِعت فنون الحكم، ياطول شوقي إليها، وياحسرتي عليها، ما أشتهي قيام الساعة إلا لردي إليها، ونزولي عليها، وهي مدينة لا يعرف قدرها إلا من عرف سر القدر، ولهذا جهلتها أرباب الفكر، هي بوطيقى الحكمة، وموسيقى النغمة، وبرزخ النور والظلمة، لازالت آفاقها سافرة، وأطباقها دائرة، فخدم الجلساء والحجّاب، وسجدوا لظل الحجاب، ثم رفعوا، وأصاخوا وأقنعوا، وعاد إلى الكلام السيد الإمام، والنسابة العلام، وقال: عرفتم أن هذا المحل الأسنى لا يجوز عليه التكليف، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف، أين المفصح عنا ببعض ما نحن عليه؟ والمترجم عنا ببعض ما قررناه لديه؟ فرُفع لنا بيت من الذهب الأحمر، قد فتق بالمسك وجُمّر بالعنبر، ونصب فيه منبر من الياقوت الأحمر، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاج من اللؤلؤ والجوهر، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلى، وروحانيات السموات العلى، وما بقي روح إلا حضر، ولا ملك محجوب إلا ظهر، وسطع الشعاع، وعم القاع والبقاع، وسرت الضياءات، وأشرقت الأنوار وازدانت السماوات، وظهر سلطان الاستواآت، وتعالى العلاء، وقام البناء، وخلص الولاء، وتمكن الصفاء، وعظم الإشراق، وتلألأت

---

(١) الأركان الأربعة الماء والهواء والتراب والنار.

(٢) يشير بالمدينة إلى الإنسان ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾.

الآفـاق، وتفجـرت الجداول، وأخذت مراتبها الأقاول، وصعد الخطيب المصقع منبره، وحمى أثـره، وإذا به معتـدل النشأة، حسن الهيئة، وضاح الجبين، أشم العرنين، سبط البنان، ذرب اللسان، من أهل أرين[1]، وداره بعلمين، في أحسن تقويم، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، مستدير الوجه الأغر، كأنما فقيء حب الرمان في خده فاحمر، فسلم ولم يشر ببنانه، وضرب بلسانه أرنبة أنفه وأداره في شدقه ثم شرع في بيانه، فقال: الحمد لله الذي كان ولا شيء معه، وهو على ما عليه كان، ثم أبدع العالم واخترعه، ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء، وأخرجها من غير شيء كانت فيه أ ولا خبْء، وكان موصوفاً بالوجود، قبل كل موجود، ولا قبل إلا من حيث العبارة، ولا كان إلا من حيث الإشارة، والمنهج القويم، في معرفة ارتباط المُحْدَث بالقديم، وليس بينهما بينية، ولا قبلية، إذ القبل مخلوق إضافي، وامتداد زماني، ولو حققتم مراتب الموجودات لاستحال عندكم وجود الأزمان، والتقدم بالمكان، وقضيتم فيها بالإحالة بعد الإمكان، فمن ثبت قِدَمُه استحال عليه إطلاق صيغ الأزمان، والإشارة بصيغ المكان، إلا من طريق المجاز على الجواز، لما في عالم العبارة من العجز والقصور في ذلك المقام من العلو والإعزاز، فنطلقها عليه للعقول المعقولة بأفكارها، لتجوز منها إلى إدراك المعاني المقدسة المؤسسة في فطرها، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة باريها الحائرة، ما احتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة، فله الصفات العلى والأسماء الحسنى، والنبأ الأسنى، وحجاب العزة الأحمى، تجلى اسمه الحي فحييت الموجودات، والقيوم فقامت به الأرض والسموات، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات، فعَنَت لحياته الوجوه، وسجدت لقيوميته الجباه، وأقنعت لعظمته الرؤوس، وتحركت بذكره الشفاه، وحبا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار، ومنحه جزيل العوارف في مطالع الأنوار، فأداره مع الأفلاك، وأسرى به مع الأملاك، فوقف على الآثار الفلكية، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية، وخاطب كل روحانية بلغتها، فعرَّفته بمكان حكمتها، فلما حل في أوج العلا، نزل في خط الاستوا، خوفاً أن ينحرف إلى أحد الميلين فتذهب بعض معارفه، ويستحيل إلى الكثافة بعض لطائفه، وعلم

---

(١) أرين مثل خط الاستواء، وفي اصطلاح الصوفية هو محل الاعتدال في الأشياء.

ما يكون في طمو البحور، فأودع الحكم في الصخور، ثم عاد إلى مرقاه الأوسط، وحل منه في الوسط، وهو مقامكم الذي أنتم به قاطنون، وعنه عند انقضاء كلامنا راحلون، ثم لما وصل محفوظ الجوانب، ملحوظ المآرب، نكح المهاة[1]، وأمهرها الحياة، فسرت منه في زوايا وجود الكون، وتخللت مسالك كل عين، وقام ميزان العدل، في قبة الفضل، وزالت البغضاء، وارتفعت الشحناء، وظهر سلطانه في القلوب، باختصاصات الغيوب، لا زال مجده سنيّاً، ومكانه عَليّاً، ثم نزل، فقلت: ياأباالعلا (أي إدريس عليه السلام) لما اختصصت بالقلب، فقال: لكونه الحضرة التي وسعت جلال الرب، الموضوعة على صورة القلب، قلت: فلم اختص القويُّ بها سر المهاة، فقال: لكونه معدن الحياة، وسيبدو لك في روحانية كل سماء، ما يقابله منك من القوى والأعضاء، فقلت له: أريد أن توقفني مشاهدة عين، على تأثيراتك في قلوب العارفين، والعلماء والمريدين من عالم الكون، وما تعطيه أفلاكك، وما تهبه أملاكك، فأشار إلى بعض جلسائه، وأكرم خدمائه، وقال: اخترق به الدور المربع، وأشرف به على الكون المسبع، فإذا حصل مفاتيح الخزائن، وموازين المعادن، رده إليّ، وأحضره بين يدي، فاخترق بي تسعين فلكاً، فرأيت مع كل فلك ملكاً، يرجع أمر هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك: الملك الواحد موكل بالتحليل، والملك الآخر موكل بالموت، والملك الآخر موكل بالأنفاس، ومدة تدبيرهم في العالم ثلاثة وثلاثون ألف سنة، وتدبيراتهم شريفة حسنة، بين أيديهم سبعة أملاك على صورة المردان، كأنهم قضبان خيزران، لهم انثناء وانعطاف، وبركات وألطاف، لا نبات بعوارضهم، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم، أعرافهم طيبة الروائح، بأيديهم الطوالع والمفاتح، قد شمروا أذيالهم، وقصروا أرادنهم، وثبتوا مكانهم، علاّمون بما يراد منهم، مُحْكِمون لما يصدر عنهم، منهم خمسة لهم حركة واحدة، واثنان لهم حركتان، واثنان منهم بين يدي ملك التحليل، واثنان منهم بين يدي ملك الأنفاس، وواحد منهم بين يدي ملك الموت، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه، وأما الاثنان، فالواحد منهم له علم التحليل والموت، والآخر له علم

---

(١) المهاة الشمس، وهي في الاعتبار الروح، والنكاح هنا نفخ الروح في الجسد المسوى، فسرت في جميع أجزائه الحياة، فشبهه بإضاءة الكون بطلوع الشمس.

الأنفاس والموت، فلملك الموت تصريفهما معاً، ولملك التحليل تصريف الواحد منهما، ولملك الأنفاس تصريف الآخر، وهم على درجات معتدلة متساوية، في العدد والقوة وإحكام الفعل، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العالمين.

فلما عاينت هذه المراتب، وسلكت هذه المذاهب، أشرف بي على الكون المسبع، وهو العرش الأكمل المعظم المكرم الأرفع، فعاينت ما أحدث الله في قلوب العباد، وعلى مراتبهم في حركات تلك الأفلاك، وتوجهات أولئك الأملاك، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات الفلكية، والتوجهات الملكية، يجمع بين الأنوار والأسرار في موقف السواء، على دقيقة من الحقيقة، في العالم المعقول والمحسوس، ويسوي بين حقائق النفوس، ويظهر معارف التأسيس، ويكسو الأرواح أنفاس النور، ويذهب كل باطل وزور، ويحل على العلماء بالله وبالأحكام المسائل المعقدة، في العلوم المقيدة وغير المقيدة، يوضح المبهمات، ويشرح المشكلات، ويفتح معالم الصنائع في قلوب الصناع، ويحسن مواقع النغمات في الأسماع، وتسيل أودية المعارف في قلوب العارفين، وتتفجر عيون العلوم في نفوس العالمين، وتعظم أنهار الأسرار والحكم في قلوب الحكماء المحققين، وتترادف التنزلات الغيبيات، وترتفع الأسرار الرحموتيات، إلى أعلى فروع سدرة الانتهاآت، وتفتح على الشيوخ المربين علوم العلل والأدوية، ومعرفة اعتدالات الأهوية النفسانية، المردية وغير المردية، وتبدو لأهل المجاهدات نتائج المجاهدات، وتعطي ما فيها بالقوة من الكائنات المستحسنات، فطائفة منهم تتنعم بالمشاهدات الذوقية، وطائفة منهم تتنعم بمشاهدات الأنفاس والروائح العطرية، وفي الخضر تجتمع هذه المقامات، وعليه تبدو هذه البركات، وفي هذه التوجهات والحركات، تنفخ أرواح المعاني في قلوب أهل البدايات، وترضع أطفال المريدين ثدي أوائل التجليات، وينتشر عالم الصعود، وتتغلب أحوال البقاء، وتتشوف همم العارفين إلى الوصال، ويتسابق العبّاد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، ويفنى ما يضاد البقاء، ويموت ما يقابل الحياة، ويُمحى ما يناقض الإثبات.

فهذا ذكر بعض ما عاينت في الكون، من تأثير النمط الأول من هذا الدور، ثم ردني إلى النمط الثاني من هذا الدور، فقطع بي تسعين فلكاً، أبصرت أيضاً مع كل فلك ملكاً،

يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالحياة، والملك الآخر موكل بالتركيب، والملك الآخر موكل بالفناء، ومدة تدبيرهم في العالم أربع وعشرون ألف سنة، بين أيديهم سبعة أملاك مقتبلوا الشباب، كأنهم أبناء خمس وعشرين سنة، معصومون في أغراضهم، أقوياء في انتهاضهم، أشداء على التصريف، علماء بحدود التعديل والتحريف، وحالهم مع الثلاثة الأملاك، كحال السبعة الأملاك المتقدمين في الخدمة، وترتيب الحكمة، خمسة منهم علماء بفن واحد، اثنان لملك الحياة، وواحد لملك التركيب، واثنان لملك الفناء، والاثنان الباقيان، الواحد عالم بالحياة والتركيب، والآخر عالم بالفناء والتركيب، فلما عاينت منحاهم، وتحققت مغزاهم، أشرف بي على الكون المحبوب، لأرى تأثيراتهم في القلوب بأنواع الغيوب، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات الفلكية، والتوجيهات الملكية، يظهر عالم الأسرار على عالم الأنوار، ويكون العلم في المغرب أكثر منه في المشرق، ويقر العارف الرباني بالسبق الإلهي المحقق، ويتقوى سلطان الاصطلام، على أهل الأحوال والكرامات، ويتمكن العلم النوري في قلوب أهل المقامات، وطلبت الأسرار عالمها، وسلطنت عاملها، واتحدت شوكتهم، واحتدت بركتهم، وقامت مملكتهم، واستحكم سلطان الشهوات على عالم النفوس، وبانت حقائق الحس والمحسوس، وظهر الضعف في العقول، وانقطعت موارد المعقولات، واستمرت مواد المنقولات، واحترقت النفوس شوقاً إلى التجليات، واستحكم سلطان الحب في نفوس المحبين، حين ظهرت لهم اتصالات النهايات، ورفعت لهم أعلام الغايات، وتمعرت بحار المحسوسات بفنون الانفعالات، ورضع أطفال المريدين ثدي الملقيات، وتجلت العظمة المعظمة لأسرار الأولياء، وتمكنت النشأة البشرية، بما أُعطيت من الأسماء الإلهية، من تسخير الأرواح البرزخية، والأرواح التي أسرارها في أقدامها، والأرواح التي معارفها في جوانبها.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من تأثيرات النمط الثاني من هذا الدور، وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي فيه، خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا.

ثم ردني إلى النمط الثالث من هذا الدور، فجبت تسعين فلكاً، قد وكَّل الله مع كل فلك

ملكاً، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالأنفاس، والآخر موكل بالأرواح، والثالث موكل بالنيران، ومدة تدبيرهم في العالم خمسة عشر ألف سنة، يتصرف بين أيديهم سبعة أملاك كهول، قد كملت قواهم، وتحكمت عقولهم، وحسن تدبيرهم، وهم في التقسيم على حكم الخدماء المتقدمين في الدرجات والتساوي، فلما اطلعت على سرهم، وكَشْفِ ما خفي على الناس من أمرهم، نزلت إلى الكون، لأرى تأثيرهم المودع في ذلك الدور، وذلك بأن الله تعالى ساوى في الدقيقة، بين عالم الأسرار وبين عالم الأنوار، وسكن قلق المشتاق، وخمدت نيران الاشتياق، وطرأت على القلوب التغييرات، وقَلَّت المعارف وتوقفت التنزلات، واحتجبت المقامات المتخيلات، وانقطعت موارد علوم العلل والشِفَا، وذهبت أسرار الأقدام فكان أصحابها على شَفَا، ورجع العارفون عالمين بسر الانتقاص وحكمة المناص، وتوفرت دواعي الإخلاص، وحصل الواقفون في موقف السلب، وتجلى الاسم الحفيظ، وسمع في الملأ الأعلى من انضغاطهم كظيظ، وانتقلت المحبة من المحبوب إلى المحب المطلوب، ووقعت العصمة على الخواطر والقلوب، وانطردت الأبالس والوساوس، ولم يكن لعالم الأرواح قوة التصرف إلا في الخسائس، وظهرت أسرار الأكوان، وما تضمنه الملوان، واستوى الخفيف والثقيل، والبعيد والقريب.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من هذا النمط الثالث من هذا الدور، وقطعته في خمسة عشر يوماً ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف يوم من أيام الدنيا.

ثم ردني إلى النمط الرابع من هذا الدور، فدرت مع تسعين فلكاً، قد رتب الله بكل فلك ملكاً، يرجع أمرهم أيضاً إلى ثلاثة أملاك، الملك الواحد موكل بالمحو، والملك الآخر موكل بالرجاء، والملك الثالث موكل بالعلم، ومدة تدبيرهم ستة آلاف سنة، بين أيديهم سبعة أشياخ هرم لهم قوة الشباب، يتصرفون في كل ما يؤمرون، وحكمهم حكم من تقدم من إخوانهم، في التسخير والانفراد والاشتراك والمساواة وغير ذلك، فلما فككت رمزهم، واستخرجت لغزهم، اطلعت على الكون، لأرى ما ظهر عن سلطان هذا الدور، في قلوب أهل النور والحور، والعدل والجور، وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات العلويات،

والتوجهات الأفقيات، أظهر عالم الأنوار على عالم الأسرار، ووقعت النجوم، وكثرت التنزلات من الحي القيوم، وكورت الشمس، وطمس الحس، وسيرت الجبال، ونسفت الرمال، وعطلت العشار الظاهرة، وحشرت الوحوش المتنافرة، ووقع الطوفان، وزفر البركان، وزوجت النفوس، وتعشق بالمحسوس، ونشرت الصحائف، وتبينت المعارف، وظهرت اللطائف، وأُتي بجميع الظرائف، واتصل حبل التلاق، وكثر بين المحبين اللثم والعناق، وثُلّ عرش الفراق، ونثرت الكيان نجوم أسرارها، وأطلعت البرازخ لوامع أنوارها، وخُليّ البرزخ من سكانه، وتعشق التاجر بدكانه، وضجر أهل السلوك، وتنعم سُمَراء الملوك، ونبت الريحان في النيران، وظهرت يواقيت اللهب في العيان، وعمرت المعادن كلها بروح التكوين، وجاء الرب في ظلل من الغمام، والملائكة في خف الظلام، وكثرت مناجاة الوعد والوعيد، وتقصفت جوانح المحبين، وذابت أبدان العارفين، وسكنت النفوس بألأفها ومألوفاتها، وحنت لعُرَّافها ومعروفاتها.

فهذا بعض ما عاينت في الكون، من تأثير هذا النمط الرابع من هذا الدور، وقطعته في قدر المدة التي قطعت فيها النمط الذي قبله.

فلما وقفت على هذه المعارف، وحصلت فنون هذه الأسرار واللطائف، رددت إلى السيد الإمام إدريس، صاحب التأسيس، فقال لي: إياك والنسيان، فإنه سبب الحرمان، ثم قال لي: اركب جوادك، واشحذ فؤادك، وسر إلى حضرة أبيك، وحافظ على ما يحصل لك في تجليك، واعرف أسرار التوحيد، وهناك يتبين لك الفرق بين المراد والمريد، جعلنا الله وإياكم ممن عرف نفسه، وشاهد شمسه، بمنه وكرمه، لا رب غيره.

السماء الأولى:

فلما دعتنا دواعي الاشتياق، إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق، رحلنا نريد حضرة الميثاق، وهي حضرة أبي الآباء، وعنصر أجسام الأولياء والأعداء، أول بوطيقي تكوّن إكسيرها، وصار فضة بيضاء قزديرها، الجامعة للقبضتين، والحاكمة للحكمتين، واندفعنا في قلب الأفلاك، وقد حفت بركابنا أقاويل الأملاك، فما بقيت حقيقةٌ مررنا بها في طريقنا، إلا تجلت بأحسن زي، وقامت وخدمت، ولا روحانيةٌ إلا

سألت النزول عليها، فاحترمت وأكرمت، فأخبرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد، والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد، فإذا انقضت المآرب، وتميزت المذاهب، وسالت المذانب، وافترقت العواقب، واتحد الأول بالعاقب، وبانت المطالب، وتحصلت الرغائب، وعقلت تفاصيل المواهب، مع الإقرار بوحدانية الواهب، والتحقت بالعدم والوجود الأكاذب، أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة، ونزلنا عليكم عند ابتداء الدورة، فاستعدوا لحلولنا، وتأهبوا لنزولنا، ثم أخذنا نقطع دروب الدائرات، وقلوب الروحانيات، إلى أن نزلنا بفناء الوالد، والإنسان الواحد، الموصوف بالناجي والهالك، والمعروف بالباكي والضاحك، فأرسلت إليه رسول الهمة ينهي إليه إلمامي بحضرته، في القيام بمسرته، فأدخلني عليه، وأحضرني بين يديه، فقبلت يمين بساط مقامه، وسجدت تعظيماً لمعالي أعلامه، وإذا به في بيت من اللجين، من أحسن ما نظرت إليه عين، قد فتح فيه خوختين، الواحدة عن يمينه ينظر منها إلى عليين، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين، بواب الخوخة اليمينية بيغاء مستندة إلى الباب، وبواب الخوخة الشمالية عُقَاب، وعلى رأس الوالد تاج مرصع من الياقوت الأبيض، كأنه البرق إذا أومض، وعليه حلة دمشقية، وأمامه مجامير كافورية، تبرق من أسارير وجهه أنوار ظهيرية، في المجامير بخور المصطكى واللبان، وبين يديه أطباق الياسمين والسوسن والجرجير والأقحوان، فإذا استنشق الأقحوان تبسم، وإذا استنشق الجرجير اهتم، فلا يزال باكياً ضاحكاً، مملوكاً مالكاً، والإنسان الواحد بين يديه قائم، يبث إليه ما عنده من معالم العوالم، فقال لي: مرحباً بالابن السعيد، والطالب المستفيد، يا أيها الابن، ما الذي أوصلك إلينا؟ وما السبب الذي أنزلك علينا؟ فخدمت بساطه، واستغنمت انبساطه، وقلت: أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم، وعدل قسطاسه، وأبرم أمراسه، لما علم العبد أنك صاحب العلمين والصورتين، وحامل سر الآيتين، أراد أن يقف عليها منك مواجهة، وأن يسمعها بحضرتك مشافهة، فقال: همة شريفة، وداعية سلطانية منيفة، ثم دعى بترجمانه، وصاحب لسانه، وقال: اصعد على منبر الاستوائين، واذكر بعض ما عندنا وعند حاجبنا من أسرار علوم الكونين والصورتين، فصعد الخطيب وتكلم، وقال بعد أن بسمل وصلى ثم سلم: الحمد لله الذي جمع لآدم عبده وخليفته ورسوله بين يديه، وحباه بصورتيه، ومنحه سورتيه، وأودعه سريرتيه، وحصل فيه قبضتيه،

وهداه نجديه، وأنجب له سبيليه، وخاطبه بكلمتيه، وأمّره على ملأيه، واستخلفه على كونيه، واصطفاه برسالتيه، واختصه بخلافتيه، وكرمه بمشاهدتيه، وخصه بجنتيه، ووهبه معرفتيه، وأنزله بين علَمَيه، وأشهده مركزه وقاب قوسيه، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه، لإظهار صفتيه، فقام عظيمَ الشان، سلطاناً على الأعيان، واستوزر له الزبرقان، الذي هو نظير الرئة في الإنسان، فيعلو فينمو فيفضل، ويدنو فينحل فيذبل، فوزيره مثله وعلى صورته وسورته، له وجهان وطريقان، وسران وتجليان، وعحقان وإبداران، ومحق وإبدار في كل أوان، عند العالمين بما في الصنعة العلوية من الإحكام والترتيب والإتقان، واعتدال الأوزان، وله محق واحد وإبدار واحد عند العامة، فله الضدان، وسرعة التأثير في الأكوان، وهو شبيه بالإنسان، من جميع الوجوه القباح والحسان، وله التقابلان، وإليه ينظر الثقلان، وفيه كسران، وبدايتان وغايتان، ونقصانان وكمالان، وسران، وأمران، وتأثيران، وحكمان، وله يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، وثديان، وعلوان وسفلان، ويمينان وشمالان، وفوقان وتحتان، وخلفان وأمامان، ومخاطبتان، وقلبان، ولسانان، ومشرقان ومغربان، وأثران، وعرشان وكرسيان، وروحانيتان، وتبيضتان وتحميرتان، وتسويدتان وتكليستان، وحياتان وموتتان، واعتدالان وانحرافان، وعقدتان، وفيه من كل شيء اثنان، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الإتقان، إنه ولي الامتنان، والصلاة والسلام على الحقيقة المحمدية صاحبة الإمامة المطلقة، والخلافة المحققة[1] ما اتصلت الأرواح بالأرواح، والأبدان بالأبدان.

ثم نزل وتكلم الأب فقال: اعلم يابني - شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك - أن الله تعالى لما كان على الحقيقتين، وأبان عنهما بالقبضتين في الموطنين، وأنبا عنهما في عالم العبارات بالحرفين، وجعلهما على السواء في الفطرتين والنعيمين والعذابين، والطاعتين والمعصيتين، باعتدال الكفتين، وجعل الآخرة ذات دارين، لتحيط بالعالمين، وفيهما يقع الميز بين الفريقين، كما وقع في أوان القبضتين، قبل أخذ الميثاقين، وجعل الدنيا ذات برزخين، فأظهر الكافر في صورة المؤمن، والمؤمن في صورة الكافر لذي عينين،

(١) هذا يرد كل ما جاء في فتاوى الإمام ابن تيمية عن الشيخ الأكبر.

وجعلهما محل تمحيص وبلوى للطائفتين، فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكمين، فأمر ونهى لتميز الكلمتين، فمن وحّد حُبي بنار وجنتين، ومن أشرك جوزي بجنة ونارين[1].

واعلم يابني أن الله خلق الإنسان بين ستة أعلام، الفوق والتحت واليمين والشمال والخلف والأمام، فالفوق والتحت اختص بهما رب العزة من طريق المثل والمثال، والحقيقة والخيال، فالفوق للرؤية والتحت للحجاب، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلهية، وكانت النار سبعة أبواب للحجب النفسانية، ولو كان الحجاب باباً مغلقاً لفتح يوماً ما، وانقلبت الحقائق واستوى البصير والأعمى، وأما بقية الأعلام اليمين والشمال والخلف والأمام، فهي مرتبة على مراتب الجنة والنار، ومنها يأتي المَلَك بالطاعة المُحِلّة دار القرار، وإبليس بالمعصية الموصلة إلى دار البوار، قال تعالى ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾ أخبر بذلك عن إبليس، وفي مقابلته مَلَك التقديس، وهذه قسمة مدينة الإنسان، وهو مخاطب من ثلاث جهات: روح ونفس وجثمان، في كل عَلَم من هذه الأعلام الأربعة، ولهذا كانت مدينته مربعة، وللشيطان في كل علم سبع مردة، وللملك في كل علم سبعة وزعة، ملكان للروح ومَريدان، وملكان للجسم ومريدان، وملك واحد للنفس ومريد، وملك واحد سادس بين الروح والنفس، ويقابله مَريد عنيد، وملك سابع بين النفس والجسم ويقابله مَريد عنيد، وهكذا في كل عَلَم من الأعلام، مردة للوساوس وملائكة للإلهام، فمتى أتى الملك بلمته وهمته، أتى إبليس بلمته وعزمته، ومن ارتقى عن الملك والشيطان، بدت لعينيه إصبعا الرحمن، ولما كانت أعلام الإنسان أربعة، والجنة أربعة، والنار أربعة، كانت المنازل في الكثيب والحجاب أربعة، فالمنزل الواحد في الكثيب والحجاب منابر، والمنزل الثاني أسرة، والمنزل الثالث كراسي، والمنزل الرابع مراتب، وقد يدخلها كسر كما دخل في الأعمال، وفي عدم تتميم الأحوال، قال عليه السلام: يقبل من الصلاة عشرها تسعها ثمنها، هكذا إلى نصفها؛ فقد جاء بالعدد

(١) يعني أن الموحد حبي بنار الدنيا التي هي سجن المؤمن، وجنتين وهما الجنة المحسوسة والجنة المعنوية في الآخرة، ومن أشرك جوزي بجنة الدنيا التي هي جنة الكافر، وجوزي بنارين: نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة والنار التي تحرق الجلود في الآخرة.

المكسور، مع كونها حضرة النور، فإذا رأيت في هذه المراتب كسراً، فهو على هذا الحد، لنقص كان في أداء العهد، ولقد نبه عليه السلام في قتل جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة على ما ذكرناه، فأخبر أن في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن أسِرَّة أصحابه، وكذا شهدناه، فإن عبد الله بن رواحة توقف قليلاً في غزواته عن القتال كما رويناه.

ولما كان المصطفون ثلاثة: الروح والنفس والجسم في حق الموحدين، وكان المبعدون ثلاثة: الروح والنفس والجسم في حق المشركين، فافهم ما قررناه لديك، وأبرزناه إليك، فالروح خليفة، والنفس وزيره، والجسم مبلغ يتشرف به سريره، ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة، منبر وسرير وكرسي ومرتبة، من شكله وعلى مثله، وقد قال عليه الصلاة والسلام في سرّ التثليث: لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى آخرها والمهدي وسطها، فانحفظ الطرفان والوسط، وانضم المُلك وارتبط، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة وتقابل الهيئة، فارفع رأسك وانظر إلى الصُور، الذي هو قرن من نور، وانظر إلى اتساعه في عليين، وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين، وانظر أيضاً إلى ضيقه في سجين في أسفل سافلين، وما أودع الله فيه من الدركات للمحجوبين، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله، وأنّ كل إنسان لابد له من إحدى الدارين لا محالة.

فلما عاينت هذه المشاهد المتقابلة، وعرفت سبب ضحك الأب في المنازل العالية، وبكائه في المنازل السافلة، قلت له: ياأبت إني أريد أن تخبرني بما علمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء؟ فقال: يابني إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين، فلا يصح فيها وجود الخلفاء، وأما ما سألت عنه من معالم الأسماء، فإن الله عرض عليّ الحقائق قبل تأليفها وعرفني بأسمائها، وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها، ثم عرض على الملائكة تلك الحقائق، وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق، لما تقدم منهم في حقي من التجريح، كما رأيته في النبأ الصحيح، فقال ﴿أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين﴾ وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة، لقال: عرضها، وفي قوله ﴿عرضهم﴾ حجة واضحة، يعرفها من فرضها، فعلمت الملائكة

أسماء الحقائق في حال افتراقها، حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها، فقالوا ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليمُ الحكيم﴾ قال الله جل ثناؤه ﴿يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾، فألفت الحقائق بطريق ما، وقلت: هذا فرس، وألفتها بطريق آخر، وقلت: هذا إنسان، فأنبأتهم بأسمائهم، فظهرت حجة الله على خلقه، وقام لهم برهان حقه، فبمثل هذه الأسماء اختصصت، وهي التي على الملائكة نصصت، وإلا فليس في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح، لأنها على مجرد الاصطلاح، ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها، ولم تختلف المعاني التي بها قام قوام وجودها، ولهذا قالت العرب: هذا فرس، وهو جواد وهو طرف، وقالت الإفرنج فيه (كباله)، وقالت الروم فيه (ألوغ)، وقالت الترك (أط)، وقالت الأرمن فيه (سي) وقالت العجم فيه (أسب)، فالنفس تعقل معانيها، وإن اختلفت أساميها في مبانيها، فقلت له: هذه الأسماء الكيانية، فهل اختصصت أيضاً بالأسماء الإلهية؟ فقال: عليها فطرت الصورة الإنسانية، انظرها، فهي مصرفتك، وتحققها، فهي معرفتك، وبمعرفتها تفاضلت أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل وزكت النفس، فقلت له: كذلك وجدتها، ولهذا عُبِّدتها وما عَبَدتُها، ثم قلت له: ياأبت: أنت جامع القبضتين، وصاحب الحكمتين، وحامل الصورتين، فأخبرني عن السر الذي يرد المعادن إلى معدنين، وأوقفني على الكنزين الأحمرين والأبيضين، وعن سر كل وصفين، كالجلال والجمال، والانفصال والاتصال، والتركيب والتحليل، والتجميل والتفصيل، والفناء والبقاء، والإثبات والمحو، والسكر والصحو، والرب والعبد، والحر والبرد، وما أشبه ذلك، فإما أن تخبرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني، وإما بتفصيل هذه المباني، فقال: أما التفصيل فيطول، وإيضاح الحقيقة الجامعة أولى بالوقت، فأقول: إن الأشياء المنفعلة، إنما تنبعث من فاعلها على حقيقة وجوده في الأعيان، ولهذا لم يبق أبدع من هذا العالم في الإمكان، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان، إذ له الجود المطلق، والفيض المحقق، فإن تفطنت فقد أبنت لك عن درج التحقيق، وألقيتك على الطريق، فادرج عليه، حتى تعاين أسرار التفضيل لديه ـ وأما بحثك عن سر الكنزين، والأمر الذي يرد المعادن إلى معدنين، فاعلم أن هذا الأمر على مرتبتين: المرتبة الواحدة في الشاهد، تسمى خرق العوائد، وهي تصريف المحسوس، على حكم همم النفوس، وهي

مختصة بأرباب الهمم، ومعادن الحكم، فقوتهم تسري في الأرواح، بقلب صفات أعيان الأشباح، فهذه صناعة علمية، وسورة حكمية، آلاتها روحانية، ومواردها سماوية، إكسيرها مقرون بسعادة الأبد، وفعله مشاهدة الأحد، يتصرف في العقلاء، تصرف الأفعال بالأسماء، وأما المرتبة الأخرى فهي صناعة عملية، موقوفة على عناية أزلية، تورث الجنان، ومجاورة الرحمن، ولهذا قال في الكتاب المبين ﴿نتبوء من الجنّة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾، فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفيه فليتنافس المتنافسون، فمن أراد أن يقف عليها، ويصل إليها، فإنها الكنز الذي لا يُهَدُّ جداره، والزند الذي لا يظهر أُواره، وهي حكمة لا يودعها الله إلا الأمناء من عباده، والمتأهلين بحضرة إشهاده، فإذا أراد الشيخ أن يظهر في المريد ربوبيته، يخفي عنه شيئيته، ويضرب له ميقاته، ثم يحجب عنه أوقاته، ويأمره بالقصد إلى خط الاستواء، حيث يكون الليل والنهار والحر والبرد فيه على السواء، واعمد فيه إلى الجبل الشاهق في السماء، فستجده جبلاً عالي الذرى، صعب المرتقى، فيه أنواع من الحيوان، وكهوف وغيران، يعمره بيض وسودان، جُرْدَتُه أكثر من خضرته، تخترقه الرياح، وتعمره النارية والنورية من الأرواح، لهم سلطان عظيم يسكن في قبته، ووزعته حافون بقتبه، له أجناد وأمراء، وحكام وحكماء، فقام بنفس الملك خاطر السعادة، والتوجه إلى طريق الاستفادة، بخرق العادة، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك الذي بيده، إلى أبده، فاستعمل الفكر المحرق، لما قام به من الشوق المقلق، فأنتج له أن هذا الأمر موقوف على معرفة الحكمة، وأنها موضوعة بين النور والظلمة، موقوفة على المعدن والنبات، محكوم عليها بعدد شهود الزنات، ولكن قصر به الفكر عن تعين ذاته، وعن الإدراك لجميع صفاته، فقال له بعض حكمائه، وأخص علمائه: أيها الملك مطلبك في قدرتي، وحاجتك تحت قوتي، ولكن قد لا تعرف قدرها، فيحرمك الله خيرها، فأنا أنبهك أولاً على كيفية إيجادها، وحسن استعدادها، فإنها من الله بمكان، وكأنها مشاركة للقدرة في إيجاد الأعيان، فهي حكمة علوية، مدرجة في صناعة عملية، لتعلم أيها الملك أن الله هو الحكيم الخبير، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قبل كل شيء، وأنه أوجد الأشياء لا من شيء، ولكن مع اتصافه بهذه القدرة المحققة، النافذة المطلقة، لم توجد هذه المعادن ابتداء، حتى خلق الله سبحانه وتعالى الأفلاك العلوية، والروحانيات السماوية،

واللمحات الأفقية، وأودع كل فلك روحانية كوكبية، تحتوي على خاصية، وعند وجودها خلق الأرض والماء والهواء والأثير، ثم أوجد فيها منها دائرة الزمهرير، ثم أجرى الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، وخص كل متكون من هذه الأجزاء بسر من مكنون سره، فظهرت المعادن في أعيانها، وتخلصت بكرور أزمانها، فإذا كان الله تعالى مع قدرته، ونفوذ إرادته، وقوة علمه، لم يوجد شيئاً من هذه المعادن إلا بعد خلق هذه الأدوات، وأجرام هذه المسخرات، فكيف تطمع أنت أيها الملك أن تكون فعالاً لهذه الحكمة مع عدم هذه الأدوات، وتحصيل هذه الآلات؟ فإن قدرتك قاصرة، وصفقتك إن لم تحصل هذه الأدوات خاسرة، وما فعل الله شيئاً من هذه الأدوات، وقدّم لهذه المقدمات آلات، مع غناه عنها، إلا لحكمة علمها من علمها، وجهلها من جهلها ـ فقال الملك: فكيف السبيل إلى تحصيل هذه الأدوات، وتركيب هذه المقدمات؟ فقال الحكيم: أيها الملك ألست ساكناً تحت خط الاستواء، وأنت من أهل السواء؟ فقال الملك: بلى؛ فقال الحكيم: من أراد أن يعرف أصل نشأة العالم وترتيب هيئته، من خط الاستواء يعرفه، فقال الملك: فكيف أصنع، فإني لا أجد في نفسي قوة تصور هذه الأسباب والمقدمات، وإيجاد هذه التأليفات والتركيبات؟ فقال الحكيم: إن الله سبحانه وتعالى قد منحني القوة على بناء ما يماثلها، وإقامة ما يشاكلها، ووهبني أسرار كيفياتها، وكمياتها وحركاتها، ولي أصحاب من الحكماء، أهل الفطنة والذكاء، أشد بهم أزري، وأُحْكِم بمشاورتهم ورأيهم أمري، لينقضي غرض المولى، وتقوم له هذه الروحانيات العُلا؛ فسر الملك بما قاله الحكيم، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم، وقام الحكيم، فاخترق مخاريق هذا الجبل العظيم، ينظر فيه أين نقطة دائرة المركز التي تقوم عليه النشأة، ويترتب عليه نظام الهيئة، فرأى الرياح والبخارات التي تتخلل من مسام ذلك الجبل، فتصير كالدائرة تتحرك في موضعها، ولا يتعدى إلى غير مهيعها، فأعمل الحيلة، حتى روض ذاته، فالتحق بالأطيار، وسوى جناحيه وطار، واخترق معظم تلك الرياح محلقاً في جوها، ينزل بنزولها، ويسمو بسموها، إلى أن انتهى إلى موضع لا يتعدى النازل فيه على الصاعد، ولا الصاعد على النازل، فقال الحكيم: الله أكبر، قام المُلْكُ وظهر، فإذا بذلك المركز المعقول، أرض ذات أشجار وبقول، فأدار عليها الماء فدار، وأدار عليها الهواء فصفق النسر بجناحيه فيه وطار، وأدار به دائرة الزمهرير، وحلق به الفلك

الأثير، فلما أكمل هذه الأركان، لإنشاء ما يريد من المعادن والنبات والحيوان، لم ينفعل منهـا، ما أراد عنها، لأنها أشباح بلا أرواح، وإناث بلا ذكور، فاحتاج إلى إقامة النجوم الثابتة، والبروج الحاكمة، والكواكب السيارة وحركات أفلاكها، وفتح مسالك أملاكها، فأقامهـا، فكـانت الآبـاء العلويات، وهـذه الأمهـات السفليات، فتنـاكحت بالحقائق الروحـانيات، والرقـائق السماويات، فتولـد بينهـا بنات الحكم المعدنيات والنباتيات والحيوانات، ولم تبلغ قوة هذا الحكيم فوق الحد، ولكنه وفّى بالقصد.

فلما استوت هذه البنية، على حسب ما أعطته الروية وحسن النية، وجرت الأفلاك وأعطت قواها الروحانيات، وظهرت التكوينات والانفعالات، وأشرف الملك الكريم، على ما فعله الحكيم، وعاين تكوين هذه الحكمة في هذه الأجزاء، وعرف أن الأمر لا يقوم إلا بوجود الأرض والسماء، وأعجبه ما رأى من حسن الرواء، فأدركه الطيش والتوله، فخاف عليه الحكيم التاله، فأعمل الحيلة والنظر، حتى بدا له ما أراده وظهر، وشرع في إنشاء بستان، ذي أفنان، فيه من كل وليد وقهرمان، ومن الجواري الحسان، والنخيل والأعناب والرمـان، ضروب وألـوان، تنسـاب فيه الجـداول انسياب الثعابين، بين تلك الأزهار والبسـاتين، وابتنى فيهـا قصـوراً من الذهـب والفضة البيضاء، وأسكنها من كل جارية غضـاء، وفـرشهـا بالحرير من السندس والإستبرق، والعبقري المرقق، وجعل حصاها الياقوت والمرجان والزمرد والجوهر، وترابها فتيت المسك وآكامها العنبر، ثم شرع في إنشاء دار أخرى ذات لهب وسعـير، وبـرد وزمهـرير، وقيود وأغلال، وسلاسل وسرابيل من القطران، وأفاعي كأنها البخت، وأساود عظيمة الشخت، وعقارب مكونة من السحت، وبيوت مظلمة، ومسالك ضيقة، وكروب وغموم، ومصائب وهموم، ثم أشرف الملك على الدارين، وقال: انظر ما بين المنزلين، فراعه ما رآه، وسأله: ما السبب الذي دعاه؟ فقال الحكيم: جعلت لك هذه الدار دار الرضا، تُنعِّم بها من أطاعك ووالاك، وجعلت لك هذه الأخرى دار الغضب، تعذب بها من عصاك وعاداك، واعلم أن الله تعالى ما أسكنك في هذه الـدار، إلا لتجعلهـا دار اعتبار، فتفكر وتعتبر، وتَذَّكَّر وتزدجر، وتُعَظِّم مَنْ سوّاك فعدلك، وصورك فجمّلك، وولاك وملّكك، وعلمك وحنّكك، فإن كنت مطيعاً لربك

عادلاً في رعيتك، فتصير إلى النعيم عند الله، كما تُصَيِّرُ أنت من أطاعك إلى هذا النعيم، وإن كنت عاصياً جائراً في حكمك ظالماً، فتصير إلى ضيق وعذاب وجحيم، كما تُصَيِّرُ أنت من عصاك وناواك إلى عذاب أليم، فخف ربك وذنبك، وأصلح مع الله قلبك، وأنذر قومك، وطهر ثوبك، ولا يعجبنّك سلطان عادتك، عن تحصيل أسباب سعادتك، فإن الدنيا لمحة بارق، وخيال طارق، وكم من ملك مثلك قد ملكها، ثم رحل عنها وتركها، ولابد لك من الرحلة عنها إلى الآخرة، فإما أن تعمر درجها، وإما أن تعمر دركها.

واعلم أن الله تعالى ما جعلك ملكاً على خلقه، وأقامك بين الحق والباطل في مقام حقه، لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره، وإنما ضرب لك بك مثالاً في عالم الفناء، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء، ولهذا جعل هذه الدار الدنيا ظلاً زائلاً، وعرضاً مائلاً، وجعلك عنها راحلاً، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك، وميدان موضوع لمصارع الهُلّاك، كم أبادت من القرون الماضية، والأمم الخالية، والجبابرة المتألهين الطاغية، والفضلاء والحكماء، والأدباء والعقلاء، والأولياء والأنبياء، فهل ترى لهم من باقية؟ وأنت أيها الملك على قارعة مذهبهم، وعن قريب تلحق بهم، فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد، وإما إلى عذاب الأبد، فاجهد في تحصيل أدوات البقاء والنجاة، فإن الدنيا متاع قليل، والآخرة خير لمن اتقى، والعارية مردودة، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا علانية ولا سريرة، وهذا الذي تعين عليَّ من نصحكم إن كنتم تعلمون، وما على الرسول إلا البلاغ المبين، والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون، فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية، والقيام بالحدود الوضعية.

فقال الملك: جزاك الله خيراً، لقد وعظت فأبلغت، وقذفت بالحق على الباطل فادمغت، وأقبل الملك معتبراً في تلك الانفعالات الدورية، والأحكام الكورية، ولاحت لعينه نشأة الحكمة التي أرّقته، وشوّقته فأقلقته، فاعتز بها سلطانه، وتقوت بوجودها أركانه.

فإن دخلت هذا الجبل، وشرح لك الملك استقصاء مسالكه، مع من يعرفه من عمالكه، فستقف على تكونها، وقوة تمكنها بعد تلونها، وفي هذا الجبل العزيز، يتكون الحجر

المرموز، وليس بكامل في ذاته، ولا متمم في صفاته، فأدر سماواتك، واستنزل روحانياتك، عسى ينجلي عنك غمامها، ويبدو لك بدر تمامها، وكذلك إن لقيت روحانية متجسدة، ذات همة متعبدة، فستبين لك عينه، وتريك أينه، وتجود عليك بتمام تدبيره، وتعرفك بكيفية تسخيره، فإن التقديس بالأتفال، لايزال في استفال، فإن الحقائق الروحانية والرقائق السماوية، تتأذى مما تتأذى منه الإنسانية، فالحذر الحذر، من صفقة الغرر، واطلب الشيء من معدنه، ودبره في موطنه، فإنه من تولد من الحقائق الطينية الممزوجة بالأثقال، لابد لمن أراد أن يكمل ذاته من مباشرة الأزبال، فإنه عنها تكون، وبها تحقق وجوده وتعين، ولا يغرنك التحاق الأسافل بالأعالي، والتحام الأباعد بالأداني، فإن للمعادن موطناً، ولكل ساكن مسكناً، فمن حال بينها وبين معدنها، ودبرها في غير موطنها، سقط في يديه، وعاد وباله عليه، وكانت صفقته خاسرة، وتجارته بائرة، فإن كنت إلى تدبير هذه الصنعة وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق، فانزل على هذه الطباق، وسل عن الجبل المعروف، فستجد مطلبك في الحروف.

فنزلت في طلب ما عنه سألت، فوقفت لي روحانية متجسدة في محرابها متعبدة، تقطع الليل ساجدة وقائمة، ولباب ربها لازمة، فلما سلمت من صلاتها، وفرغت من دعائها، كوشفت بغرضي، فأخذت في إزالة مرضي، وقالت: أنا على علم ما سلب العقول فُقدانه، وعسر على أهل الطلب والذكاء وجدانه، وعِشْقُهم في هذا الأمر حيرهم فيه، فصرفهم عنه وأعماهم، فلو صَحوا وآثروا الزهد فيه، لحصل لهم بوقوفهم على ما هم فيه، وأنا أريد أن أودعك إياه، وأنزهك في مُحَيَّاه، وأعرفك بمعناه، وأتحفك بسر مغناه، وأفرق لك بين حكمته في مماته وحكمته في مُحَيَّاه، فانهض معي بلا حول ولا قوة إلا بالله، فرحل بي إلى خط الاستواء، فإذا الجبل المذكور معانق السماء، فنزل إليه شخص من سراة الأرواح، في نسيم الأرياح، لطيف الإشارة، فصيح العبارة، فقال: مرحباً وأهلاً، وسعةً وسهلاً، فقال الشيخ: هذا الغلام قد أنزلتُه عليك، وسلمته إليك، له همة في طلب الحكمة، وتشوق إلى معدن الرحمة، فسلمني إليه ووقف، وقَبِلَني الآخر ولم يتوقف، وسرت معه وانصرف، إلى أن أدخلني على الملك، فقبَّلت يمين بساطه، وانبسط فسررت بانبساطه، وعرف مقصدي،

فأخذ فيه بيدي، وأشار إلى بعض وزعته، وقال: سر به في ملكي، ثم مكنه من حاجته، فأخذني المملوك وكان من أحسن المماليك، فاخترق بي جميع المسالك، فرأيت ملكاً عظيماً، وسلطاناً جسيماً، بديع الترتيب والنظم، رفيع الكيف موزون الكم، ما من مسلك فيه إلا وعليه حافظ، ولا مجلس إلا وفيه واعظ، فمما رأيت فيه، نهراً عظيماً يجري منه وينتهي فيه، ينبعث من صهريج محكم البناء، يخرج منه ترع لمزارعهم، وجداول لسقي أشجارهم وبساتينهم، فإذا كثرت الأمطار عليهم، وترادفت السيول، وعظمت الترع والجداول، وسالت الجعافر والمذانب، خافوا على أنفسهم الدمار، لترادف تلك السيول وتوالي الأمطار، ولهذه الأنهار سدد مدبرة محكمة، لا يقوى كل أحد على فتحها إلا العالمون بذلك، وإلى جانب ذلك الجبل قرية، فيها عالم حكيم صانع، اسمه مالك، قد ورث فتح تلك الأسداد، عن الآباء والأجداد، فيفتح منها بصنعة معلومة، ما يخاف منه، فينشر على الأرض، فيغيض الماء وتقلع السماء، فتصلح الأحوال، بوجود الاعتدال، فإن النقص والتطفيف سبب البوار، ودليل الدمار.

فأخبرني الصاحب أن ذلك الماء، لما أخرجه الحكيم في ذلك الجبل وأجراه، وأقام مجراه، سوّاه بالأرصاد، وأوقف منفعته على الاقتصاد، وضرب لابتداء جريته ميقاتاً، وربط لإيجاد ما يعطيه أوقاتاً، فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم من العلوم، دبر منه حكمته بصنعة قيومية تنظر إليها روحانيات النجوم، ومما رأيت في ذلك الجبل، صهريجاً معلقاً في الهواء، عليه قبة عظيمة محكمة البناء، يسقط من تلك القبة حجارة رخوة ـ بصنعة هندسية روحانية ـ في ذلك الصهريج، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر معلق في الهواء، فترسب تلك الحجارة فيه فيثقل، وعندهم نهر يسمى النهر الغريب، يجري في أوقات مدبرة في سرب، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج، فإذا امتلأ طافت الحجارة على وجه الماء، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت، فيعود ذلك الماء حمياً، فتطبخ تلك الحجارة، فتكون منها الحكمة، وهي التي تسمى الكيمياء، وما نزل عن روحانيتها صار تفلا وماء، فلا يزال هكذا أبداً، ورأيت في ذلك الجبل مرجلاً على صورة الإنسان، له سريان صغير وكبير يسمى البركان، تخرج منه نار محرقة، وقد وكل الحكيم به شخصاً مدبراً، مجوفاً شبه الرويان،

يلتقف منه حرارة تلك النار، له باب فتح إلى الهواء، فتخرج الحرارة على باب ذلك السرداب، ولولا ذلك لانهد ذلك الجبل، واحترق من فيه من ساكنيه.

ثم نهض بي إلى قصر الملك، فرأيت قريباً منه بستاناً من الورد الأحمر، ورأيت فيه سردابين عظيمين، قد أودع الحكيم فيه طلسمين: الطلسم الواحد يعطي هبوب الرياح الزعازع، والطلسم الآخر يعطي نسيم الحياة، وله حكم في الغارب والطالع، في ذلك البيت عشر جماعات، وقد رتبهم الحكيم لأعمال بعض الصناعات، وقد قام فيهم شخص عريض، لين الشمائل معتدل القد أريض[1]، يدعى تاج الأقاول، ومعتمد الأوائل، له قدم في اختراق الهواء، وباع متسع في علوم الأرض والسماء، يحمل من عالم الغيب والشهادة، ما ترونه في مستقر العادة، ويختص بسر ذلك العلم المحققون من أهل الإرادة، فغمزني صاحبي وقال لي: انظر إلى أوسط الجماعة، وتحققهم فإنهم مطلوب أرباب الصناعة، فمن حصل منهم واحداً فقد استغنى، وحصل على المعنى، وتهنى ولم يتَعَنَّ، فطوبى لمن أخرجهم من أماكنهم، وغربهم عن مواطنهم.

وشاهدت في هذا الجبل من العجائب والأرواح المسخرة والسيمياء الصحيحة، والانفعالات الثابتة الفائقة الكاملة، والانبعاثات المحققة الشاملة الفاعلة، ما تضيق به هذه العجالة عن شرح أمره، وإيذاع سره، فلما طالعت هذه الأعلام المنصوبة، وعاينت الغاية المطلوبة، أخذت في الإسراء، والرجوع إلى سماء معلم الأسماء، فقلت للوالد: أريد أن أعرف ما للإنسان الواحد، من التصرف في أهل الإرادة، السالكين طريق السعادة؟ فقال: شأنك وإياه، ولا تغفل طرفة عين عن الله؛ فناديته: ياهلال، ياقمر، يابدر؛ فما أجاب، وقال: خسر من دعاني هنا بهذه الأسماء وخاب، فناديته ياسلطان الأنوار والظلم؛ فضحك وأجاب وقال: لا أجيب من ناداني في سمائي، بغير أخص أسمائي، وأما من ناداني في غير سمائي، فكل اسم يناديني به فهو من جملة أسمائي، فقلت له: أريد أن تخبرني بما لك من التصرفات، في أهل الأحوال والمقامات، وما تعطيهم من التنزلات والتجليات والكرامات، فقال: إن الله قدر لي المنازل، في الأعالي والأسافل، فلي في كل يوم منزلة، وأحوالنا في هذه

(١) ذو نفس متسعة طيبة.

المنازل مختلفة، فإذا نزلت بالنطح والبطين والجبهة والحرتين والصرفة والنعائم والبلدة، أعطيت من الأعمال المجاهدات، ومن التنزلات الإشارات، ومن التجليات الاصطلامات، ومن الكرامات المشي على البحور الزاخرات، وإذا نزلت بالثريا والدبران والهقعة والعوى والسماك والذابح وبلع، أعطيت من الأعمال الرياضات والخلقيات، ومن التنزلات برد الأنامل الحاملات لجميع العلوم الكائنات، ومن التجليات ما يختص بالنزول في السموات، ومن الكرامات قطع ما بَعُدَ من المسافات بيسير الخطوات، وإذا نزلت بالهنعة والذراع والغفر والزبانا والسعود والأخبية والمقدم، أعطيت من الأعمال ما يكثر فيه الحركات، ويسرع فيه تغير الحالات، ومن التنزلات ما تحمله المعصرات، ومن التجليات ما يظهر في المواطن البرزخيات، ومن الكرامات اختراق الهواء كالطير والذاريات، وإذا نزلت بالنثرة والطرفة والإكليل والقلب والشولة والمؤخر والرشا، أعطيت من الأعمال الوصال في الهاجرات، ومن التنزلات ما يختص بسريان الحياة في الحيوانات، ومن التجليات ما يأتي على أيدي المرسلات، ومن الكرامات إحياء الموات ـ فهذا ياأخا الإجلال، ذكر حالتي معكم على طريق الإجمال.

وأقمت في هذه السماء في تحصيل هذه الأنباء يومين، كل يوم منها على قدر أربعة عشر يوماً من أيام الدنيا، جعلنا الله وإياكم ممن عقل معناه، وأكرم مثواه، وبر أباه، وحفظه وتولاه، وقدس في كل موطن معناه، وأبين له طريق هداه، ونزه في كل وجهة وجهه ومُحَيَّاه، وأكرمه مولاه في مماته ومَحْيَاه، وحيَّاه عند اللقاء الأنزه بالتحيات الطيبات المباركات وبيَّاه، فالفائز والله من زكّى روحه، والخائب من دساه.

السماء الخامسة:

ثم أنشأ لي جواداً من المرة الصفراء، والتحفت بالبردة الحمراء، وسرت أريد سماء الخلافة النبوية، والإمامة البشرية، فلما وصلت الفلك الخامس، إذا بالخليفة جالس، مرتدياً برداء العزة والسلطان، عديم النظراء والأقران، فسلمت فرحب وأهل، ووسع وسهّل، وأمر بذبح ما حضر من الحيوان، وتسعير النيران، فخُمِّرت القدور الراسيات، وأحضرت جفان كالجابيات، وجيء بالكوامل المستديرات، عليها من الخبز المرقق،

واللحم المدقق، ما تسري برؤيته الحياة في الأشباح، وتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح، ناهيك من طعام صدر عن سر الحرفين، ونزل من كرسي القدمين، فلما تملأنا من الطعام، وحمدنا الله على ما منحنا من سوابغ الإنعام، أظهر الخليفة عزة نفسه، وقوة بأسه، وبيده قضيب من الذكر اليماني، رقيق الأشفار، ماضي الغرار، فقلت حذار من أسد العرين حذار، وبين يديه جماعة الأنجاد الأجواد، قد امتطوا متون الصافنات الجياد، عليهم الدروع المحكمة السرد، وبأيديهم رماح الخطيّ وقواضب الهند، وهم عازمون على إيقاع البلايا والمحن، وإظهار الحروب والفتن، وإهلاك الأعداء من النحل والملل، والفتك فيهم بحد القواضب والأسل، وقد ظهر سلطان الغضب المقلق، وارتفع لنار الحمية اللهب المحرق، وبان الطريقان، وامتاز الفريقان، وكل فريق يذب عن نفسه، ويحمي ذمار سنته، فقلت: ياسوء المكر الذي يحيق بعالم الخفض، ويابؤساً لأهل الأرض؛ وقام وزير الخليفة خطيباً في ذلك الملأ الأعلى عن إذن الخليفة المولى، وبيده عصا من الحديد، يلحق بها القريب والبعيد، متوجاً بعمامة حمراء، مرتدياً برداء أحمر، عليه فظاظة نكير ومنكر، فعندما أراد الشروع في خطبته العمياء، والتحريض على إمضاء فتنته الداهية الدهياء، أقام المؤذن صلاة العشاء، فبادرت إلى الصف الأول خلف الإمام، فبينما أنا أحضر نية الإحرام، إذ سنح بخاطري رسول الإلهام، بأبيات سمائية، في أسرار صلاة عشائية، وهي هذه الأبيات:

دعاني للمسامرة المنادي	مع المحبوب حين أتى العشاء
فأسبغت الوضوء وجئت قصداً	إليه ولم ينهنهني[1] اللقاء
فكبرنا نشير بأن أتينا	فما رُفِعَ الحجابُ ولا اللواء
فأثنينا بحمديه جميعاً	فشال الستر وارتفع الغطاء
وقال أصبت خيراً ياسميري	وصح لك السنا ثم السناء
تسامرني بلفظك من بعيد	وللمعنى على القرب استواء
فلا شرق ولا غرب لذاتي	وليس لها الأمام ولا الوراء
وليس لها الأسافل والأعالي	وليس لها الكفاح ولا الإزاء

(١) نهنهه عن الشيء: كفه وزجره فكفّ.

لنا الظلمات والأنوار حجب	على الأبصار ثم لنا العماء
فإن أكن ابتنيت على وجودي	لتسليم فأنت له الحاء
فيا قوم اسمعوا ما قال ربي	وما أعطى التعبد والحياء
ولما أن صفا الود اتحدنا[1]	فكان المرتدي وأنا الرداء[2]

فلما أحرمنا بدت ظلمات العمى، فلما افتتحنا المخاطبة أُجبنا من غير أرض ولا سما، فلما جهرنا، قال: من أنتم ومن أنا؟ فلما أسررنا وقعنا في العنا، فلما كبرنا في الركوع هيَّمنا في الهوى، فلما رفعنا ظهر سلطان الحيرة، فلما سجدنا أسدل حجاب الغيرة، فلما استوينا جالسين رأينا المستوي على السرير غيره، فلما سلمنا سُلبنا المعرفة، ورمي بنا في بحر الصفة، فلما فرغ الإمام من صلاته، وأكمل جميع تسبيحاته ودعواته، أخذ الخطيب عصاه، وقام إلى ما كان قبل ذلك نواه، فقال: الحمد لله واضع الملل، وشارع النحل، تارة بالوحي وتارة بالإلهام، فوقتاً خلف حجاب الإشراق ووقتاً خلف حجاب الظلام، فأضل وهدى، وأنجا وأردى، وأقام أعلام الضلالة والهدى، ففصل بها بين الأولياء والأعداء، وجعل الهدى لحزب السعادة سُلَّماً، ونصب الضلالة لحزب الشقاوة عَلَماً، وأوقع بينهما الفتن والحرب، في عالم الشهادة والغيب، وثبتت في صدورهم الشحناء، وبدت بينهم العداوة والبغضاء، فسفكت الدماء، واتبعت الأهواء، فالسعيد من ناضل عن شرعه المؤيد بالآيات، وقاتل عن وضعه المقرر بالمعجزات، والشقي من احتمى بحمى الضلالات، ودافع بمجرد الحميات، وأعمى نفسه عن ملاحظة الصواب، فيما وقع من الخطاب، فبادروا إلى نصرة الدين المكي، وقاتلوا بما ثبت في نفوسكم وقلوبكم من اليقين اليمني، وقد خاب من طلب أثراً بعد عين، ورجع بعد معرفته بعلو مرتبة الصديق إلى المين، جعلنا الله وإياكم ممن ذبَّ عن شرعه المعصوم، وناضل عن دينه المعلوم، وأنا أيها الأشراف الأقاول، والربانيون الأوائل، روح المقام المحمدي، ومعطيه سيف منزل الاستخلاف الكلي، لنا

(١) راجع معنى الاتحاد عند الشيخ الاكبر في كتابنا الرد على ابن تيمية ص ٩٩ ـ ١٠٧ ـ طبعة أولى ـ ص ١٠٤ طبعة ثانية.

(٢) راجع كتابنا الإنسان الكامل ص ١٥ طبعة أولى ص ١٦ طبعة ثانية.

الحياة والنمو، والاعتدال والسمو، ومعالي الدرجات، وبلوغ الغايات، والترقي إلى المعالي، والتلقي من المقام الأنزه العالي، وتحليل الجامد، والترحيب بالمقاصد، والعز القاهر، والسلطان الظاهر، والنضال عن الدين، وسفك دماء الملحدين، ونصرة الغزاة الموحدين، ونيل الأغراض، وسرعة الانتهاض إلى إزالة الأمراض، فله الشكر سبحانه على ما أولى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

السماء الثانية :

فلما فرغ خطيب الفلك الخامس من خطبته، وقرع الأسماع بموعظته، وأثنى على نفسه بعلو درجته، خرجنا نريد السياحة في فلوات المعاني، والسباحة في الفلك الثاني، فسحت في مساحات الأكوار والأدوار، وسبحت في ساحات الأسرار والأنوار، فتلقتني النفخة الروحية، المنبعثة من القوة اللوحية بالأشعة اليوحية، المكونة في الأرحام من غير التحام، فقلت: سلام على الكلمة والروح الإلهي، والمنزه عن الاستنكاف الرباني، فقال: وعليك السلام أيها الطالب علو المراتب، والذاهب في أقصى المذاهب، فقلت: الحمد لله على شهادة اعتصامية، حاكمة من نبوة خاتمية، فناداني بالحبيب المضاف إليه، ودعا لي بالتثبيت المعول عليه، وسألني هل وقفت على حقائقي، وميزت بين لطائف رقائقي؟ فإن موارد ألطاف أرواح القدس، إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس، فأنشدته:

إن القلوب بذكر الله والهة	والسر في مشهد المذكور مشغول
والنفس في البرزخ الكوني قابلة	والروح في الفلك العلوي مقبول
والعقل بين أمينيه جليسهما	والحس في الفلك السفلي مغلول

فقال: أبدعت في تفصيلك، ونِعْمَ ما أودعت في تجميلك، فهل بان لك نور الخلق والإبداع، فتعشق البقاع بك والقاع؟ فأنشدته:

النور نور المبدعات الوله	في أوجه الأعلى التنزيه الأنبه
يبدي الذي تخفيه في ملكوته	من ملكه الأدنى القريب الأنوه
فانظر إلى روح تجسد في الثرى	وانظر إلى جسمٍ تروحن أنزهِ

تبصرْ عجائب في منازل خلقها بمُشَبَّهٍ فيهـا وغـير مشبـه
فالـروح يشبه جسمَهُ إن جاءه والجسم ليس كذاك عند توله

فقـال: وهل سلكت أول طريق السعادة، وهو الإيمان بالغيب والشهادة، فعرفت منزل صاحبه، وأين يبلغ جواده الكريم الشامخ براكبه؟ فأنشدته:

قل للذي يؤمـن بالله أنـت على نور من الله
أنت الإمام المصطفى والذي يأتي من الله إلى الله
أنت الذي دان لك المستوى وعَـزَّ سلطانـك بالله
فافخر فإن الفخر لا ينبغي إلا لمن يعـتـز بالله
لولا الذي عندك من صدقه ما كنـت في ظل من الله
واحـذر فإن الله مستدرج نَفْسَ الـذي يغـتر بالله
واحسب على نفسك أنفاسهـا واهـرب من الله إلى الله

فقال: هذا الإيمان قد حصل، فهل ألم بك الإسلام ونزل، فأعطاك فائدته، وأجرى فيك عائدته؟ فأنشدته:

إذا أسـلم الـعـبـد واستسلما وكـان لأمـر الهـدى محكـما
يُنـادى به في طبـاق الـعـلى ألا قَرِّبـوا الـسيـد الهَمْهَما[1]
فيـأتي إلـيـه براق الهـدى يكـون له للعـلى سُلَّما
فيـعـلو عليـه بأذكـاره فيـنـزلـه المـحضر المـعْلَما
ويـنـزلـه في ذرى أوجـه فيسمـع في حيـنـه من ومـا
وأنت الـذي جئت بي قاصـداً إليـك وخـاطبت كي أفهمـا
فهمت الـذي همت فيه ومـا يُفـيـد الـفـؤادَ إذا سلما

فقال: هذا قد شهد لك الإسلام بالتمام، فهل للإحسان بساحتك إلمام، فإنه يعطيك أسرار الكمال، وتصريفات الجلال والجمال؟ فأنشدته:

---

(١) نسخة ـ الملهما ـ والهَمْهام كالهُمام السيد الشجاع السخي.

إذا كان إحساني شهودي خالقي | وكوني مشهودا فما لي إحسان
فإن وجودي من وجود مشاهدي | وإني في عين المشاهد إنسان
لئن كنت قد ساءت ظنوني برؤيتي | وجودك ياجودي فإنك محسان
تراني إذا جاء الشتاء بمنزلي | كثيباً، ومسروراً إذا جاء نيسان
وما ذاك إلا أن في الصدق ثلمة | تدل لها عاذٌ بذلٍ ومساسانُ

فقال: هذا الإحسان قد ظهرت منك أعلامه، وانتشرت فيك أحكامه، فهل انتقلت عنه إلى سر السرى، فعلمت أنه لا يُعْلَمُ ولا يُرى؟ فأنشدته:

سرّي بسر السُّرى للسر موصول | ولا تُكَيِّفْ فإن الكيف تضليل
إذا عجزت عن إدراك الإله بما | يعطيك برهانه فالعجز تحصيل
فلا تُفَصِّل ففي التفصيل تجملة | ولا تُجْمِل ففي الإجمال تفصيل
العلم بالله نفي العلم في خلدي | لكنّ مشهده للعقل معقول
إذا شهدت الفنا فيه شهدت فقد | أتى بذلك معقول ومنقول
العلم بالله ذوق لا دليل له | ما الله في العقل للبرهان مدلول

فقال: هذا سرك ظاهر، وسرك به قاهر، فهل أوقفك على سر الأيام المقدرات، الموجودة عن الأيام المسخرات؟ وهل أشهدك سر الأبدية في يوم الاستحالات، وكيف جمع المحالات؟ فأنشدته:

لقد كان الوجود بلا زمان | ولا كون وكان له التمام
فلما أن أراد وجود عيني | وكان الخَلْف قيّده الأمام
فما يُدْرَى الوجود بغير ضد | كما المأموم ميزه الإمام
فأول ما بدا روح تعالى | وصح له الإقامة والدوام
فيوم ثم يوم لا يجارى | وأربعة بها قام النظام
وأيام الإله مقدرات | فليس له وجود والسلام
فمنها ستة ظهرت وبانت | وقيدها التصرف والمَقام
وواحدها عزيز سرمدي | له القَدَم الصحيحة والمُقام

وذاك السبت رفعته نهار ... بأقوام وشقوته ظلام
إلى الأبد الذي ما فيه وقف ... وفيه كان للنفس القوام

فقال: نِعْمَ ما به أتيت، وصحيح ياحبيبي كل ما رأيت، لقد جمع لك بين مشاهدة العين، ومكاشفة الكون، فأنت الإمام الذي لا يُجارى والعلاَّم الذي لا يُبارى.

ثم أقيمت في عالم المثال، صورة الدجال، فقتله في عالم المعاني بحيث أُرَى، وألحقه بالثرى، ثم جيء بكساء من صوف من النور الأصفر، فانتزع من عرضه قدر أربع أصابع ليس أكثر، ولم يكن لطول ذلك الكساء، ابتداء ولا انتهاء، فقال: هذا كفنك، وفيه مسكنك، ثم أمرني بالزهد، والسعاية والجد، وأحضرت بين أيدينا مائدة الابتلاء، فأكلنا معترفين بالمنعم والنعماء، ثم منحني عوارف اللطائف، وفنون المعارف، وترتيب المواقف، ومنازل العلوم، وأسرار ما تحمله في سباحتها النجوم، وميز لي بين الخواطر، وأوقفني على المراتب والكراسي والأسرة والمنابر، وأدخلني في حضرة الإلهام والوحي، وحذرني من موارد القياس والرأي، ورفع لي عن منازل المبشرات، وكشف لي عن معادن النبوات، ونصب لي موازين الفكر، وعرض عليّ مقادير النظم والنثر، وخاطبني بغرائب السجع والشعر، وأبان لي عن سر الصعود بالتحليل، وفرق لي بين التحقيق والتخييل، وأوقفني على غلطات الأذهان، والتفرس في الأعيان، وسر المشي على الماء، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وكشف لي عن خواص المعادن والأحجار، وقال: ليس أقبل للسر من الفرار، ولقد تطاول إليه الحيوان، وما حواه نبات المعارف في كل جنان، ثم قال لي: ع ما أسمعتك، وخذ ما أودعتك، وانزل فيه به في الآن، فسترى آثاره في أعيان الأكوان، وهذا وقت صلاة العصر قد حان، فصل معنا وانصرف حيث ما شئت، من الطريق الذي عليه جئت، فأقيمت الصلاة وتقدم الإمام، واستوت الجماعات، وترتيبت الصفوف، وطال الوقوف، فخطر في النفس أن أقرع الأسماع بأبيات من الشعر، في أسرار صلاة العصر، وهي:

دعاني إلهي كي أناجيه في سري ... فنادى المنادي قد أتى مشهد العصر
فقمت فأسبغت الوضوء ولم أزل ... بعلمي به عصري على أسبغ الطهر
فكان لنا نوراً على نورنا الذي ... أتينا به من قبل في مشهد الظهر

فقال عُبيدي قلت لبيك سيدي | أتدري بأني واهب النفع والضر
وأن لي التحريك في كل حالة | وأن لي التسكين قلت له أدري
قال لي اشرع في الصلاة فإنني | أناجيك فيها بالبشارة في السر
وأعطيك علم الالتحام بصورتي | وكونك مني في الوجود على قدر
فتلثم منها الثغر في روضة المنى | فتُبورك مِنْ لَثْمٍ وبورك من ثغر
وتمتص منه ريق علم ولا ترى | تشبهه بالسلسبيل وبالخمر
تعانقها الليل الطويل بحضرتي | وتنكحها بالوهب من غير ما مهر
فلا شيء أحلا من نكاح بلا مهر | ولا شيء أحلا من صلاة بلا طهر
فإن طهور العبد برهان نقصه | فيا أحسن اللغز الذي سقت في شعري

فلما كبَّر الإمام، صح الإلمام، فلما افتتحنا التحقنا، فلما ركعنا امتطينا، فلما رفعنا اعتنقنا، فلما سجدنا اضطجعنا، فلما جلسنا استوينا، فلما سلمنا علمنا، بأنا وهمنا فيما همنا وما فهمنا.

ثم قمت بعد أن فرغنا من الصلاة، أسمع الحاضرين تعظيم الأرواح والكلمات، فقلت: الحمد لله الذي اختص هذه الحضرة بالعلمين، ونزه إمامنا هذا عن الشهوتين، وأعطاه لواء الختمين، وأضافه إلى كَلِمه، وسَبَّحَ به في لجج حِكَمه، انتسب إليه فَعُبِد، واستوى عليه فقصد، اختُص بخصائص الفهم، ووُهِب غرائب العلم، ونطق في المهد، بالإقرار والجحد، فقال ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً﴾ فعرف ما له قبل فطامه، وحكم على نفسه بالاستقامة قبل استحكامه، وشهد لنفسه بقبول الوصية الإلهية بالصلاة النورية، والزكاة الرهبانية، وسلم على نفسه في الثلاثة الأحوال، ثم نزه نفسه تعالى عما قاله أهل الضلالة من الضلال، فقال ﴿ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم، فاختلف الأحزاب من بينهم، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ فبادروا أيها الحاضرون إلى هذا النبي الكريم، بالتوقير والتعظيم، تفوزوا بالمقام الجسيم،

عند الرؤوف الرحيم، جعلنا الله وإياكم ممن رحم الصغير، وعرف شرف الكبير، فنال المقام الخطير.

السماء السادسة:

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على ورثتنا من موسى عليه السلام، فلما دخلنا عليه، وحضرنا بين يديه، سلمنا وخدمنا، فأكرمنا واحترمنا، وجمع لنا بين إقبال الأبوة والأخوة، إثباتاً لشرف مقام النبي سيدنا محمد ﷺ ووفاه بمقام النبوة، فقلنا له: هاتِ حظنا منك، لنخبر به عنك، وأوقفنا على ما لديك، وما صرف الرحمن فيك من النظر إليك، فشال الحجاب، وانفتح الباب، من خلفه جنتان ذواتا أفنان، فيهما عينان تجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، وكأنهن الياقوت والمرجان، فقال: هذا لمن حُرِمَ في دنياه الأمان؛ ثم شال عن يساره الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جنتان، مدهامتان، فيهما عينان نضاختان، فيهما فاكهة ونخل ورمان، فيهن خيرات حسان، حور مقصورات في الخيام لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان، فقال: هذا لمن عاش بالأمان.

وبقيت الأعيان تطلب العيان بالعيان، فشاهدنا ما أمرنا الله به في السورة التي يذكر فيها الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان، غير أن جنى الجنتين ليس بدان، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها، سألته ما السبب الذي قصر بنا عنها؟ فقال: ياولي تناولها موقوف على التركيب الثاني، إن قمت بتعظيم معرفة المثاني، وأنت في التركيب الأول، فاصبر حتى تتحول، فإذا سترت روحانيتك جسمك[1]، ووسمت وسمك، وعرفت سعادتك وإعادتك واسمك، وصرت في الصور الحوّل القلّب، تذهب فيها كل مذهب، حينئذ تتناول ما بسق من أشجارها، وتستنشق ما شئت من روائح أزهارها، وتقف على سر حجرها وأحجارها، فهنالك يبدو لك شرف الاعتدال، وصورة التمام والكمال، وسر الثوب الذي مال، وروح الضياء والظلال، والتحاق النساء بالرجال، وشفوفهن عليهم في جنات

---

(١) فإن نشأة الآخرة على عكس نشأة الدنيا، فيها تسيطر الروح على الجسم في التحول في الصور، وفي الدنيا الحس له السيطرة على الصور في الأجسام بالثبات.

الأحوال، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال، ويبقى العلم ويذهب الخيال، وتتضح المعاني ويزول الإشكال، وينحفظ الترتيب، باعتدال التركيب، وتبرز حقيقة الأبد، ويدوم البقاء بالديمومة الإلهية من غير أمد، وتلوح كيفية التولد، وماهية التعبد، وأسرار الصلوات والصدقات، وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصَّدُقات، ومعالم الوقوف بعرفات، وسفك دماء القرابين بمنى لابتغاء القربات، ومقام الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، المقْرُون بذكر الآباء والأمهات، وانتظام الشمل بالحبايب، والتحاق الأجانب بالأقارب، وتنوع المراتب باختلاف المذاهب، وسرور الروح والنفس، بتحصيل الجمال والأنس، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر وإن كان كافراً، وهدى الطالب وإن كان حائراً، وتعلم أن الله لا تضره معصية عاص ولا تنفعه طاعة طائع، ولم تسمى بالمانع والجواد ليس بمانع.

ثم قال: ناد ياحنـان يامنان، يارؤوف ياقديم الإحسان، يامن جعل معدن النبوة أشرف المعادن، وموطن الأحكام أرفع المواطن، أنت الذي سويت فعدلت، وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت، ياواهب إذ لا واهب، ويامانح المثوبات أهل المكاسب، أنت الذي وهبت التوفيق، وأخذت بناصية عبدك ومشيت به على الطريق، وخلقت فيه الأعمال المرضية، والأقوال الزكية، وأنطقته بالتوحيد والشهادة، ويسرت له أسباب السعادة، ثم أدخلته دارك، ومنحته جوارك، وقلت له: هذا لعملك بعلمك، ولك ما انتهى إليه خاطر أملك.

فناديته كما أمرني فأجاب، وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب، فلما تجلى دك الجبل الراسي، وخررت على راسي، فانصرف الإدراك إلى القلب فأبصر، وقال: أين هذا من مقام الله أكبر، وهو الله أكبر، فلما أفقت بعد الصعق، وأبدرت بعد المحق، نطقت بالتنزيه، الذي يوهم التشبيه، والتحقت بأول إيمان الأولياء الأبرار، بأنه لا تدركه الأبصار، إلا في غير هذه الدار، وأخلصت المتاب، فمَنَّ الله وتاب، فقلت لموسى عليه السلام: هذا ميراث مشهدك، وأسنى مقعدك، صدق خاتم الأنبياء في إبانته عن مرتبة العلماء، بأنهم ورثة الأنبياء، فالحمد لله الذي أورثنا، ثم أماتنا وبعثنا، فقال موسى: هل رأيت مقعد النورين، ومحل السرورين؟ فقلت: وأين ذلك؟ فقال: في صلاة الظهر، نور في نور، وسرور

في سرور، فقلت: لو حان وقتها صليتها في حضرتك، ووقفت عليها من مرتبتك، فإنك الأخ من تمنيك الأنفس، والسيد من المقام النبوي الأقدس، فقال: أما ترى الشمس في مدرجة السلوك، قد شرعت في الدلوك؟ فأقم الصلاة وأحرم، وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرّم حتى تسلم، فإذا سلمت حرمت عليك الأشياء، وحكمت عليك الأنباء، فوقع في نفسي من أسرار صلاة الظهر أشياء ضمنتها أبياتاً من الشعر، فأسمعتها الإمام قبل أن يشرع في القيام، وهي هذه الأبيات:

دعاني للمناجاة السلام	وقال لنا التكلم والكلام
فأسبغت الوضوء على حضور	إلهيّ يؤيده التمام
فأحرمنا فحرمنا المعاني	وكبّرنا فكبرنا الأنام
تناجينا طويلاً بالمغاني	على كثب وقد رفع القرام
وفاتحناه بالتحميد كيما	يراجعني فيثبت لي المقام
فمني اللفظ والمعنى إليه	ومنه إليّ معنى والسلام
فيظهرني به فيها لديه	على كوني إذا اشتد اللزام
ويظهر لي فأكتمه فيخفى	فأظهره فيستره الغمام
ويأتي الأمر منه إليّ حتماً	بأن الكشف في الدنيا حرام
فأستره فيسترني فتبدو	لدى السترين آيات جسام
فأرجع للأنام معي كلام	وعندي منه أهوال عظام
فمنها الحين والتحكيم فيها	ومنها الانزعاج والاصطلام
أكاسير ترد الميت حياً	ويمطر عند رؤيتها الجهام
وكان الحق مأموماً ورائي	على تعظيمه وأنا الإمام[1]
وذلك في الظهيرة حين زالت	غزالتها فصح لنا المقام
لهذا اللغز إن فكرت فيه	رأيت الحق حقاً بإغلام

---

(١) يعني يقول العبد «الحمد لله رب العالمين» فيقول الرب «حمدني عبدي».

فلما أحرمنا أحْلَلْنا، فلما افتتحنا مُنحنا، فلما ركعنا أسمعنا، فلما رفعنا رُفعنا، فلما سجدنا وجدنا، فلما جلسنا أنسنا، فلما سلّمنا سَلِمنا، فلما فرغ الإمام من جزيل المثوبات، واستعاذ من وبيل العقوبات، صَعِدت منبر النور، وفي يدي عصا من البلور، وقلت: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه، وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سمائه، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك، سيارة في روحانيات الأملاك، أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق، وأبان لها من مقامات القرب ما حكم عليها به سلطان المحق، دعتها نغمات إيقاع السماع في الأسماع إلى الاستماع، فاشتاقت إلى خطابِ الأحباب، بمدارك لب لباب الألباب، من غير حجاب ولا حُجّاب، فوقعت المحاورة والمخاطبة، والمجالسة والمؤانسة والمعاتبة، وزالت المراسلة والمكاتبة، فسطعت أنوار أسرار نور ذاتها، وتبلبلت بلابل سرها بكلماتها، فقالت وقال، وأطالت وأطال، ثم منحها الوصيات القدسيات، والتدبيرات الإلهيات، وأطلعها على أسرار النيات، في المناجات لأسرار المتجليات، بالنيران المتخيلات، وقيل لها: إنَّ جُلَّ الخير، في السعي على الغير، فمن أراد مني قضاء مآربه، فليقض حاجة صاحبه، وإن لم يستند فيها إلى جانبه، ولو ذهب في غير مذاهبه، ياأيتها الأرواح الطاهرة، والأنفس الزكية المتظاهرة، ها أنا أقرب إليكم منكم، ولكن لا تغتروا، فكما أنا لكم أنا عليكم، وقد أبنت لكم في مقام المعرفة، أنه لا تقيدني صفة، فالزموا مواطن العدل، وانعموا بسوابغ الفضل، فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشا، والبصير الذي لا يقوم ببصره عشا، فلا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا ولا تهاجروا ولا تباغضوا ولا تنافروا وكونوا عباد الله إخوانا، تنالوا بذلك رفعة وأمانا، فأنتم السابقون المقرّبون، وأنتم الرسل المقرّبون، وأنتم المرشدون الأعلون، فلا ينجو بكم الغير وتشقون، فاحفظوا وصيتي ولا تنسون.

فرجعت الأرواح بألوية رسالاتها منشورة، ونصبت كل لواء بازاء كل صاحب سورة، وخاطبت النهى، ومنحت اللهى[1]، جعلنا الله وإياكم ممن تميز في صدر الجلال والبهى، وتعزز بالسمو على سدرة المنتهى، آمين بعزته.

---

(١) اللهى العطايا مفردها لهوة.

السماء الثالثة:

ثم نزلنا من سماء النظام، إلى سماء التصور التام، بحسن الانتظام، لنأخذ ورثنا من يوسف عليه السلام، فوجدناه على سرير قدسه، فاستنزلنا روحانية نفسه، فنزل في حسنه البديع، موافقاً حركة زمان الربيع، فأبصرنا وجهاً كأنه بدر التِم، أو الشمس انجلى عنها الغيم، فتصدعت القلوب، وتيمت النفوس، وهيمت الأرواح، وتقيدت العقول، وتوقفت الحواس، وانكسف البال، وتغيَّر الحال، وبلبلَ بلبل الوجد بين الجوانح، وتقصفت الأعضاء وخدرت الجوارح، ودعا داعي الأشواق، وقام بالقلب الاصطلام والاحتراق، وتمكن الأرق، واشتد القلق، واستوى سلطان الذبول بجيش النحول، وسالت سماء الدموع، على أرض الخضوع، فقلنا له: هذا فعلك على النصف[1]، فكيف لو اجتمع الموصوف والوصف، وبين يديه صورة ينشئها، وبنية يهيئها، قد زينها أحسن تزيين، وأسرى في مسالكها أحوال التلوين، وأرسلها في الكون، محبوبة إلى كل عين، تسحر الناظر، وتقيد الخاطر، وتعطي اللذة قبل النيل، وتحير السمع في ترجيع القول، إن غَنّت عنّت، وإن نظرت سحرت، وإن لمست آنست، وإن ملكت فتكت، وإن لعبت أتعبت، وإن لمت ولّت، وإن أعرفت أرعفت، على رأسها تاج من الغمام، وعلى جبينها إكليل من الدر التمام، وفي إصبعها خاتم الحِمام[2]، إن هجرت أقبرت، وإن وصلت أقبلت، إلا أن لها سياسة مدنية، ورياسة إنسانية، تتواضع فتهتك السرائر، وتترافع فتتعب البصائر، الهيبة منوطة بذاتها، والجلال من جملة صفاتها، فبينا أنا أنظر في جمالها، وأهيم بين دلها ودلالها، إذ أقيمت صلاة المغرب، فقالت: قم لمشاهدة الأمر المُغرِب، فقمت وقد رويت أبياتاً من الشعر، في أنزه ما يكون في المغرب من الأمر، في غيابات السر، وهي:

أفلت شمسنا بمغرب ذاتي ... فدعاني إلى الصلاة الشهيد
فتوضأت ثم جئت إليه ... من قريب وإنه لبعيد
قلت ربي فقال لبيك عبدي ... أين حمدي؟ فقلت أنت الحميد

---

(١) النصف هو أن يوسف عليه السلام حاز شطر الحسن.

(٢) الحِمام: قضاء الموت وقدره.

فافـتتحنـا به فَرْدٌ علينـا | مثله واكتفى وكـان المـزيـد
وتـدانـى فكـان مني كأني | ثم ولّى فقـلت أيـن تريـد
قال نمضي فإن قومـك جاؤوا | ومقـامي مع الكيـان شديـد
ثم فحييّهـم فقلت سلاماً | وبقـلبي من الفـراق وقـود
ما ألـذ الخـلو بالله ليـلاً | لو يصح المقصود صح الوجود
فاستمـع رمـز ما أغـار عليـه | ياحـبيبـي، وإنني لكنـود
يشبه المسجد الكريم وجودي | وهو شخص الوجود منه الورود
لو أرى عالمـاً به لا بذاتي | لتـوالى عليّ منـه الشـهـود
فأنـا عـالم بـه وبـذاتي | فوصـالٌ وقتـاً ووقتاً صدود

فلما كبرنا كُبِّرنا، فلما قرأنا أُنبئنا، فلما ركعنا رفعنا، فلما رفعنا وضعنا، فلما سجدنا شهدنا، فلما جلسنا يئسنا، فلما سلمنا حكمنا، فلما فرغت الصلاة، وأجيبت الدعوات، قمت إلى منبر من الياقوت الأكهب[1]، بخطبة ذهبت فيها أحسن مذهب، وقلت: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه المكين، فلما أقامه في أحسن تقويم رده إلى أسفل سافلين، فلما أناطه بالمركز، ليقيم به دولة العز، أعطاه سر التدبير والتفصيل، ووهبه في كل ما علمه قوة التحصيل، فما بقي روح مجرد إلا سجد، ولا ريح معبد إلا شهد، ولو تكبر وجحد، ولا صامت إلا تكلم، ولا ميت إلا حيّ وسلّم، فإنه النور الأعلى، والقطعة المثلى، ولولا ما هو من ذلك المقام، ما انقادت لسلطانه الروحانيات الجسام، فشقت هذه السدفة الترابية أنواره، وتخللت مسالكها أسراره، ونفذت إلى حضرة توحيد مُوجدها، وعاينت كريم مَشْهَدِها، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة، لما هي عليه من نفوذ الهمة، فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها، واعترفت بسمو مَذهَبِها، وأن لها أرفع المناصب[2]، وأشرف المناسب، ثم اختصت دونها بالمكاسب، فعظمت لديها المواهب، فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم[3]، قبل أن يعلم منها ما علم،

(١) الأكهب الأغبر المشرب بسواد.
(٢) هو قوله تعالى ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾.
(٣) يعني قول الملائكة ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾.

ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام، وأن الروح المجسد له الكمال والتمام، وحسن التقويم والنظام، ثم صبغها في الجمال العرضي، حجاباً للتعشق الغرضي، فعشقت نفسها بنفسها، حتى لا تتعلق بغير جنسها، فتدعن لغير الجنس، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز بالأمس، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها، وتقاصر عن تمامها، فبقيت بذلك عزتها عليها موقوفة، وهم غير جنسها إليها بالخدمة مصروفة، وهي بذاتها في ذاتها معشوقة مشغوفة، وجعل لها هذا الشغف الغرضي، في الجمال العرضي، حجاباً على الجمال المطلق، والحسن البديع الفائق المحقق، القائم بذات الحق، الذي لا يتقيد بالوقت، ولا يدرك بالنعت، ومن مراتب الكمال، قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله جميل يحب الجمال، ومن غوامض السر المكنون، قوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ فمن انحجب عن هذه الأرواح المجسدة بهذا الحجاب عن هذا الجمال، لم يزل في سفال العوال، ومن لم ينحجب به صح له المقام العال، وسجدت له الظلال بالغدو والآصال، ومن انحجب عنها بهذه الأرواح المبعدة عن هذا الحجاب لم يزل في سفال السفال، جعلنا الله وإياكم ممن تعشق بربه ـ وإن لم يُرَ به[1] ـ آمين.

السماء السابعة:

ثم جاءت الروحانيات المسرّحة الإنسانية، بأيديهم الرايات السود الخراسانية، ومعهم براق أدهم، كأنه قطعة ليل مظلم، فامتطيته عشاء، واندفعت طالباً اعتلاء، إلى أن وصلت إلى سماء الخليل، فاستأذن الرسول، فإذا بإبراهيم عليه السلام قد غشيته الأنوار الليلية، والضياءات الإلّية، فعندما أبصرت هذا الأب الثاني، سويت المثاني، واندفعت أقول:

ألا من مبلغ عني مقاماً	وقفت عليه بالأبت السلاما
وملتزم دعوت به إلهي	لقلبي والتزمت به التزاما

---

(١) يعني طلب الستر عن حكم العشق في ظاهره.

وقبّلت اليمين يمين ربي	وراعيت المودة والذماما
وكانت قُبلة قُبلَت لكوني	أردت بها التقدم والأماما
فخاطبني اليمين فزاد وجدي	وهيمني فأورثني السقاما

وقد استند إلى البيت المعمور، المُغشَّى بأستار النور، يدخله كما قال عليه الصلاة والسلام في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه أبداً، فهفا إليه الروح وتأخرت التربة، وهاجت بها الأشواق إلى الطواف بالكعبة، وانبعث الحس من زاوية تربته، مخبراً بما استقر عنده من الشوق إلى كعبته.

إني إلى الكعبة الغراء مشتاق	فيها لعاشقها في السر أعلاق
إذا تذكرت أسراري ومشهدها	فيها يحركني للبين أشواق
الله يعلم أني لست أذكرها	إلا وعندي لذاك الذكر إحراق
فالروح تائهة والنفس والهة	والقلب محترق والدمع مهراق

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي، والسيد النجدي التهامي، قال: يابني أبَعدَ الوصول إلى البيت المعمور، ووقوفك في مشهد النور، تحن إلى البيت الذي يبور، القائم بالتراب والصخور؟ فقلت: ياأيها السيد الإمليد[1] لا حرج على من حن إلى جنسه، فإنه اشتاق إلى نفسه، ألا ترى الذي سرى؟ كيف هفا إلى البيت المعمور، وهم بالخروج من حبسه، وهو يتزعج ويمسكه الأجل المسمى، فهو كمُقْعَدٍ يحمله أعمى، فلو تخلص من ناشئة ليلته وشدة وطئتها، تحرر من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه وعِظَمِ سطوتها، فلو وهِبَ السراح راح، ولو مُنِحَ المفتاح استراح، ياأبت كيف لا أشتاق إلى تلك المناسك والأعلام، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام، وأعليتها للمتثاقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام؟! فقال: ظننت أن سرك انحجب بتربته، ولهذا حن إلى كعبته، ثم قال: ياأبا رزين[2]، وياأيها العاشق المسكين، المشغوف بالحجارة والطين، كيف تركت سرك بالكعبة

---

(١) الناعم اللطيف.

(٢) الرجل الوقور.

حبيساً، وصرت في العالم العلوي رئيساً؟ فتنفس أبو رزين الصعداء، وقال: واشوقاه إلى أعلام الهدى، وعظم هيجانه واشتد، ورق أنينه وأنشد، يقول:

قل لبيت الحبيب رفقاً قليلا بقُلَيبٍ أمسى عليلاً ذليلا
لست أنسى بلابلاً بفؤادي يوم نودي بنا رحيلاً رحيلا
ليت أني يوم النوى والتداني لوداعٍ أبقى لديه قتيلا
لست أنسى ببطن مكة يوماً قوله لي: بالله صبراً جميلا
إن بي مثل ما بكم فلتكن بي طيِّبَ النفس للسرور وصولا
لم أزل حين بنت عنهم وقاموا اشتكي الوجد والجوى والغليلا
وأنادي في كل فج فؤادي وأقاسي منه عذاباً وبيلا

فرَقَّ له المولى، وقال النزول إلى الكعبة بهذا المسكين الواله أولى، فقلت: ياأبت إذا مشينا بأخينا هذا أبداً إلى مغناه، متى يلتذ السر بمعناه؟ فقال: يابني إذا سريت بفكرك في عالم المعاني، انحجب حسك عن الالتذاذ بالمغاني، فإذا سرى حسك في عالم المغنى، لم ينحجب سرك عن مشاهدة المعنى، فالبقاء مع الحس أولى، في الآخرة والأولى، وسيبدو لك شرفه عند الرؤية، في جنة المنية، فقلت: ياأبت فما تراني صانعاً؟ قال: انزل به الآن إلى البيت بعمرة قبل أن يبدو الفجر طالعاً، فنزلت بهمة مهمة، فوقعت في بيداء مدلهمة، ليس فيها نبات سوى السمرات، ولا سكان إلا الأفاعي والحيات، وقد دُرِسَت طرقها، فتاه طارقها، عديمة الأُنس، لم يسكنها جن ولا إنس، وحشية الطبع، كريهة الوضع، فقطعتها بجهد وعناء، ومُقاسات وبلاء، إلى أن أشرفت على الأعلام، فلبيت بعمرة ياذا الجلال والإكرام، فلما عاينت البيت هاج القلق، وعَظُمَ الحرق، وبادرت إلى الحجر الأسود فقبلته، وشرعت في الطواف وأكملته، واستجرت بالمستجار، والتزمت الملتزم، ثم ركعت في المقام، وشربت من ماء زمزم، ثم سعيت وأحللت، ثم نهضت إلى السماء ورحلت، فلما رآني الخليل، قال: مرحباً بالابن الجليل، هذا الفجر قد بدت دلائله، وطلعت منازله، وبدت أعلام الفتح، من أجل صلاة الصبح، فتوضأ يابني من السلسبيل، فإنه موقوف على أبناء السبيل، فغسلت يديّ ولم يكن بها أذى، فقال أمين النهر: من ذا، ثم تمضمضت

فأفرغت، ثم استنشقت فعبقت، ثم استنثرت فأوترت، ثم غسلت وجهي فأريت، ثم غسلت يديّ إلى المرفقين فسُورت[1]، ثم مسحت رأسي فتوجت، ثم مسحت أذني فكلمت، ثم غسلت رجلي فدملجت[2]، ثم أقيمت الصلاة فأقمت، فلما أحرمنا أحرمنا، فلما كبرنا كبرنا، فلما افتتحنا سرحنا، فلما ركعنا نزعنا، فلما رفعنا دفعنا، فلما سجدنا عبدنا، فلما جلسنا رأسنا، فلما سلمنا حكمنا، فرقيت في منبر من السبج[3]، وقمت فيهم خطيباً في سابع درج، ثم أنشدت:

ولما بدا الفجر الذي لاح من قلبي	دعاني ودادي للحديث مع الرب
فطهرت أثوابي وطهرت بقعتي	وطهرت أعضائي وناديت بالحب
حبيبي تراني عند باب جلالكم	فهل لي إليكم من سبيل ومن قرب
تريد جفوني أن ترى نور وجهكم	فتشهدكم عيني ويرعاكم قلبي
ترفق بمن أضحى قتيلاً بحبكم	وبالكلف[4] المشتاق والواله الصب
أتاكم من الكون الغريب لترفعوا	بفضلكم عنه مشاهدة الحجب
يناجي الذي في قلبه من وجودكم	بما جاء منكم في الصحائف والكتب
فمنوا عليه بالوصال فإنه	أسير هواه الجو إن كان ذا سحب
فوالله ما لي راحة دون وجهكم	وما لي شفيع أرتضيه سوى حبي
فأطلعَ شمس الذات في القلب فانتفى	وجودي ولم يثبت سوى عالم القرب
فسلمت من تلك الصلاة مقدّماً	على عالمي كوني وعدت إلى صحبي

الحمد لله الذي جعل الهوى حرماً، تحج إليه قلوب الأدبا، وكعبة تطوف بها أسرار ألباب الظرفا، وجعل الفراق أمَرَّ كأس تُذاق، وجعل التلاق عذب الجنى طيب المذاق، تجلى اسمه الجميل سبحانه فألهى الألباب، فلما غرقت في بحار حبه، أغلق دونها الباب،

(١) أي ألبست السوار.

(٢) الدُملج: المعضد.

(٣) السبج: الخرز الأسود.

(٤) المولع.

وأمر أجناد الهوى، أن يضربوها بسيوف النوى، فلما طاشت العقول، وقيدها الثقيل، ودعاها داعي الاشتياق، وحركتها دواعي الأشواق، رامت الخروج إليه عشقاً، فلم تستطع فذابت في أماكنها الضيقة ومسالكها الوعرة وجداً وشوقاً، فاشتد أنينها، وطال حزنها وحنينها، ولم يبق إلا النفس الخافت، والإنسان الباهت، ورثى لها العدو والشامت، وأذابها الأرق، وأتلفها القلق، وأنضجتها لواعج الحرق، وفتك فيها الفراق بحسامه، وجرعها مضاضة كأس مدامه، واستولى عليها سلطان البين، فمحق الأثر والعين، ونزلت بفنائها عساكر الأسف، وجردت عليها سيوف التلف، وأيقنت بالهلاك، وعاينت مصارع الهلاك، وما خافت ألم الموت، وإنما خافت حسرة الفوت، فنادت: ياجميل بإحسان، يامن قال ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾، يامن تيمني بحبه، وهيمني بين بعده وقربه، تجليت فابليت، وعُشقت فأرقت، وأعرضت فأمرضت، فياليتك مرّضت، وأفرطت فقنطت، وقربت فدنوت، وبعدت فابعدت، وأجلست فآنست، وأسمعت فأطمعت، وكلمت فأكلمت[1]، وخاطبت فأتعبت، وملكت فهتكت، وأملكت فأهلكت، وأتهمت[2] ففرحت، وأنجدت فأترحت، ونوهت فولهت، وزينت فافتنت، وألهت فتيهت، وفوهت فتوهت، وغلطت فنشطت، وعززت فعجزت، وأسلبت فأغفلت، وأمسكت فنسكت، ووسعت فجمعت، وضيقت ففرقت، وأحرمت فأحللت، وأحللت فحرمت، وهذا كله سهل إذا ما أنت أقبلت، فياليتني لم أخلق، وإذا خلقت لم أتحقق، وإذا تحققت لم أعشق، وإذا عشقت لم أهجر، وإذا هجرت لم أقبر، وإذا قبرت لم أنشر، وإذا نشرت لم أحشر، وإذا حشرت لم أعتب، وإذا عوتبت لم أزجر، وإذا زجرت لم أطرد، وإذا طردت لم تسعر بي النار التي فيها علي الحجب أن أنظر.

فلما سمع ندائي، وتقلبي في أنواع بلائي، بادر الحُجّاب، إلى رفع الحجاب، وتجلى المراد، فنعمت العين والفؤاد.

جعلنا الله وإياكم ممن عشق فلحق، وصبر فظفر.

---

(١) من الكلم وهو الجرح.

(٢) نزلت وقربت.

ثم رددت وجهي إلى المقاتل، المشغوف بالمقابل، فقلت: ياصاحب الغين والرين، إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون؟ فقال: إلى مائتي ألف حقيقة واثنتين وستين ألف حقيقة وثمانمائة، ثم نزلت إلى المشتري، فسألته عن كمية حقائقه، التي أودعها الله في تدبير خلائقه، فقال: مائة ألف حقيقة وخمسة آلاف ومائة وعشرين، ثم نزلت إلى المريخ، فرأيت له ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين رقيقة، ثم نزلت إلى الشمس، فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وستاً وستين رقيقة، ثم نزلت إلى الزهرة، فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وخمساً وستين رقيقة، وكذلك عطارد مثل الزهرة، ونزلت إلى القمر، فرأيت له ستمائة واثنتين وسبعين رقيقة، ثم نزلت عليّ بعض الرقائق الشمسية في الصور الدحية، إلى أن استويت على الأرض المدحية، وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك، ووقفت على مراتب الأملاك، وتحققت ما في القوى الروحانيات، من الانفعالات الكونيات، فسرحت في ميدان معارف النسب، وفزت بمدارك وضعية السبب، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب، وحصره في تحليل وتركيب، وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد، وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد.

أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أولياءه وأحباءه.

تمثل الجنة والنار للشيخ في عالم المثال في العروج الثاني:

هذا ما قيل لي في حضرة التمثيل (وهو تمثل الجنة والنار في صورة دائرة) وقد تمثل لي في وقت آخر في صورة أخرى، كما قد مثلت النار لابن قسي في صورة حية، ومثلت لابن برجان في صورة جاموس، ومثلت لنا في صورة دار لها طبقات علواً وسفلاً، فلنقل في بيان ما مثّل في هذه الدائرة:

إن الدائرة العليا صورة الكثيب الذي يجتمع الناس فيه على أربع مراتب. ربع منه ينصب لهم فيه منابر، وهي للرسل والورثة من الأئمة المهديين، وهم فيها بين كامل وهو جامع المقامات والصفات، وأهل جلال، وأهل جمال، وما ثم طبقة رابعة في كل مرتبة، وفي مقابلتهم في النار في منزل الحجاب منها خاصة، وهو منزل فيها يقابل الكثيب من الجنة،

وهو للأئمة المضلين، الذين شرعوا ما لم يأذن به الله، وقالوا لأتباعهم: هذا من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

والمرتبة الثانية: ينصب لهم أسرة، هي للأنبياء الذين هم على شرع من ربهم في أنفسهم ما أرسلوا، ومن جرى مجراهم ممن له إخبار إلهي من نبي، ما هو على شرع خاص، وحالهم كحال الرسل، أعني ثلاثة أحوال: كامل، وذو جلال، وذو جمال، وفي مقابلته في النار، الدجاجلة وأصحاب الخيالات الفاسدة، الذين ضلوا في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والمرتبة الثالثة: أصحاب الكراسي، وهي للأولياء والصالحين الذين تولاهم الله، فالله وليهم وهم أولياؤه، وهم فيها على ثلاثة أحوال: كامل، وذو جلال، وذو جمال، ويقابلهم في النار أهل الكراسي، وهم أولياء الشيطان ووليهم الطاغوت.

والمرتبة الرابعة: أهل المراتب، وهم المؤمنون بالله وما جاء من عند الله، وهم أيضاً على ثلاثة أحوال: كامل وذو جلال وذو جمال، ويقابلهم في النار، أهل مراتب، وهم المؤمنون بالباطل قال الله تعالى ﴿والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله﴾.

وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا، وهو المتولي تعذيبهم، فيودون أنهم لم يروه لما يصيبهم منه.

وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية، ولها فروع لأهل النار مسفلة، هي التي تسمى في الشجرة عروقاً وأصولاً، ففروعها العالية لأهل الجنة تسمى سدرة، وعروقها في أصل النار تسمى شجرة الزقوم، فيها من المرارة في الطعم، على قدر ما في ثمرتها من الحلاوة في الطعم لأهل السعادة.

ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم، وهو الكامل من هؤلاء ومن هؤلاء، فيخطب بهم ويذكرهم بما تذكره في الخطب، بعد هذا يقام خطيب في السعداء وخطيب في الأشقياء، ويجتمعون حوله، فإذا فرغ الخطيب السعيد من خطبته، شكرهم وشكروه، ودعى لهم ودعوا له، فإذا فرغ خطيب الأشقياء من خطبته، لعنهم ولعنوه، ودعى عليهم ودعوا عليه، فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار وما لهم من

ناصرين، وذلك في الوقت الذي يكون السعداء فيه في الجنة بهذه الحالة، يكون الأشقياء في جهنم بهذه الحالة، ومنزلهم جهنم خاصة، فإن غاية القرب الكثيب، وغاية البعد جهنم.

واعلم أن للسعداء في كل مرتبة درجات، وللأشقياء دركات، فلأهل المنابر ثلاثة آلاف ومائتان واحدى وعشرون، ولأهل الأسرة ثلاثة آلاف وتسعة وتسعون، ولأهل الكراسي ألفان وسبعمائة وثمانية، ولأهل المراتب أربعة آلاف ومائة وسبعة وأربعون.

واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة دار الثواب والنعمة، وفريق في السعير دار العذاب والنقمة، أذن الرحمن لأئمة السعداء أن يقوموا خطباء في أتباعهم، وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أشياعهم.

أهل المنابر:

خطيب السعداء:

صعد الخليفة الناطق منبره، وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة، وقال: الحمد لله من غير تقييد بنعت، كما قيده سادات أهل الوقت، المقدس الحميد، ذي العرش المجيد، الذي تردى برداء الكبرياء والعز، وأودع معرفته في القصور والعجز، جاعلِ الملائكة رسلاً، ومعرف العقول إليه سبلاً، نصب المنابر وأقعد عليها أرساله، وأشهدهم جماله وجلاله، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أو قاله، تعالى في ذاته عن إدراك المدركين، وتسامى في قدسه أن تحيط به غايات السالكين، حارت الأسرار في مشاهدة عظمته، وعبدت الظلم أنوار كلمته، واحتجب بسبحات عزة وحدانيته في أزليته وأبديته، نزل في علوه، وعلا في نزوله[1]، وفَصَّل في إجماله، وأجمل في تفصيله، اصطفاكم أيها الحاضرون بالنعمة والرؤية، وأوصلكم إلى منازل القربة والبغية، وأحَلَّكم الجوار الأحمى، وحمى سلطانه بغير المغمى[2]، فانعموا بالمعارف الصمدية، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية، وامتطوا متون العتاق الدرية، وانفسحوا في فسحات التوحيد، وترأسوا بخصائص المشاهدة على كل موجود،

---

(١) يشير هنا إلى نزول الحق في وصف نفسه بما وصف به خلقه، من جوع وعطش ومرض وضحك وتبشبش.

(٢) ألا إن حمى الله محارمه، فالمغمى هنا يريد به الحدود والحرام، وهو واضح جلي.

فطوبى لكم وحسن مآب، وهنيئاً لكم بما طعمتموه من لباب معارف الألباب، غضضتم الأبصار للموافقة والمساعدة، فقرت أعينكم بالمعاينة في المشاهدة، لم أزل في دنياكم أرغبكم في هذه المشاهدة المقدسة، وأشوقكم إلى هذه المناصب المؤسسة، وأحرضكم على تحصيل المقام المحمدي، والتجلي الأحدي.

فيقولون صدقت، جزاك الله عنا خير ما جازى به مرشد حق، وأقعدك عنده مقعد صدق.

خطيب الأشقياء:

صعد الخليفة الناطق منكوس الرأس، وقام خدماؤه بين يديه أهل الريب واللبس، وقال: الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف، ولا أقيده بنعت، فإني في موطن وقف، احتجَبَ عن أبصار المعطلين، وأهل الإصرار والذين أشركوا من الآدميين، والذين تملكوا فسألهم في ذلك الرسول الأخفى، فقالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فأهلكتهم عاداتهم، ولم تنفعهم عباداتهم، ولم تغن عنهم من الله شيئاً آلهتهم، وتبرأ منهم عند اضطرارهم أئمتهم، فلم تنفع البراءة أولئك الأئمة، وضوعف لهم العذاب خلف حجاب الظلمة، فكانوا هم وأتباعهم عن سعادتهم بمعزل، وأنزلوا من هذه الدار التي أنتم فيها ماكثون بشر منزل، أيها الحاضرون، والجماعة السوء الخاسرون، هذا مقام الأسف الذي لا ينجي حين لم يساعد الجد، وهذا موطن الاعتراف الذي لا يرد حين لا ينفع الجحد، أنا شر متبوع وأنتم شر أتباع، وأنا أخسر متشيع فيه وأنتم أخسر أشياع، أوردتكم المهالك، وأحللتكم ساحة مالك، أخذت بنواصيكم إلى معاصيكم، وأنزلتكم إلى الشِرْك من معاقل فِطَركم وصياصيكم، زوّرت لكم الأقاويل المزخرفة، وأوضحت لكم المناهج المهلكة المتلفة، ونصبت لصيد عقولكم حبائل الجهالة والخداع، فوقعتم فيها شر وقوع لا يرام منه انفكاك ولا يستطاع، وقلت لكم: لو كان ثَمّ إله لحمى سبله، وعصم من أيدي أعدائه رسله، وجعلت عندكم فيمن تخلص منهم إنما تخلص بفراره، وعدم قراره، وأتباعه الأراذل، وأشياعه الأسافل، وألحقتُ المعجزات بالسحر والخيالات، وقلت: إنما جعلها كما فعلت أنا لصيد العقول القاصرة حبالات، فركبْت بكم جادة الكفر والضلالات، وخضت

بكم لجج الغمرات، وأنزلتكم منازل الحسرات، ونصصت لكم أن في الأخذ بيا دللتكم عليه سبيل نجاحكم، وتحصيل درجاتكم، وارتقاء عقولكم عن حضيض حيسها، ومعراج أرواحكم عن خسائس نفسها، وعطفت على بعضكم بأنه ما ثَمَّ إلا هذا الدولاب الدائر، وهذه التكوينات عن هذه العناصر، ولا يزال هذا الدولاب راجعاً وسائراً، وأنه المعبر عنه بالإله، وما شاهدناه فعلاً فيا يثبته سواه، وأن التناسخ صحيح، والقائل بغير هذا يخبط في مهامه الجهالة قبيح، وكذبت بيوم الدين، فحرمت شفاعة الشافعين، وقلت باستحالة حشر الأجساد، لكون الآخرة ليست بدار كون ولا فساد، وأن النبوة سياسة حكمية، ليس لها أصول أصلية، وأن الميزان عبارة عن إقامة العدل في ذاتكم، وأن الصراط عبارة عن أخذكم في تطهير خُلُقكم وصفاتكم، وأن الحوض في الحكم، عبارة عن العلم، وكون آنيته عدد النجوم، إشارة إلى فنون العلوم، جعلتها عندكم رموزاً فلسفية، وإشارات تمويهية، وليس وراءها غير ما ذكرناه، ولا يوجد فيها سوى ما قررناه، وسخرت بالشريعة، وتابعت سلطان الطبيعة، وكذبت الرسل، وأعميت السبل، فياسوء مذهبي، ويا شؤم من اغترّ بي، ويا شر منقلبي.

فيقولون: لعنك الله من مضل، كذلك فعلت، جازاك الله عنا شر ما جازى به ملحداً، وجعل لك في أسوأ المنازل مقعداً، فيلعن بعضهم بعضاً، ومأواهم النار وما لهم من ناصرين.

أهل الأسرة:

خطيب السعداء:

استوى الخطيب الناطق على سريره باسميه، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه، وقال: الحمد لله الذي استوى على العرش اسمه الرحمن، عند استواء الألوهية على عرش الإنسان، فقال: ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني القلب الموصوف بالإيمان؛ فأقام علم البيان، مقام العيان، حتى عجزت عن درك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان، أفاض على الأكوان عامة أنوار رحمانيته، وحكم فيها أسماء ربانيته، ونظم اثني عشر نقيباً في سلكه، وأقامهم سائسين في ملكه، وجعل لكل نقيب أمداً ينتهي إليه

حكمه، وحَدّاً يقف عنده علمه، وجعلهم على أربعة مذاهب، لاتحاد الرسالة والنبوة والولاية والإيمان بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب، فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك الأثير واستقرت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات النارية واستمرت، ومدتهم أربعة وعشرون ألف سنة، ومنهم من وصلت مادته إلى فلك الهواء ولبثت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات الهوائية وثبتت، ومدتهم ثمانية عشر ألف سنة، ومنهم من بلغت مادته إلى فلك الماء وسكنت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات المائية وتمكنت، ومدتهم خمسة عشر ألف سنة، ومنهم من بلغت مادته إلى الأرض فتكون الإنسان والمعادن والنباتات والحيوانات الترابية، ومدتهم إحدى وعشرون ألف سنة، وقال تعالى يخاطب هؤلاء النقباء، والسادات النجباء، الذين اختصهم بالاستواء المعبود، والظل الممدود ﴿إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ فأقاموا صَلاتهم، فضاعف صِلاتهم، وأدوا زكاتهم، فقدس ذواتهم، وآمنوا بالرسل، فأوضح لهم السبل، وعزروهم، فعززوا، وأقرضوا الله قرضاً حسناً، فوقاهم سراً وعلناً، من كونه محسناً، فلما استوى على سرير ملكه فأثّر، وكان الإمام المُكَبَّر، نظرت العقول في آياته، وما أودع الرحمن من التكوينات في حركاته، وأنتم أيها الحاضرون المصطفون الأخيار، والمقربون المجتبون الأبرار، أتذكرون إذ أبنت لكم في الدار الدنيا عن استواء الرحمن، أنه ليس كاستواء الأكوان، وأنه لو جلس عليه جلوساً كما يدعيه المشبهة لحَدَّه المقدار، وقام به الافتقار إلى مخصص مختار، لا تحيط به الجهات والأقطار، والافتقار على الله محال. فالاستقرار بمعنى الجلوس عليه محال، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال، وما بقي لكم فيه سوى أمرين، مربوطين بحقيقتين: الأمر الواحد أن نصرف لفظ هذا الاستواء إلى الاستيلاء، والأمر الآخر أن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف، ونصرف العلم بها إليه، فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه، ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله «والله أعلم»، لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته، ولكن صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم، وعرفتكم أن أسماء الله لها حقائق ورقائق، وأن بامتداد تلك الرقائق المعنوية المنزهة الأقدسية، يظهر فيكم سلطانها، ويضلكم ويهديكم إغماضها وتبيانها، وقلت لكم: تحفظوا من مكر الله في التأويل

واستدراجه، واسألوه الثبات والاستقامة على منهاجه، وطهروا قلوبكم بماء التقديس والتنزيه، من التجسيم والتشبيه، فإنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ويستوي ويجيء وينزل، وهو في السماء وفي الأرض كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، من غير تشبيه ولا تكييف، وهو العليم القدير، على هذا دللتكم، وإليه دعوتكم، فأوصلكم استعمالكم ذلك إلى ما أنتم فيه الآن، من النعيم المقيم في دار القرار، واختصكم بلذة الجوار، فانعموا بخير جار، في خير دار.

فيقولون: صدقت، الحمد لله الذي صدقنا وعده، ورضي الله عنك رضاءً لا سخط بعده، وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحاً، وجعلك لكل باب مقفل من التجليات الإلهية فاتحاً.

خطيب الأشقياء:

استوى الخطيب الناطق على سريره ذليل النفس، وقام وزراؤه بين يديه في أضيق حبس، وقال: الحمد لله المنزه في علوه، المقدس في سموه، الذي لا يحده مكان، ولا يحويه زمان، ولا يقيده آن، ولا تختلف عليه الحالات، ولا يتعذر عليه حل الأمور المشكلات، تنزه عن الحد والمقدار، واتصف بالإرادة والاختيار، وتقدس عن الحركة والانتقال، وتعالى عن الأشكال والأمثال، ليس كمثله شيء في ذاته، ولا يشبهه مخلوق في صفاته، أيها الحاضرون الخاسرون سمعاً، أنتم الذين ضل سعيكم في الحياة الدنيا وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعاً، أنا الذي سلكت بكم مسالك الغي والضلال، وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال، وزينت لكم سوء أعمالكم، وأعميت عليكم ضرر أحوالكم، فبئس المعلم كنت فيكم، وبئس ما قبلتموه، فبئس المورود الذي قد أوردتموه، شبهتم معبودكم سبحانه وتعالى بذواتكم، وجعلتم كلامه ككلامكم، في حروفكم وتقطيع أصواتكم، تكتبون المصحف بآلات موضوعة، وأدوات مصنوعة، تلك الحروف صنعتموها بالقلم، ثم تصفونها بالقِدَم، وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأمم، وأنكم قد فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأمم، ثم عمدتم إلى خالقكم وعلاّمكم، فجعلتم له جسماً كأجسامكم، وجوارح كجوارحكم، وصورة كصورتكم، وتبشيشاً كتبشيشكم، وقدَماً كقدمكم، وفرحاً

كفرحكم، واستواء كاستوائكم، وضحكاً كضحككم، وأصل ضلالكم في هذا كله من إضلالي، ومن زور قولي لكم ومحالي، فلعنكم الله من أتباع.

فيقولون: لعنك الله من متبوع غوي، أورثنا اتباعه عذاباً لا يستطاع.

أهل الكراسي:

خطيب السعداء:

قعد الخطيب الناطق على كرسيه الأسنى، وقام وزراؤه بين يديه على قاب قوسين أو أدنى، وقال: الحمد لله الذي وسع كرسيه السموات والأرض، ووضع فيه ميزان الرفع والخفض، ودلى إليه قدمي النهي والأمر، وصيره طريق روحانيات التدبير في السر والجهر، رتب لهم فيهما المنازل، ليحل فيها النازل، فأما الروحانية الآدمية فتنزل منزلاً كل ليلة، وتشهد في كل منزل من ربها كرامته ونيله، فإنها سريعة الحركة، كثيرة البركة، وأما أخواتها وإن اجتمعوا معها في سرعة السير، فإنه يبطىء بهم عنها حكم الدور، فإن عتاق أفلاكهم، تسري بهم وبحقائق أملاكهم، أيها الحاضرون السعداء، هل تسمعون؟ أتذكرون حين أريتكم نزول الحق في الليل إلى السماء الدنيا من أجل الخلق، وينصب له في كل سماء كرسي يقعد عليه، والملائكة بين يديه؟ فنفيت التشبيه، وقلت: إن صح هذا الخبر، فقد عُرِفَ المراد، والباري على وصفه من التنزيه، فإن النبي عليه الصلاة والسلام قال: كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان، فنزهه عن المكان، بوجود الأكوان، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أُمِرَ أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويبين لهم على قدر طاقة تحصيلهم، وقد قبل إيمان السوداء، في إشارتها إلى السماء، مع علمنا أن الله تبارك وتعالى في عماء، تعالى عن إدراك العلماء، ثم أثبت لكم أن الرب هو النازل، ومعلوم أنه الثابت غير الزائل، فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم، فقضى الحاجات، وقبل السمايات، وتاب على التائبين، وغفر للمستغفرين، وأعطى السائلين، وأجاب الداعين، وشملت رحمته المتهجدين والنائمين، فأنزل من كرسيه كلمتيه، وأرسلهما على قبضتيه، فتميزت بالأخذ والترك، وانفصلت بالتوحيد والشرك، فانقلب أهل الشرك والترك إلى دركاتهم، وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم، وهم أنتم، طاب مسكنكم ونعمتم،

فأعطى الكرسي بالقوة حقيقته، وأبرم في العالم رقيقته، ياأيها الحاضرون، ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ؟

فيقولون: صدقت، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ورضي الله عنك فلقد كنت نِعْمَ الواعظ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى به داعياً، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس نادياً.

خطيب الأشقياء:

قعد الخطيب الناطق على كرسيه في النار، وقام بين يديه وزراؤه الفجار، وقال: الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم، وكتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة مما علم، وجعل الكرسي موضع قدم القِدَم، المنزه وجوده أن يكون مسبوقاً بعدم، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران، وعلى أهل الروح والريحان، إذ جعلنا كرسيه علمه لا غير، وكذبنا نبيه فناط بنا الضير، وأحرمنا الخير، دللتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون على ما فيه شقاؤكم، وحرضتكم على ما يُسلَّط به عليكم بلاؤكم، وخاطبت كل طائفة منكم على قدر نقصان عقلها، وقهرها تحت سلطان وهمها، فمن غلبت منكم روحانيته على خسة جسمانيته، جعلت له هذه العبارات الحسية، إشارات إلى أمور معنوية، وكل من ألحقها بالمحسوس، فنظره معكوس، وحشره منكوس، وقلت في قوله تعالى، ﴿ياجبال أوبي معه والطير﴾ إنه أراد الرجال، وقلت في ذلك: إنه محال، وإعطائه لسليمان تسخير الرياح، إنما أراد به الأرواح، وكون مريم حين تمثل الروح بشراً إليها، أن خيالها حكم عليها، وكذبتُ بالملك والشيطان والمس، وقلت: إنَّ هذا كله من المخاطبات التمويهية لإيقاع اللبس، وأن ذلك عبارة عن أخلاط فاسدة تجسدت من أغذية ردية، وأن الملائكة عبارة عن قوى في النفس روحانية وخواطر نفسانية، وأنه ما في الأفلاك سوى نجومها، وأن الملائكة عبارة عن قوى سلطان علومها، وأمثال هذا الهذيان، الذي لا يقوم عليه برهان، وأما من غلبت منكم جسمانيته على روحانيته، فخاطبته على ما علمت من قصور فهمه، وعدم علمه، وقلت له: إذا لم يكن كلام ربك بحروف وصوت، فماذا تسمع؟ وأنزلت له الصفات المقدسة المعنوية على مثال ما يصححه أول عقله، فقَبِلَ ولم يدفع، فلحق بأهل التشبيه والتجسيم، ووصف

القديم بصفات الحدوث فأُلحِقَ بالجحيم، فلعنكم الله من أتباع لقصور أفهامكم وعقولكم، وعدم نظركم في معاني منقولكم.

فيقولون: صدقت لعنك الله من مفسد مضل، وألبسك ثياب الهون والذل.

أهل المراتب:

خطيب السعداء

ظهر الخطيب الناطق في مرتبته، وقام وزراؤه بين يديه قائلين بحرمته، وقال: الحمد لله رب العالمين، ونعمت العاقبة للمتقين، هذا الحمد هو آخر دعواكم معاشر السعداء، ويرجع الأمر على الابتداء، وهكذا تكون الدرجات في الجنان، والأحوال على ترتيب ما كان عليه الإنسان، فالحمد لله تملأ الميزان، وهي آخر موضوع، ولا إله إلا الله تثبت الإيمان، وهي أول مسموع، فتنعموا رحمكم الله بين طرفين شريفين، وحقيقتين عظيمتين: توحيد وثناء، وسناً وسناء، فالتوحيد للسنا والسناء للثناء، فقد جمع لكم بين الرفعة والضياء، فالحمد لله الذي أعلمتكم بهذه الأمور، ونهجت بكم مناهج النور.

فيقولون: صدقت، الحمد لله رب العالمين، رضي الله عنك، جازاك الله عنا أحسن ما جازى به داع، ومنحك لذة الاستماع في السماع عند الإيقاع.

خطيب الأشقياء:

قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الفضا، وقام وزراؤه بين يديه في لظى، وقال: الحمد لله ولا أدري كيف، لأني في موضع العطب والخوف، لم أزل في رتبة التقليد مغلولاً، وبقيد الشرك مقيداً مكبولاً، لا أدري ما المعبود، فيكون مني الإقرار أو الجحود، فلما قبّلتم يدي لعنكم الله وعظمتموني، وجعلتموني إماماً وقدمتموني، فرحت نفسي الخسيسة، بتلك الرياسة المحسوسة، ولم تأخذوا في تعظيم حالي، إلا رغبة في جاهي وطمعاً في مالي، ولم يكن عندي علم ألقيه إليكم، ولا معرفة أسردها عليكم، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال، ورأيت العلماء السوء منكم يخدمون بابي، ويلازمون ركابي، رغبة فيما عندي من الأموال، فإن قلت قولاً باطلاً صححوه، وإن زورت كذباً حققوه وشرحوه، وقالوا: هذا هو الحق الذي لا يُرَدّ، والعلم الأقدس الذي لا يُجَدّ، لقد أُعطِيتَ أيها السيد من الذكاء والفطنة

وجودة القريحة ما لم يعطه أحد، واغتر الجاهلون بهم في ذلك، فجروا على مذهبهم فأوردهم المهالك، فغالطتني نفسي، واحتجبت عن تصريف عقلي برئاسة حسي، فصرت أخترع الأكاذب، وأشرّع المذاهب، وفتحت بيوت الأموال، وتملكت بها العلماء السفال، واتبعتموني على كل باطل فكنتم قوماً بوراً، فلا تدعو اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً، تخيلتم أن ربوبيتي دائمة، وأن مملكتي لا تزال قائمة، واغتررتم بوعدي، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي، فاليوم أقول لكم ما قاله الشيطان الرجيم، حين قُضِي الأمر في سواء الجحيم ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، ما أنا بمصرخكم ولا أنتم بمصرخي، إني كفرت بما أشركتموني من قبل، إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ زادكم الله إلى عذابكم عذاباً، وفتح لكم إلى كل شر باباً.

فيقولون: صدقت وأنت الكذوب، لعنك الله وأخزاك، وأهانك وأرداك، جازاك الله عنا أسوأ ما جازى به مفسداً ملحداً، وجعل لك في كل منهل من الثبور مورداً.

(كتاب التنزلات الموصلية/ الباب السادس)

معراج ثالث:

اعلم أنه لما وصلت إلى منزل القواصم في وقت معراجي، الذي عرج بي ليريني من آياته سبحانه ما شاء، ومعي الملك، قرعت بابه، فسمعت من خلف الباب قائلاً: من الذي يقرع باب هذا المنزل المجهول، الذي لا يعرف إلا بتعريف الله؟ فقال الملك: عبد الحضرة، عبدك محمد بن نور، ففتح، فدخلت فيه، فعرفني الحق جميع ما فيه، ولكن بعد سنين من شهودي إياه، فكان ذلك شهوداً صورياً من غير تعريف، ثم بعد ذلك وقع التعريف به، ولما عرفني بأنه منزل مجهول قصم ظهري، ولما وقع التعريف به رأيته كله قواصم، إلا أن يعصم الله مما رأيت، فخفت، فسكن الله روعي بما جَلّى لي، فرأيت في هذا المنزل تحول الصور الحسية في الصور الجسمية، كما يتشكل الروحانيون في الصور، فتخيلت أن تلك الصور الأول ذهبت، فحققت النظر فيها، فلم أدركها حتى أعطيت القوة، عليها، فتحولت فأدركت المطلوب، فإذا هو على نوعين في التحول: النوع الواحد، أن تعطى قوة

تؤثر بها في عين الرائي ما شئته من الصور، التي تحب أن تظهر له فيها، فلا يراك إلا عليها، وأنت في نفسك على صورتك ما تغيرت، لا في جوهرك ولا في صورتك، إلا أنه لابد أن تحضر تلك الصورة - التي تريد أن تظهر للرائي فيها - في خيالك فيدركها بصر الرائي في خيالك كما تخيلتها، ويحجبه ذلك النظر في الوقت عن إدراك صورتك المعهودة، هذا طريق، وطريقة أخرى يتضمنها هذا المنزل، وذلك أن الصورة التي أنت عليها عَرَضٌ في جوهرك، فيزيل الله ذلك العرض، ويلبسك ما أردت أن تظهر به من صور الأعراض، من حية أو أسد أو شخص آخر إنساني، وجوهرك باق، وروحك المدبر جوهرك على ما هو عليه من العقل وجميع القوى، فالصورة صورة حيوان أو نبات أو جماد، والعقل عقل إنسان، وهو متمكن من النطق والكلام، فإن شاء تكلم، وإن شاء لم يتكلم، بأيّ لسان شاء الحق أن ينطقه به، فحكمه حكم عين الصورة في المعهود.

ومن هذا الباب يعرف نطق الجمادات والنبات والحيوان، وهي على صورها، وتسمعها كنطق الإنسان، كما أن الروح إذا تجسد في صورة البشر، تكلم بكلام البشر لحكم الصورة عليه، وليس في قوة الروحاني أن يتكلم بكلام غير الصورة التي يظهر فيها، بخلاف الإنسان وهو في غير صورة الإنسان.

وطريقة أخرى، وهي أن يشكل الهواء الحاف به على أي صورة شاء، ويكون الشخص باطن تلك الصورة، فيقع الإدراك على تلك الصورة الهوائية، المشكلة في الصورة التي أراد أن يظهر فيها، ولكن إن وقع من تلك الصورة نطق، فلا يقع إلا بلسانه المعروف عند الرائي، فيسمع النغمة فيعرفها، ويرى الصورة فينكرها، لا يتمكن لمن هذه حالته أن يزول عن نغمته، وهذه قوة الجن لمن يعرفهم، فإنهم يظهرون فيما شاؤوه من الصور، والنغمة منهم نغمة جن، لا يقدرون على أكثر من ذلك، فمن عرف النغمات، لم تلبس عليه صورة أصلاً، وقليل من يعرف ذلك، وطريقة أخرى في التحول في الصورة، وهي أن تبقى صورة هذا الشخص على ما كانت عليه، ويلبس نفسه صورة روحاني تجسد ذلك الروحاني، في أي صورة شاء هذا الشخص أن يظهر للرائي فيها، ويغيب هذا الشخص في تلك الصورة، وهي عليه كالهواء الحاف به، فتقع في عين الرائي على تلك الصورة، كل ذلك بتقدير العزيز العليم. (ف ح٢/ ٦٢٠)

عروج رابع :

ذكر الشيخ ما حصله من علوم في هذا العروج فليراجع ـ حضرة الجمع ـ في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٠٧، طبعة أولى ـ ١٠٦ طبعة ثانية (ف ح ٢/ ٥٨٣)

عروج خامس :

ذكر الشيخ رضي الله تعالى عنه عروجاً خامساً، هو كتاب الإسراء إلى مقام الأسرى[1]، وكله من باب الإشارة والرمز واللغز[2]، مما دعا تلميذه إسماعيل بن سودكين رضي الله عنه، أن يطلب من الشيخ قدس الله سره العزيز شرح مشكله، فأملاه عليه في كتاب سماه إسماعيل «النجاة عن حجب الاشتباه» وفي نهاية شرحه يقول ما نصه «وقد انتهى الأصل بكماله وشرح مشكله، إلا قليلاً منه في مناجاة أسرار مبادي السور إلى مناجاة السمسمة» ولذلك أشار في هذه المناجاة فقال «وقد أشرت لك إلى معانيه، وما يعقلها إلا العالمون» ثم نبه على حكم هذه الحضرة فقال «عبدي هذا باب يدق وصفه ويمنع كشفه، الأعداد حجب على عينك أيها الإنسان، وإنما هي أسطار نور خضر خلف حجاب الرحمن، تلوح لمن سبقت له المشيئة بوقوفه عليها، حتى تودعه ما لديها، فاستعمل المجاهدة وتحل بالموافقة والمساعدة، عساك تلتذ بهذه المشاهدة».

لذلك قد يجد القارىء غموضاً في العروج الثاني، وهو من باب الاعتبار والرمز واللغز لأهله، ولكن جُلّ ما في العروج من علوم وتوحيد وعقائد ومعاني واضحات، يستفيد منها القارىء العادي، ليميز بين الحق والباطل.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(١) مطبوع ضمن رسائل ابن عربي.

(٢) راجع الإشارة والرمز واللغز في كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٩٠ طبعة أولى ١٨٧ طبعة ثانية.

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

اشرف على التصحيح والتدقيق كل من السادة:

محمد ماجد الحناوي - سعيد الناشي - أحمد العاقل

الرؤيا والمبشرات

من كلام الشيخ الأكبر

محي الدين ابن العربي

جمع وتأليف

محمود محمود الغراب

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م

مطبعة نضر

١٠٠٠ (ن)

الرؤيـــا

الواقعــة[1]:

الواقعة هي ما يرد على القلب من العالم العلوي بأي طريق كان، من خطاب أو مثال أو غير ذلك، على يد الغوث، فهي المبشرات التي أبقى الله لنا من آثار النبوة، التي سد بابها وقطع أسبابها، فالوقائع للأولياء، والوحي للأنبياء، وهي الرؤيا الصادقة، ما هي بأضغاث أحلام، وهي جزء من أجزاء النبوة. (ف ح٢/ ١٣٠، ٣٢ - ح٤/ ٣٩٥ - ح٣/ ١٠٣)

وقد يكون التنبيه الإلهي من واقعة، وهو أتم العلل، لأن الوقائع هي المبشرات، وهي أوائل الوحي الإلهي من داخل، فإنها من ذات الإنسان، فمن الناس من يراها في حال النوم، ومنهم من يراها في حال فناء، ومنهم من يراها في حال يقظة، ولا تحجبه عن مدركات حواسه في ذلك الوقت. (ف ح٢/ ٤٩١)

ذكر الرؤيا في القرآن الكريم:

قال تعالى في سورة الأنفال مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ﴿إذ يريكهم الله في منامك قليلاً، ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور﴾.

وقال تعالى في سورة الإسراء ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾.

وقال تعالى في سورة الفتح ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، لتدخلن المسجد

---

(١) لا أعرف ولم أجد أصلاً لهذه التسمية التي هي من اصطلاح القوم، ويغلب على الظن أنها مأخوذة من قوله تعالى ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ فوقوعها أمر محقق، وهكذا كشف الأولياء في النوم أو اليقظة، أو تكون مأخوذة من قوله ﷺ في الرؤيا: إنها معلقة برجل طائر، فإذا أولت وقعت.

الحرام إن شاء الله آمنين، محلقين رؤوسكم ومقصرين. لا تخافون، فعلم ما لم تعلموا، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾.

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه ياأبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر، رأيتهم لي ساجدين، قال يابني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً، إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ثم قال تعالى في تمام القصة ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه، وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً، وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ ففي قصة يوسف عليه السلام مثال على سلطان الخيال، وكونه محل العمل في التلطيف والتكثيف، مَثَّل الحق ليوسف عليه السلام عين إخوته وأبويه، فأنشأ الخيال صورة الإخوة كواكب، وصور الأبوين شمساً وقمراً، وكلهم لحم ودم وعروق وأعصاب، فانظر هذه النقلة من عالم السفل إلى عالم الأفلاك، ومن ظلمة الهيكل إلى نور هذه الكواكب، فقد لطف الكثيف، ثم عمد الخيال إلى مرتبة التقدم وعلو المنزلة والمعاني المجردة، فكساها صور السجود المحسوس، فكثف لطيفها، والرؤيا واحدة، فلولا قوة هذه الحضرة ما جرى ما جرى، ولولا أنها واسطة ما حكمت على الطرفين، فإن الوسط حاكم على الطرفين، لأنه حَدٌّ لهما. (ف ح١/ ٣٩٦ - ح٣/ ٤٥١)

وقال تعالى في نفس قصة يوسف عليه السلام ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ فقال يوسف عليه السلام لهما في تعبير رؤياهما ﴿ياصاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾.

وفي نفس السورة يقص علينا الحق رؤيا عزيز مصر فيقول تعالى ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾ فيؤولها يوسف عليه السلام فيقول ﴿تزرعون سبع سنين دأباً، فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع

شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفي يعصرون﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى، قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، فلما أسلما وتله للجبين، وناديناه أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا، إنا كذلك نجزي المحسنين، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم﴾.

وقال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾. قيل إن هذا الوحي كانت رؤيا رأتها في المنام.

أما عن الحديث الشريف، فقد أخرج أبو داود ومالك، أن الأذان للصلاة كان رؤيا أراها الله تعالى عبد الله بن زيد الأنصاري، فأقرها رسول الله ﷺ، وذكر أبو داود مثله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وقد ورد في الصحاح كثير من المرائي فليراجعها من شاء.

ما ورد عن الرؤيا في الحديث الشريف:

أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتخيل بي، والرؤيا الحسنة من الرجل الصالح - وفي رواية رؤيا المؤمن - جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وما كان من النبوة لا يكذب».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة».

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره وليستعذ بالله منه فلن يضرّه».

أخرج البخاري عن أبي قتادة الأنصاري قال قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره، وإن الشيطان لا يتزايا بي - وفي رواية - وليتحول من شقه الذي كان نائماً حين الرؤيا إلى شقة أخرى، فلو لم يكن للرؤيا أثر فيمن رؤيت له أو رآها لنفسه، ما أثبت الشارع لذلك الخوف مزيلاً، ويتحول صاحب الرؤيا من جنب إلى جنب تتحول الرؤيا بتحوله، ويرمى شرها عمن اتخذه معاذاً. (ف ح٢/ ٣٧٧ - ح٣/ ٣١٣)

وأخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من تحلم بحلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من كذب في رؤياه كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل».

وأخرج البخاري عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تريا».

هذا يدل على عظيم مكانة الرؤيا وعظم حرمتها، لأنها جزء من النبوة ووحي من الله تعالى، فمن كذب فيها فقد كذب على الله تعالى، فيكلفه الله تعالى يوم القيامة ما لا يطاق، فما عذبه الله يوم القيامة إلا بفعله، فإنه جاء في كذبه بتأليف ما لا يصح تأليفه، فلم يأتلف في نفس الأمر، وكذلك لا يقدر أن يعقد تلك الشعيرتين أبداً، ولذلك نسب الحلم إلى الشيطان، ولم تسمى رؤيا، فإن الحلم هو إفساد الصورة، يقال حلم الأديم وحلم اللبن إذا تغيرت صورته، والتغير فساد الصورة الأصلية، ولما كانت الرؤيا في الخيال، ومن حقيقة الخيال إفساد الصور بتغييرها، قال ﷺ: «الحلم من الشيطان»، للمناسبة في المعنى من

الفساد، فإن تغيير الصورة من الشيطان في الخيال، يقصد بها الكذب على الله، وقال رسول الله ﷺ: «الرؤيا من الله» للأدب في اللفظ، لأنها حق من عند حق، مع ما يقع فيها من تغيير الصور.

رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام:

حديث أنس بن مالك وفيه قال قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رآني».

أخرج البخاري عن أبي قتادة قال قال النبي ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق».

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «من رآني فقد رأى الحق، فإن الشيطان لا يتكونني».

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول: من رآني في المنام، فسيراني في اليقظة، ولا يتمثل الشيطان بي».

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: «من أشد أمتي لي حباً، ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

وأخرجه الترمذي عن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «إن أناساً من أمتي يأتون بعدي، يود أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله».

فمن كان من الصالحين، ممن كان له حديث مع النبي ﷺ في كشفه، وصحبه في عالم الكشف والشهود، وأخذ عنه، حشر معه يوم القيامة، وكان من الصحابة الذين صحبوه في أشرف موطن وعلى أسنى حالة، ومن لم يكن له هذا الكشف فليس منهم، ولا يلحق بهذه الدرجة صاحب النوم، ولا يسمى صاحباً ولو رآه في كل منام، حتى يراه وهو مستيقظ كشفاً، يخاطبه ويأخذ عنه، ويصحح له من الأحاديث ما وقع فيه الطعن من جهة طريقها.
(ف ح٣/ ٥٠)

الـــرؤيـــــا:

اعلم أن مبدأ الوحي الرؤيا الصادقة، وما هي بأضغاث أحلام، وهي لا تكون إلا في حال النوم، قالت عائشة في الحديث الصحيح: أول ما بدىء به رسول الله ﷺ من

الوحي الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وسبب ذلك صدقه ﷺ، فإنه ثبت عنه أنه قال: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» فكان لا يحدث أحداً ﷺ بحديث عن تزوير يزوره في نفسه، بل يتحدث بما يدركه بإحدى قواه الحسية أو بكلها، ما كان يحدث بالغرض، ولا يقول ما لم يكن، ولا ينطق في اليقظة عن شيء يصوره في خياله، مما لم يرَ لتلك الصورة بجملتها عيناً في الحس، فهذا صدق رؤياه، وإنما بديء الوحي بالرؤيا دون الحس، لأن المعاني المعقولة أقرب إلى الخيال منها إلى الحس، لأن الحس طرف أدنى، والمعنى طرف أعلى وألطف، والخيال بينهما، والوحي معنى، فكان بدء الوحي إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية، المقيدة في حضرة الخيال، في نوم كان أو يقظة، وهو من مدركات الحس في حضرة المحسوس، فإذا أراد المعنى أن ينزل إلى الحس، فلابد أن يمر على حضرة الخيال قبل وصوله إلى الحس، والخيال من حقيقته أن يصور كل ما حصل عنده في صورة المحسوس، لابد من ذلك، فإن كان ورود ذلك الوحي الإلهي في حال النوم سمي رؤيا، وإن كان في حال اليقظة سمي تخيلاً أي خيل إليه، فلهذا بديء الوحي بالخيال، ثم بعد ذلك انتقل الخيال إلى الملك من خارج، فكان يتمثل له الملك رجلاً، أو شخصاً من الأشخاص المدركة بالحس، فقد ينفرد هذا الشخص المراد بذلك الوحي بإدراك هذا الملك، وقد يدركه الحاضرون معه، فيلقي على سمعه حديث ربه وهو الوحي، وتارة ينزل على قلبه ﷺ، فتأخذه البرحاء، وهو المعبر عنه بالحال، فإن الطبع لا يناسبه، وانفرد الأنبياء في ذلك بالتشريع، فقد يكون الولي بشيراً ونذيراً، ولكن لا يكون مشرعاً، فإن الرسالة والنبوة بالتشريع قد انقطعت، فلا رسول بعده ولا نبي، أي لا شرع ولا شريعة، ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشق ذلك على الناس، فقال: لكن المبشرات» فقالوا «يارسول الله وما المبشرات؟» فقال: «رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة» هذا حديث حسن صحيح من حديث أنس بن مالك، وعن أبي هريرة وحذيفة وابن عباس وأم كرز، أنه ﷺ أخبر «أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة» فقد بقي للناس من النبوة هذا وغيره، ومع هذا لا يطلق اسم النبوة والنبي إلا على المشرع خاصة، فحجر هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوة،

وما حجر النبوة التي ليس فيها هذا الوصف الخاص، وإن كان حجر هذا الاسم، نتأدب ونقف حيث وقف ﷺ، بعد علمنا بما قال وما أطلق وما حجر، فنكون على بينة من أمرنا.
(ف ح٢/ ٣٧٥ - ح٣/ ١٠٣ - ح٢/ ٣٧٥، ٨٥، ٣٧٥)

وإذا علمت هذا، فلنقل: إن الرؤيا ثلاث، منها بشرى، ورؤيا مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة فيرتقم في خياله، فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك، لأنه تصوره في يقظته فبقي مرتسماً في خياله، فإذا نام وانصرفت الحواس إلى خزانة الخيال، أبصرت ذلك، والرؤيا الثالثة من الشيطان، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً، ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا ثلاث، فالرؤيا الصالحة بشرى من الله تعالى، ورؤيا من تحزين الشيطان، ورؤيا مما يحدث الرجل به نفسه، وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس» - الحديث - وفي حديث أبي قتادة عن رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه، فلينفث عن يساره ثلاث مرات، وليستعذ بالله من شرها فإنها لا تضره» وهو حديث حسن صحيح، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ «إن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت». (ف ح٢/ ٣٧٦).

واعلم أن لله ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح، وهو دون السماء الدنيا، وبيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره، وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكوان، فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة أو فناء، أو قوة إدراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته، عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور، فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته، ما يدركه النائم في نومه، وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها، من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها، الذي محله مقدم الدماغ، فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل - عن الإذن الإلهي - ما يشاء الحق أن يريه هذا النائم أو الغائب أو الفاني أو القوي، من المعاني المتجسدة في الصور التي بيد هذا الملك، فمنها ما يتعلق بالله وما يوصف به من الأسماء، فيدرك الحق في صورة، أو القرآن أو العلم، أو الرسول الذي هو على شرعه، فهنا يحدث للرائي ثلاث مراتب أو إحداهن، المرتبة الواحدة أن تكون

الصورة المدركة راجعة للمرئي، بالنظر إلى منزلة ما من منازله وصفاته التي ترجع إليه، فتلك رؤيا الأمر على ما هو عليه بما يرجع إليه، والمرتبة الثانية أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى حال الرائي في نفسه، والمرتبة الثالثة أن تكون الصورة المرئية راجعة إلى الحق المشروع والناموس الموضوع، أي ناموس كان، في تلك البقعة التي ترى تلك الصورة فيها، في ولاة أمر ذلك الإقليم القائمين بناموسه، وما ثَمَّ مرتبة رابعة سوى ما ذكرناه، فالأولى وهي رجوع الصورة إلى عين المرئي، فهي حسنة كاملة ولابد لا تتصف بشيء من القبح والنقص، والمرتبتان الباقيتان، قد تظهر الصورة فيهما بحسب الأحوال، من الحسن والقبح والنقص والكمال، فلينظر إن كان من تلك الصورة خطاب، فبحسب ما يكون الخطاب يكون حاله، وبقدر ما يفهم منه في رؤياه، ولا يعول على التعبير في ذلك بعد الرجوع إلى عالم الحس، إلا إن كان عالماً بالتعبير، أو يسأل عالماً بذلك، ولينظر أيضاً حركته - أعني حركة الرائي - مع تلك الصورة من الأدب والاحترام أو غير ذلك، فإن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته لتلك الصورة، فإنها صورة حق بكل وجه، وقد يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة، وقد لا يشاهده، وما عدا هذه الصورة فليست إلا من الشيطان، إن كان فيه تحزين، أو مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته، فلا يعول على ما يرى من ذلك، ومع هذا وكونها لا يعول عليها، إذا عُبِّرت كان لها حكم ولابد، يحدث لها ذلك من قوة التعبير لا من نفسها، وهو أن الذي يُعَبِّرها لا يعبرها حتى يصورها في خياله من المتكلم، فقد انتقلت تلك الصورة من المحل، الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزين شيطان، إلى خيال العابر لها، وما هي له حديث نفس، فيحكم على صورة محققة ارتسمت في ذاته، فيظهر لها حكم أحدثه حصول تلك الصورة في نفس العابر، كما جاء في قصة يوسف مع الرجلين، وكانا قد كذبا فيما صوراه، فكان مما حدثا به أنفسهما، فتخيلاه من غير رؤيا، وهو أبعد في الأمر، إذ لو كان رؤيا لكان أدخل في باب التعبير، فلما قصاه على يوسف، حصل في خيال يوسف عليه السلام صورة من ذلك، لم يكن يوسف حَدَّث بذلك نفسه، فصارت حقاً في حق يوسف، وكأنه هو الرائي الذي رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل، وقاما له مقام المَلَك الذي بيده صور الرؤيا، فلما عَبَّر لهما رؤياهما، قالا له: أردنا اختبارك وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: ﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ فخرج الأمر في الحس كما عبر.

ثم إن الله تعالى إذا رأى أحد رؤيا، فإن صاحبها له فيما رآه حظ من الخير والشر، بحسب ما تقتضي رؤياه، أو يكون الحظ في ناموس الوقت في ذلك الموضع، وأما في الصورة المرئية فلا، فيصور الله ذلك الحظ طائراً، وهو مَلَك في صورة طائر، كما يخلق من الأعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية، وإنما جعلها في صورة طائر، لأنه يقال: طار له سهمه بكذا، والطائر الحظُّ، ويجعل الرؤيا معلقة من رجل هذا الطائر وهو عين الطائر، ولما كان الطائر إذا اقتنص شيئاً من الصيد من الأرض إنما يأخذه برجله، لأنه لا يد له، وجناحه لا يتمكن له الأخذ به، فلذلك علق الرؤيا برجله، فهي المعلقة، وهي عين الطائر، فإذا عبرت سقطت لما قيلت له، وعندما تسقط ينعدم بسقوطها، ويتصور في عالم الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا، فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير، فتلك الحال إما عَرَضٌ أو جوهر أو نسبة من ولاية أو غيرها، هي عين تلك الرؤيا وذلك الطائر، ومنه خلقت هذه الحالة ولابد، سواء كانت جسماً أو عرضاً أو نسبة، أعني تلك الصورة، كما خلق آدم من تراب، ونحن من ماء مهين.

ثم إن تسمية النبي ﷺ للرؤيا بشرى ومبشرة، لتأثيرها في بشرة الإنسان، فإن الصورة البشرية تتغير بما يرد عليها من باطنها، مما تتخيله من صورة تبصرها، أو كلمة تسمعها، إما بحزن أو فرح، فيظهر لذلك أثر في البشرة، لابد من ذلك، فإنه حكم طبيعي أودعه الله في الطبيعة، فلا يكون إلا هكذا. (ف ج٢/ ٣٧٧)

واعلم أن للرؤيا مكاناً ومحلاً وحالاً، فحالها النوم، وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة، الموجبة للراحة لأجل التعب الذي كانت عليه هذه النشأة، في حال اليقظة من الحركة وإن كان في هواها، وأما المحل، فهو هذه النشأة العنصرية، لا يكون للرؤيا محل غيرها، فليس للمَلَك رؤيا، وإنما ذلك للنشأة العنصرية الحيوانية خاصة، وأما المكان، فهو ما تحت مقعر فلك القمر خاصة، وفي الآخرة ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة، وذلك لأن النوم قد يكون في جهنم في أوقات، ولاسيما في المؤمنين من أهل الكبائر، ولهذا لا يبقى عذاب في النار بعد انقضاء مدته، إلا العذاب الممثل المتخيل في حضرة الخيال، لبقاء أحكام

الأسماء، فإنه ليس للاسم إلا ما تطلبه حقيقته من ظهور حكمه، وليس له تعيين حضرة ولا شخص، وما فوق فلك الكواكب فلا نوم، وأعني به النوم الكائن المعروف في العرف.
(ف ح٢/ ٣٧٨ - ح٣/ ١١٩ - ح٢/ ٣٧٨)

واعلم أن الإنسان إذا زهد في غرضه، ورغب عن نفسه وآثر ربه، أقام له الحق عوضاً من صورة نفسه، صورة هداية إلهية، حقاً من عند حق، حتى يرفل في غلائل النور، وهي شريعة نبيه ورسالة رسوله، فيلقى إليه من ربه ما يكون فيه سعادته، فمن الناس من يراها على صورة نبيه، ومنهم من يراها على صورة حاله، فإذا تجلت له في صورة نبيه، فليكن عين فهمه فيما تلقي إليه تلك الصورة لا غير، فإن الشيطان لا يتمثل على صورة نبي أصلاً، فتلك حقيقة ذلك النبي وروحه، أو صورة مَلَك مثله عالم من الله بشريعته، فما قال فهو ذاك، فمن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ، فإن الله لابد أن يخرج إليه رسوله ﷺ في مبشرة يراها أو كشف، بما يكون له عند الله من الخير، وإنما يخرج إليه رسوله ﷺ، لأن رسول الله ﷺ لا يتصور على صورته غيره، فمن رآه رآه لا شك فيه. (ف ح٣/ ٧٠ - ح٤/ ١٨٤)

فالمبشرات جزء من أجزاء النبوة، إما أن تكون من الله إلى العبد، أو من الله على يد بعض عباده إليه، وهي الرؤيا يراها الرجل المسلم أو تُرَى له، فإن جاءته من الله في رؤياه على يد رسوله ﷺ، فإن كان حكماً تعبد نفسه به ولابد، بشرط أن يرى الرسول ﷺ على الصورة الجسدية التي كان عليها في الدنيا، كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنه، حتى إنه إن رأى رسول الله ﷺ يراه مكسور الثنية العليا، فإن لم يره بهذا الأثر فما هو ذاك، وإن تحقق أنه رسول الله ﷺ، ورآه شيخاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا ومات عليها، ورآه في حسن أزيد مما وصف له، ، أو قبح صورة، أو يرى الرائي إساءة أدب في نفسه معه، فذلك كله الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ما هو رسول الله، فيكون ما رآه هذا الرائي عين الشرع، إما في البقعة التي يراه فيها عند ولاة أمور الناس، وإما أن يرجع ما يراه إلى حال الرائي، أو إلى المجموع، غير ذلك فلا يكون، فيكون تغير صورته ﷺ، عين إعلامه وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه، أو حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه فيه، فإن جاءه بحكم في هذه الصورة فلا يأخذ به، إن اقتضى

ذلـك نسـخ حكم ثابت بالخـبر المنقول الصحيح المعمول به، وكل ما أتى به من العلوم والأسرار مما عدا التحليل والتحريم، فلا تحجير عليه فيها يأخذه منها، لا في العقائد ولا في غيرها، وذلك بخلاف حكمه لو رآه ﷺ على صورته، فيلزمه الأخذ به، ولا يلزم غير ذلك، فإن الله يقول ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، هذا هو الفرقان بين الأمرين، فقد يرى رسول الله ﷺ في الرؤيا أو في الكشف، فيصحح من الأخبار ما ضعف بالنقل، وقد ينفي من الأخبار ما ثبت عندنا بالنقل، كما ذكر مسلم في صدر كتابه، عن شخص أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام، فعرض عليه ألف حديث كان في حفظه، فأثبت ﷺ من الألف ستة أحاديث وأنكر ﷺ ما بقي، فمن رآه ﷺ في المنام فقد رآه في اليقظة، ما لم تتغير عليه الصورة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلاً، فهو معصوم الصورة حياً وميتاً، فمن رآه فقد رآه في أي صورة رآه. (ف ح٤/ ٢٧)

فمن اعتبر الرؤيا يرى أمراً هائلاً، وتبين له ما لا يدركه من غير هذا الوجه، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح في أصحابه، سألهم: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ لأنها نبوة، فكان يحب أن يشهدها في أمته، والناس اليوم في غاية الجهل بهذه المرتبة، التي كان رسول الله ﷺ يعتني بها، ويسأل كل يوم عنها، والجهلاء في هذا الزمان، إذا سمعوا بأمر وقع في النوم، لم يرفعوا به رأساً، وقالوا بالمنامات يريد أن يحكم، هذا خيال، وما هي إلا رؤيا؛ فيستهينوا بالرائي إذا اعتمد عليها، وهذا كله لجهل المعترض بمقامها، وجهله بأنه في يقظته وتصرفه في رؤيا، وفي منامه في رؤيا في رؤيا، فهو كمن يرى أنه استيقظ في نومه وهو في منامه، وهو قوله عليه السلام «الناس نيام» (ف ح٢/ ٣٨٠)

تعبير الرؤيا:

اعلم أن كل متلفظ من الناس بحديث، فإنه لا يتلفظ به حتى يخيله في نفسه، ويقيمه صورة يعبر عنها، لابد له من ذلك، ولما كان الخيال لا يراد لنفسه، وإنما يراد لبروزه إلى الوجود الحسي في عينه، أن يظهر حكمه في الحس، فإن المتخيَّل قد يكون مرتبة، وقد يكون ما يقبـل الصورة الوجودية، كمن يتخيل أن يكون له ولد فيولد له ولد، فيظهر في عينه شخصاً قائماً مثله، وقد يتخيل أن يكون مَلِكاً وهي رتبة، فيكون مَلِكاً ولا عين للمملكة في

الوجود، وإنما هي نسبة، والتأويل عبارة عما يؤول إليه الذي حدث عنده في خياله، وما سمي الإخبار عن الأمور عبارة، ولا التعبير في الرؤيا تعبيراً، إلا لكون المخبر يَعْبُر بما يتكلم به - أي يجوز بما تكلم به - من حضرة نفسه إلى نفس السامع، فهو ينقله من خيال إلى خيال، لأن السامع يتخيله على قدر فهمه، فقد يطابق الخيال الخيال، خيال السامع مع خيال المتكلم، وقد لا يطابق، فإذا طابق سمي فهماً عنه، وإن لم يطابق فليس بفهم، ونقصد بهذه الإشارة إلى التنبيه على عظم رتبة الخيال، وأنه الحاكم المطلق في المعلومات، غير أن التعبير عن غير الرؤيا رباعي، والتعبير عن الرؤيا ثلاثي، أي في الرؤيا، وهما من طريق المعنى على السواء، وعين الفعل في الماضي في تعبير الرؤيا مفتوح، وفي المستقبل مضموم ومخفف ﴿إن كنتم للرؤيا تعبُرون﴾ وهو في غير الرؤيا مضاعف في الماضي والمستقبل، مفتوح العين في الماضي، وتكسر في مستقبله، وإنما كان التضعيف في غير الرؤيا للقوة في العبارة، لأنها أضعف في الخيال من الرؤيا، فإن المُعبِّر في غير الرؤيا، يعبر عن أمر متخيل في نفسه، استحضره ابتداءً وجعله كأنه يراه حساً، فضعف عمن يعبر عن الخيال، من غير فكر ولا استحضار كصاحب الرؤيا، فإن الخيال هنالك أظهر له ما فيه، من غير استحضار من الرائي، والمتيقظ ليس كذلك، فهو ضعيف التخيل بسبب حجاب الحس فاحتاج إلى القوة، فضعف التعبير عنه فقيل عبّر فلان عن كذا وكذا بكذا وكذا بتشديد عين الفعل، ألا ترى قولهم في عبور الوادي يقولون: عبرت النهر أعبره من غير تضعيف، لأن النهر هنا غير مستحضر بل هو حاضر في الحس، كما كان ذلك حاضراً في الخيال من غير استحضار، فاستعان بالتضعيف لما في الاستحضار من المشقة، والاستعانة تؤذن بالتضعيف أبداً حيث ظهرت، لأنه لا يطلب العون إلا من ليس في قوته مقاومة ذلك الأمر الذي يطلب العون عليه. (ف ح٣/ ٤٥٣، ٤٥٤)

قال يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام ﴿يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ وقال يوسف عليه السلام لصاحبي السجن بعد تأويل رؤياهما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ وهو عليه السلام يلقي للتابع المحمدي في عروجه الروحاني ونزوله عليه، العلوم المتعلقة بصور التمثل والخيال، وإن كان المحمدي من الأئمة في علم التعبير، أحضر الله

بين يديه الأرض التي خلقها الله من بقية طينة آدم عليه السلام، وأحضر له سوق الجنة، وأحضر له أجساد الأرواح النورية والنارية والمعاني العلوية، وعرفه بموازينها ومقاديرها ونَسَبها ونِسَبها، فأراه السنين في صورة البقر، وأراه خصبها في سِمَنها، وأراه جدبها في عجافها، وأراه العلم في صورة اللبن، وأراه الثبات في الدين في صورة القيد، وما زال يعلمه تجسد المعاني والنِسَب في صور الحس والمحسوس، فإن كل رؤيا صادقة ولا تخطيء، فإذا أخطأت الرؤيا، فالرؤيا ما أخطأت، ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطيء، حيث لم يعرف ما المراد بتلك الصورة، ألا تراه ﷺ ما قال لأبي بكر حين عبر رؤيا الشخص المذكور «أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً» وكذلك قال في الرجل الذي رأى في النوم ضُرِبَت عنقه، فوقع رأسه فجعل الرأس يتدهده وهو يكلمه، فذكر له رسول الله ﷺ أن الشيطان يلعب به، فعلم رسول الله ﷺ صورة ما رآه، وما قال له خيالك فاسد، فإنه رأى حقاً، ولكن أخطأ في التأويل، فأخبره ﷺ بحقيقة ما رآه ذلك النائم، فالعابر للرؤيا هو الذي له جزء من أجزاء النبوة، حيث علم ما أريد بتلك الصورة، فقد يكون الرائي هو الذي يراها لنفسه، وقد يراها له غيره، والعابر هو صاحب علم تعبير الرؤيا. (ف ح٢/ ٢٧٥ ـ ح١/ ٣٠٧، ١٦٥)

فلا يعلم مرتبة عالم الخيال إلا الله، ثم أهله من نبي أو ولي مختص، غير هذين فلا يعرف قدر هذه المرتبة، والعلم بها أول مقامات النبوة، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا أصبح وجلس مجلسه بين أصحابه، يقول لهم «هل فيكم من رأى رؤيا؟» وذلك ليرى ما أحدث الله البارحة في العالم، أو ما يحدثه في المستقبل، وقد أوحى به إلى هذا الرائي في منامه، إما صريح وحي، وإما وحي في صورة يعلمها الرائي، ولا يعلم ما أريد بها، فيعبرها رسول الله ﷺ لما أراد الله بها، فهذا كان من اعتنائه ﷺ بهذه المرتبة المجهولة عند العلماء.

(ف ح٣/ ٥٠٧)

فالتجلي الصوري في حضرة الخيال محتاج إلى علم آخر، يدرك به الرائي ما أراد الله بتلك الصورة، قال إبراهيم عليه السلام لابنه ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ والمنام حضرة الخيال، فلم يعبرها، وكان كبشاً ظهر في صورة ابن إبراهيم عليه السلام في المنام، فصَدَّق إبراهيم الرؤيا، ففداه ربه من إبراهيم عليه السلام بالذِّبح العظيم، الذي هو تعبير

رؤياه عند الله، وهو لا يشعر، ولذلك قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام حين ناداه ﴿أن ياإبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ وما قال له: صَدَقْتَ في الرؤيا أنه ابنك؛ لأنه ما عبرها بل أخذ بظاهر ما رأى، والرؤيا تطلب التعبير، فلو صدّق في الرؤيا لذبح ابنه، وإنما صدّق الرؤيا في أن ذلك عين ولده، وما كان عند الله إلا الذبح العظيم في صورة ولده، ففداه لما وقع في ذهن إبراهيم عليه السلام، ما هو فداء في نفس الأمر عند الله، فصَوَّر الحسُّ الذِبْحَ، وصور الخيال ابن إبراهيم عليه السلام، فلو رأى الكبش في الخيال لعبره بابنه أو بأمر آخر، فموطن الخيال يطلب التعبير، وقد غفل بقي بن مخلد ـ الإمام صاحب المسند ـ عن توفية الموطن حقه، وقد سمع في الخبر الذي ثبت عنده، أنه قال عليه السلام «من رآني في النوم فقد رآني في اليقظة، فإن الشيطان لا يتمثل على صورتي» فرآه بقي بن مخلد، وسقاه النبي ﷺ في هذه الرؤيا لبناً، فصدّق بقي بن مخلد رؤياه، فاستقاء فقاء لبناً، ولو عبر رؤياه لكان ذلك اللبن علماً، فحرمه الله علماً كثيراً على قدر ما استقاء، ألا ترى أن رسول الله ﷺ أتي في المنام بقدح لبن قال «فشربته حتى خرج الري من أظافري، ثم أعطيت فضلي عمر» قيل «ما أولته يارسول الله؟» قال «العلم» وما تركه لبناً على صورة ما رآه، لعلمه بموطن الرؤيا وما يقتضي من التعبير، فمن تجسد له روح النبي ﷺ في المنام، بصورة جسده كما مات عليه، لا يخرم منه شيئاً، فهو محمد ﷺ المرئي من حيث روحه، في صورة جسدية تشبه المدفونة في المدينة، لا يمكن للشيطان أن يتصور بصورة جسده عليه السلام، عصمةً من الله في حق الرائي، ولهذا من رآه بهذه الصورة، يأخذ عنه جميع ما يأمره أو ينهاه عنه أو يخبره، كما كان يأخذ عنه في الحياة الدنيا من الأحكام، على حسب ما يكون منه اللفظ الدال عليه، من نص أو ظاهر أو مجمل أو ما كان، فإن أعطاه شيئاً فإن ذلك الشيء هو الذي يدخله التعبير، فإن خرج في الحس كما كان في الخيال، فتلك الرؤيا لا تعبير لها، وبهذا القدر وعليه اعتمد إبراهيم عليه السلام وبقي بن مخلد، ولما كان للرؤيا هذان الوجهان، وعَلَّمنا الله ـ فيما فعل إبراهيم عليه السلام، وما قال له ـ الأدبَ لما يعطيه مقام النبوة ﴿قد صدّقت الرؤيا﴾ علمنا في رؤيتنا الحق تعالى في صورة يردها الدليل العقلي، أن تعبر تلك الصورة بالحق المشروع، إما في حق الرائي أو المكان الذي رآه فيه، أو هما معاً، فإن لم يردها الدليل العقلي أبقيناها على ما رأيناها، كما يرى الحق في الآخرة سواء. (فصوص الحكم/ فص حكمة إسحاقية)

وكان عندنا شاب صالح، سأل أباه أن يتركه يمشي إلى خدمة أبي مدين ببجاية، ونحن بإشبيلية، فأبى والده، وكان له أخ صغير، فرأى النبي ﷺ وهو يقول لأبيه: دع محمداً يمشي حيث سأل، فإني سأبشره بالساحل، فقص عليه وعلى أبيه، فدعا بولده السائل، وخلاه لوجهه، فأخذ الولد يبكي، فقلت له: ما أبكاك مع هذه البشارة؟ فقال: أخاف من قوله تعالى ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ فقلت: لا جزاك الله عن نفسك خيراً، ولا عن جهلك في تأويلك، هو ما قلت، وسافر عنا، فلحق بأبي مدين، فأكرمه مدة، ثم هجره، وطرده من عنده، فلما كان بعد عشر سنين، اجتمعت به بمنزله بأشبيلية، وقد بدل الله حالة الموافقة منه بالمخالفة، والطاعة بالمعصية، والإيمان بالزندقة، ففارقته، وخرج ما عبر به رؤيا أخيه، فنسأل الله العافية من كلمة تؤدي إلى الهلكة في دين أو دنيا. (مسامرات/ ح٢)

رأى بعض المكاشفين وهو نجم الدين ابن شاي الموصلي، أن معروفاً الكرخي رضي الله عنه في وسط النار قاعد، فهاله ذلك، وما عرف معناه، وما علم أنه يتنعم فيها نعيم الأبرار، وتخيل فيه أنه هالك، مع ما عنده من تعظيمه بين القوم، وتنزيهه عما يستحق من اللوم، فلما ذكره للشيخ الأكبر قدس الله سره، قال له: تلك النار هي الحمى على منزله الذي رأيته فيه قاعداً، فمن أراد أن ينال ذلك المنزل الذي هو فيه، فليقتحم إلى هذه النار والغمرات، فهذه النار هي الشدائد والمجاهدات، فكان معروف عين الجنة، والنار التي رآها المكاشف عليه كالجُنّة، وهي المجاهدات التي كان عليها في حياته.

(ف ح٤/ ٣٨٥ ـ كتاب الأعلاق)

مبشرات رآها الشيخ الأكبر

رضي الله عنه

أخذ أحكام من رسول الله ﷺ في الرؤيا

يقول الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره العزيز عن نفسه.

رفع اليدين في الصلاة:

أما أنا فرأيت رسول الله ﷺ في رؤيا مبشرة، فأمرني أن أرفع يدي في الصلاة عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع وعند الرفع من الركوع، ولا يقول بذلك أهل بلادنا جملة واحدة، وليس عندنا من يفعل ذلك ولا رأيته، فلما عرضت على محمد بن علي بن الحاج ـ وكان من المحدثين ـ روى لي فيه حديثاً صحيحاً عن رسول الله ﷺ ذكره مسلم، ووقفت عليه بعد ذلك في صحيح مسلم لما طالعت الأخبار، ورأيت بعد ذلك أن فيه رواية عن مالك بن أنس رواها ابن وهب، وذكر أبو عيسى الترمذي هذا الحديث وقال: وبه يقول مالك والشافعي. (ف ح١/ ٤٣٧ ـ ح٤/ ٧٠)

الصلاة على الجنازة ـ الأكفان ـ الغسل من الجنابة ـ الجماع:

كنت أقول بالصلاة على الجنائز حيث كانت، في مسجد وغيره، حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وهو ينهى عن دخول الجنائز المسجد وعن الصلاة عليها، فانتهيت، فما صليت بعد ذلك على جنازة في المسجد، فإني رأيت رسول الله ﷺ وهو يكره إدخال الجنازة في المسجد، ويكره أيضاً أن يستر الميت من الذكران، بثوب زائد على كفنه، وأمر أن يسلب عنه ويترك على نعشه في كفنه، وأن لا يستر في تابوت أصلاً، وأمرني إذا كان البرد أن أسخن الماء للغسل من الجنابة ولا أصبح على جنابة، ورأيته يشكر على الجماع، ويستحسن ذلك من فاعله، هذا كله رأيته في هذه الليلة، ورأيت أحمد بن حنبل في هذه الليلة، وذكرت له

أن رسول الله ﷺ أمرني أن أسخن الماء للغسل من الجنابة، فقال لي: هكذا ذكر البخاري أنه رأى النبي ﷺ في النوم فأمره بذلك، ورأى الفربري البخاري في النوم فأمره بذلك، ورآني الفربري في النوم وعلمت أنه رآني في النوم، ورأيته أنا في نومه، فذكر لي أن البخاري ذكر له هذا، فعلمته أنا من قول الفربري وثبت عندي، وها أنا في النوم قد قلته لك فاعمل عليه، واستيقظت، فأمرت أهلي أن يسخنوا لي ماء، واغتسلت مع الفجر.

(ف ح١/ ٥٣٧ ـ ح٢/ ٢٥٣)

الطواف والصلاة في جميع الأوقات في الحرم المكي:

ولقد رأيت وأنا بمكة في المنام رسول الله ﷺ، وقد استقبل الكعبة ويشير إليها يقول: ياساكني أو قال يامالكي (الشك مني) هذا البيت، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت في أي وقت كان، من ليل أو نهار، أن يصلي في أي وقت شاء، من ليل أو نهار، فإن الله يخلق له من صلاته ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة ـ وكنت قبل هذه الرؤيا عندي في إجازة الطواف بعد الصبح والعصر وقفة، فإن حديث النسائي الذي يشبهه حديثنا، رأيتهم قد توقفوا في الأخذ به، فلما رأيت هذه المبشرة ارتفع عني الإشكال، وثبت به عندي حديث النسائي وحديث أبي ذر الغفاري، والحمد لله. (ف ح١/ ٥٩٩، ٧٠٦ ـ ح٢/ ٢٥٤ ـ كتاب المبشرات)

الطلاق الثلاث بلفظ واحد:

سألت رسول الله ﷺ في الرؤيا، التي تعلمت منها دعاء ختم المجلس، سألته عن المطلقة بالثلاث في لفظ واحد، وهو أن يقول لها: أنت طالق ثلاثاً؛ فقال لي ﷺ: هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فكنت أقول له: يارسول الله فإن قوماً من أهل العلم يجعلون ذلك طلقة واحدة، فقال ﷺ: هؤلاء حكموا بما وصل إليهم وأصابوا، ففهمت من هذا تقرير حكم كل مجتهد، وأن كل مجتهد مصيب، فكنت أقول له: يارسول الله، فما أريد في هذه المسألة إلا ما تحكم به أنت إذا استفتيت، وما لو وقع منك ما كنت تصنع؟ فقال: هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، فرأيت شخصاً قد قام في آخر الناس ورفع صوته، وقال بسوء أدب يخاطب الرسول ﷺ يقول: ياهذا ـ بهذا اللفظ ـ لا نحكمك بإمضاء الثلاث، ولا بتصويبك حكم أولئك الذي ردوها إلى واحدة،

فاحمر وجه رسول الله ﷺ غضباً على ذلك المتكلم، ورفع صوته يصيح : هي ثلاث كما قال، لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، تستحلون الفروج، فما زال ﷺ يصيح بهذه الكلمات، حتى أسمع من كان في الطواف من الناس، وذلك المتكلم يذوب ويضمحل، حتى ما بقي منه على الأرض شيء، فكنت أسأل عنه : من هو هذا الذي أغضب رسول الله ﷺ؟ فيقال لي: هو إبليس لعنه الله ـ واستيقظت. (ف ح٤/ ٥٥٢ ـ كتاب المبشرات).

عدة المطلقة ومعنى القرء:

وكنت أراه ﷺ في هذه السنة ـ تسع وتسعين وخمسمائة ـ في النوم أيضاً، فكنت أقول له: يارسول الله إن الله يقول في كتابه العزيز ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والقرء عند العرب من الأضداد، يطلقونه ويريدون به الحيض، ويطلقونه ويريدون به الطهر، وأنت أعرف بما أنزل الله عليك، فما أراد الله به هنا؟ الحيض أو الطهر؟ فكان ﷺ يقول لي في الجواب عن ذلك: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله، يكني، فكنت أقول: يارسول الله فإذن هو الحيض، فيقول لي: إذا فرغ قرؤها فأفرغوا عليها الماء وكلوا مما رزقكم الله، ثلاث مرات، وكنت أفهم منه ذلك الوقت أنه يريد بقوله «إذا فرغ قرؤها» إذا انقطع عنها الدم «فأفرغوا عليها الماء» أي مروها بالغسل «وكلوا مما رزقكم الله» كناية عن الجماع واستيقظت. (ف ح٤/ ٥٥٢) إيجاز البيان/ سورة البقرة آية رقم ٢٢٩)

الاشتغال بتقييد الحديث والأخذ به وترك الرأي:

كان جملة أصحابنا ـ قبل أن أعرف العلم ـ قد رغبوا وقصدوني محرضين على قراءة كتب الرأي، وأنا لا علم لي بذلك ولا بالحديث، فرأيت نفسي في المنام وكأني في فضاء واسع، وجماعة بأيديهم السلاح يريدون قتلي، ولا ملجأ معي آوي إليه، فرأيت ربوة ورسول الله ﷺ عليها واقف، فلجأت إليه، فألقى ذراعه عليّ وضمني ضماً عظيماً، وقال لي: ياحبيبي استمسك بي لتسلم، فنظرت إلى هؤلاء الأعداء، فلم أرَ منهم على وجه الأرض أحداً، فمن ذلك الوقت اشتغلت بتقييد الحديث[1]. (كتاب المبشرات)

---

(١) راجع رؤيا الشيخ للإمام مالك ص ٧٧.

يؤكد رؤيا الشيخ فيما بعد قوله: أخبرني القاضي عبد الوهاب الأزدي الإسكندري بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، قال: رأيت رجلاً من الصالحين بعد موته في المنام، فسألته ما رأيت؟ فذكر أشياء، منها قال: رأيت كتباً مرفوعة، فسألت: ما هذه الكتب المرفوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الحديث، فقلت: وما هذه الكتب الموضوعة؟ فقيل لي: هذه كتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها ـ فرأيت في الأمر شدة. (ف ح٣/ ٦٩ ـ كتاب المبشرات)

أوقات الصلاة:

رأيت النبي ﷺ بين اليقظة والنوم وبيده ميزان الشمس، فرمى به وقال: بدعة ملعونة، صلوا كما شرع لكم. (كتاب المبشرات)

أخذ العلوم غير الأحكام

من رسول الله ﷺ وغيره من الرسل عليهم السلام في الرؤيا

دعـــاء:

هذا الدعاء سمعته من رسول الله ﷺ في المنام، يدعو به بعد فراغ القارىء عليه من كتاب صحيح البخاري، سنة تسع وتسعين وخمسمائة بمكة، بين باب الحزورة وباب أجياد: اللهم أسمعنا خيراً وأطلعنا خيراً، وارزقنا اللهم العافية وأدمها لنا، واجمع اللهم قلوبنا على التقوى، ووفقنا لما تحب وترضى، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. (ف ج٤/ ٥٥٢ ـ كتاب المبشرات).

ترتيب خلق العالم:

الحمد لله الذي أوجد الأشياء عن عدم وعدمه[1]، وأوقف وجودها على توجه كلمه، والصلاة على سر العالم ونكتته، ومطلب العالم وبغيته[2]، السيد الصادق، المدلج إلى ربه الطارق، المخترق به السبع الطرائق، ليريه من أسرى به ما أودع من الآيات والحقائق، فيما أبدع من الخلائق، الذي شاهدته عند إنشائي هذه الخطبة في عالم حقائق المثال، في حضرة الجلال، مكاشفة قلبية، في حضرة غيبية، ولما شهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد، محفوظ المشاهد، منصوراً مؤيداً، وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمته التي هي خير أمة عليه ملتفون، والصدّيق على يمينه الأنفس، والفاروق على يساره الأقدس،

(١) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية ص ٣٦٢ طبعة أولى ـ ص ٤٠٩ طبعة ثانية.

(٢) ألا تكفي هذه الصلاة والرؤيا التي وردت في مقدمة الفتوحات المكية، في الرد على كل ما جاء به الإمام ابن تيمية ومقلديه عن الشيخ الأكبر؟!!.

والختم بين يديه قد جثا، يخبره بحديث الأنثى[1]، وعليّ ﷺ يترجم عن الختم بلسانه، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شانه، فالتفت السيد الأعلى، والمورد العذب الأحلى، والنور الأكشف الأجلى، فرآني وراء الختم، لاشتراك بيني وبينه في الحكم، فقال له السيد: هذا عديلك، وابنك وخليلك، انصب له منبر الطرفاء بين يدي، ثم أشار إليّ، أن قم يامحمـــد عليه فأثـــن على من أرســلني وعــليّ، فإن فيك شعــرة مني[2]، لا صبر لها عني، هي الــســلطانــة في ذاتيتــك، فلا ترجــع إليّ إلا بكــليتــك، ولابــد لها من الرجوع إلى اللقاء، فإنها ليست من عالم الشقاء، فما كان مني بعد بعثي شيء في شيء إلا سَعِد، وكان ممن شُكر في الملأ الأعلى وحُمِد، فنصب الختم المنبر، في ذلك المشهد الأخطر، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر، هذا هو المقام المحمدي الأطهر، من رقي فيه فقد ورثه، وأرسله الحق حافظاً لحرمة الشريعة وبعثه، ووهبت في ذلك الوقت مواهب الحِكَم، حتى كأني أوتيت جوامع الكلم، فشكرت الله عز وجل وصعدت أعلاه، وحصلت في موضع وقوفه ﷺ ومستواه، وبسط لي على الدرجة التي أنا فيها كم قميص أبيض فوقفت عليه. [حتى لا أباشر الموضع الذي باشره ﷺ بقدميه، تنزيهاً له وتشريفاً، وتنبيهاً لنا وتعريفاً، أن المقام الذي شاهده من ربه، لا يشاهده الورثة إلا من وراء ثوبه، ولولا ذلك لكشفنا ما كشف، وعرفنا ما عرف، ألا ترى من تقفو أثره، لتعلم خبره، لا تشاهد من طريق سلوكه ما شهد منه، ولا تعرف كيف تخبر بسلب الأوصاف عنه، فإنه شاهد مثلاً تراباً مستوياً لا صفة له، فمشى عليه، وأنت على أثره لا تشاهد إلا أثر قدميه، وهنا سر خفي إن بحثت عليه، وصلت إليه، وهو من أجل أنه إمام، قد حصل له الأمام، لا يشاهد أثراً ولا يعرفه، فقد كشفت ما لا يكشفه، وهذا المقام قد ظهر، في إنكار موسى صلى الله على سيدنا وعليه وعلى الخضر] فلما وقفت ذلك الموقف الأسنى، بين يدي من كان من ربه في ليلة إسرائــه قاب قوســين أو أدنى، قمت مقنعــاً خجــلاً، ثم أُيدت بروح القــدس فافتتحت مرتجلاً:

---

(١) يعني مريم عليها السلام.

(٢) مقام كمال العبودة لا ينال ذوقاً، وقد حصل لنا منه ﷺ شعرة، وهذا كثير لمن عرف، فما عند الخلق منه إلا ظله.

يامنزل الآيات والأنباء ... أنزل عليّ معالم الأسماء
حتى أكون لحمد ذاتك جامعاً ... بمحامد السراء والضراء

ثم أشرت إليه ﷺ :

ويكون هذا السيد العلَم الذي ... جردته من دورة الخلفاء
وجعلته الأصل الكريم وآدم ... ما بين طينة خلقه والماء [1]
ونقلته حتى استدار زمانه ... وعطفت آخره على الإبداء
وأقمته عبداً ذليلاً خاضعاً ... دهراً يناجيكم بغار حراء
حتى أتاه مبشراً من عندكم ... جبريلُ المخصوص بالإنباء
قال السلام عليك أنت محمد ... سر العباد وخاتم النبآء
ياسيدي حقاً أقول؟ فقال لي ... صدقاً نطقت فأنت ظل ردائي
فاحمد وزد في حمد ربك جاهداً ... فلقد وهبت حقائق الأشياء
وانثر لنا من شأن ربك ما انجلى ... لفؤادك المحفوظ في الظلماء
من كل حق قائم بحقيقة ... يأتيك مملوكاً بغير شراء

ثم شرعت في الكلام بلسان العلام، فقلت وأشرت إليه ﷺ : حمدت من أنزل عليك الكتاب المكنون، الذي لا يمسه إلا المطهرون، المنزل بحسن شيمك، وتنزيهك عن الآفات وتقديسك، فقال في سورة ن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم، ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجراً غير ممنون، وإنك لعلى خلق عظيم، فستبصر ويبصرون﴾ ثم غمس قلم الإرادة في مداد العلم، وخط بيمين القدرة في اللوح المحفوظ المصون، كل ما كان وما هو كائن وسيكون، وما لا يكون، مما لو شاء ـ وهو لا يشاء ـ أن يكون، لكان كيف يكون، من قدره المعلوم الموزون، وعلمه الكريم المخزون، فسبحان ربك رب العزة عما يصفون، ذلك الله الواحد الأحد فتعالى عما أشرك به المشركون، فكان أول اسم كتبه ذلك القلم الأسمى، دون غيره من الأسما، إني أريد أن أخلق من أجلك

(1) يشير إلى قوله ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وإلى قوله ﷺ في حديث جابر بن عبد الله : «أول ما خلق الله نور نبيك ياجابر».

ياعمد العالم، الذي هو ملكك[1]، فأخلق جوهرة الماء، فخلقتها دون حجاب العزة الأحمى، وأنا على ما كنت عليه ولا شيء معي في عما، فخلق الماء سبحانه بَرَدَة جامدة كالجوهرة في الاستدارة والبياض، وأودع فيها بالقوة ذوات الأجسام وذوات الأعراض، ثم خلق العرش واستوى عليه اسمه الرحمن، ونصب الكرسي وتدلت إليه القدمان، فنظر بعين الجلال إلى تلك الجوهرة فذابت حياء، وتحللت أجزاؤها فسالت ماء، وكان عرشه على هذا الماء، قبل وجود الأرض والسماء، وليس في الوجود إذ ذاك إلا حقائق المستوى عليه والمستوي والاستواء، فأرسل النَفَسَ فتموج الماء، ورجع القهقرى يريد ثبجه[2]، وترك زبده بالساحل الذي أنتجه، فهو مخضة ذلك الماء، الحاوي على أكثر الأشياء، فأنشأ سبحانه من ذلك الزبد الأرض، مستديرة النشء مدحية الطول والعرض، ثم أنشأ الدخان من نار احتكاك الأرض عند فتقها، ففتق فيه السموات العلى، وجعلها محل الأنوار ومنازل الملأ الأعلى، وقابل بنجومها المزينة لها النيرات، ما زين به الأرض من أزهار النبات، وتفرد تعالى لآدم وولديه[3] بذاته جلّت عن التشبيه ويديه، فأقام نشأة جسدية وسوّاها تسويتين، تسوية انقضاء أمده، وقبول أبده، وجعل مسكن هذه النشأة نقطة كرة الوجود وأخفى عينها، ثم نبه عباده عليها بقوله تعالى ﴿بغير عمد ترونها﴾ فإذا انتقل الإنسان إلى برزخ الدار الحيوان، مارت قبة السماء وانشقت فكانت شعلة نارٍ سيال كالدهان، فمن فهم حقائق الإضافات، عرف ما ذكرنا له من الإشارات، فيعلم قطعاً أن قبة لا تقوم من غير عمد، كما لا يكون والد من غير أن يكون له ولد، فالعمد هو المعنى الماسك، فإن لم ترد أن يكون الإنسان فاجعله قدرة المالك، فتبين أنه لابد من ماسك يمسكها، وهي مملكة فلابد لها من مالك يملكها، ومن مسكت من أجله فهو ماسكها، ومن وجدت له بسببه فهو مالكها، ولما أبصرت حقائقَ

---

(١) إشارة إلى الحديث القدسي: «يابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلي، فلا تهتك ما خلقت من أجلي لما خلقت من أجلك» إشارة قوله تعالى: «يابن آدم» المقصود به رسول الله ﷺ.

(٢) ثبج كل شيء وسطه وهو بفتحتين.

(٣) هكذا في الأصل ولعلها «والديه» يشير بها إلى التراب والماء الذي خلق منها آدم عليه السلام.

السعداء والأشقياء، عند قبض القدرة عليها بين العدم والوجود ـ وهي حالة الإنشاء ـ حسن النهاية بعين الموافقة والهداية، وسوء الغاية بعين المخالفة والغواية، سارعت السعيدة إلى الوجود وظهر من الشقية التثبط والإباية، ولهذا أخبر الحق عن حالة السعداء فقال ﴿أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ يشير إلى تلك السرعة، وقال في الأشقياء ﴿فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يشير إلى تلك الرجعة، فلولا هبوب تلك النفحات على الأجساد، ما ظهر في هذا العالم سالك غيّ ولا رشاد، ولتلك السرعة والتثبط أخبرتنا صلى الله عليك، «أن رحمة الله سبقت غضبه» هكذا نسب الراوي إليك، ثم أنشأ سبحانه الحقائق على عدد أسماء حقه، وأظهر ملائكة التسخير على عدد خلقه، فجعل لكل حقيقة اسماً من أسمائه تعبده وتعلّمه، وجعل لكل سر حقيقة مَلكاً يخدمه ويلزمه، فمن الحقائق من حجبته رؤية نفسه عن اسمه، فخرج عن تكليفه وحكمه، فكان له من الجاحدين، ومنهم من ثبت الله أقدامه، واتخذ اسمه إمامه، وحقق بينه وبينه العلامة، وجعله أمامه، فكان له من الساجدين، ثم استخرج من الأب الأول أنوار الأقطاب، شموساً تسبح في أفلاك المقامات، واستخرج أنوار النجباء، نجوماً تسبح في أفلاك الكرامات، وثبت الأوتاد الأربعة للأربعة الأركان، فانحفظ بهم الثقلان، فأزالوا ميد الأرض وحركتها، فسكنت فازينت بحلي أزهارها وحلل نباتها وأخرجت بركتها، فتنعمت أبصار الخلق بمنظرها البهي، ومشامُّهم بريحها العطري، وأحناكهم بمطعومها الشهي، ثم أرسل الأبدال السبعة إرسال حكيم عليم، ملوكاً على السبعة الأقاليم، لكل بدل إقليم، ووزّر للقطب الإمامين، وجعلهما إمامين على الزمامين، فلما أنشأ العالم على غاية الإتقان، ولم يبق أبدع منه كما قال الإمام أبو حامد في الإمكان، وأبرز جسدك صلى الله عليك للعيان، أخبر عنك الراوي أنك قلت يوماً في مجلسك «إن الله كان ولا شيء معه بل هو على ما عليه كان» وهكذا هي صلى الله عليك حقائق الأكوان، فما زادت هذه الحقيقة على جميع الحقائق، إلا بكونها سابقة وهن لواحق، إذ من ليس مع شيء، فليس معه شيء، ولو خرجت الحقائق على غير ما كانت عليه في العلم، لانهازت عن الحقيقة المنزهة بهذا الحكم، فالحقائق الآن في الحكم، على ما كانت عليه في العلم، فلنقل كانت ولا شيء معها في وجودها، وهي الآن على ما كانت عليه

في علم معبودها، فقد شمل هذا الخبر الذي أطلق على الحق جميع الخلق، ولا تعترض بتعدد الأسباب والمسببات، فإنها ترد عليك بوجود الأسماء والصفات، وأن المعاني التي تدل عليها مختلفات، فلولا ما بين البداية والنهاية من سبب رابط، وكسب صحيح ضابط، ما عرف كل واحد منها بالآخر، ولا قيل على حكم الأول. يثبت الآخر، وليس إلا الرب والعبد وكفى، وفي هذا غنية لمن أراد معرفة نفسه في الوجود وشفا، ألا ترى أن الخاتمة عين السابقة؟ وهي كلمة واجبة صادقة، فما للإنسان يتجاهل ويعمى، ويمشي في دجنة ظلها، حيث لا ظل ولا ما، وأن أحق ما سُمِعَ من النبا، وأتى به هدهد الفهم من سبا، وجود الفلك المحيط، الموجود في العالم المركب والبسيط، المسمى بالهباء، وأشبه شيء به الماء والهواء، وإن كانا من جملة صوره المفتوحة فيه، ولما كان هذا الفلك أصل الوجود، وتجلى له اسمه النور من حضرة الجود، كان الظهور، وقبلت صورتك صلى الله عليك من ذلك الفلك أول فيض ذلك النور، فظهرت صورة مثلية، مَشَاهِدُها عينية، ومَشَارِبُها غيبية، وجنتها عدنية، ومعارفها قلمية، وعلومها يمينية، وأسرارها مدادية، وأرواحها لوحية، وطينتها آدمية، فأنت أب لنا في الروحانية، كما كان ـ وأشرت إلى آدم صلى الله عليه في ذلك الجمع ـ أباً لنا في الجسمية، والعناصر له أم ووالد[1]، كما كانت حقيقة الهباء في الأصل مع الواحد، فلا يكون أمر إلا عن أمرين، ولا نتيجة إلا عن مقدمتين، أليس وجودك عن الحق سبحانه وكونه قادراً موقوفاً؟ وأحكامك عليه من كونه عالماً موصوفاً، واختصاصك بأمر دون غيره مع جوازه عليك عليه من كونه مريداً معروفاً، فلا يصح وجود المعدوم عن وحيد العين، فإنه من أين يعقل الأين؟ فلابد أن تكون ذات الشيء أيناً لأمر ما، لا يعرفه من أصبح عن الكشف على الحقائق أعمى، وفي معرفة الصفة والموصوف، تبين حقيقة الأين المعروف، وإلا فكيف تسأل صلى الله عليك بأين؟ وتقبل من المسؤول فاء الظرف، ثم تشهد له بالإيمان الصرف؟ وشهادتك حقيقة لا مجاز، ووجوب لا جواز، فلولا معرفتك صلى الله عليك بحقيقة ما، ما قبلت قولها ـ مع كونها خرساء ـ في السماء، ثم بعد أن أوجد العوالم اللطيفة والكثيفة، ومهَّد المملكة وهيأ المرتبة الشريفة، أنزل في أول دورة العذراء الخليفة، ولذلك جعل سبحانه مدتنا

---

(١) هذا يؤكد إشارتنا رقم ١ ص ٢٥.

في الدنيا سبعة آلاف سنة[1]، وتحل بنا في آخرها حال فناء بين نوم وسِنَة، فننتقل إلى البرزخ الجامع للطرائق، وتغلب فيه الحقائق الطيارة على جميع الحقائق، فترجع الدولة للأرواح، وخليفتها في ذلك الوقت طائر له ستمائة جناح، وترى الأشباح في حكم التبع للأرواح، فيتحول الإنسان في أي صورة شاء، لحقيقة صحت له عند البعث من القبور في الإنشاء، وذلك موقوف على سوق الجنة، سوق اللطائف والمنة، فانظروا رحمكم الله، وأشرت إلى آدم، في الزمردة البيضاء، قد أودعها الرحمن في أول الآباء، وانظروا إلى النور المبين، وأشرت إلى الأب الثاني الذي سمانا مسلمين، وانظروا إلى اللجين الأخلص، وأشرت إلى من أبرأ الأكمه والأبرص، بإذن الله كما جاء به النص، وانظروا إلى جمال حمرة ياقوتة النفس، وأشرت إلى من بيع بثمن بخس، وانظروا إلى حمرة الأبريز، وأشرت إلى الخليفة العزيز، وانظروا إلى نور الياقوتة الصفراء في الظلام، وأشرت إلى مَنْ فضل بالكلام، فمن سعى إلى هذه الأنوار، حتى وصل إلى ما يكشفه لك طريقها من الأسرار، فقد عرف المرتبة التي لها وجد، وصح له المقام الإلي وله سُجِد[2]، فهو الرب المربوب، والمحب المحبوب.

انظر إلى بدء الوجود وكن به	فطناً ترَ الجود القديم المُحْدثا
والشيء مثل الشيء إلا أنه	أبداه في عين العوالم مُحْدَثا
إن أقسم الرائي بأن وجوده	أزلاً فبرٌ صادق لن يحنثا
أو أقسم الرائي بأن وجوده	عن فقده أحرى وكان مثلثا

ثم أظهرت أسراراً، وقصصت أخباراً، لا يسع الوقت إيرادها، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها، فتركتها موقوفة على رأس مهيعها، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها ـ

---

(١) يراجع حديث وهب بن منبه وفيه يقول: «وعمر الدنيا سبعة آلاف» فهل السنون هي من سني الأرض؟ أم سني القمر أو كوكب آخر؟ لم يحدده الشيخ.

(٢) يشير إلى سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وأن السجود لا يكون إلا لله، وأن سجود الملائكة كان لله تعالى، وأن آدم كان للملائكة كالقبلة لنا، وهو ما قيل للشيخ في رؤياه ص (٤٣) من سجد لغير الله عن أمر الله فقد أدى قربة.

ثم وجدت من ذلك المشهد النومي العلي، إلى العالم السفلي، فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب[1]. (ف ح١/ ٢)

الحمد لله :

أرسل رسول الله ﷺ عثمان رضي الله عنه إليّ آمراً بالكلام في المنام، بعد ما وقعت شفاعتي على جماعتي، ونجا الكل من أسر الهلاك، وقرب المنبر الأسنى، وصعدت عليه عن الإذن العالي المحمدي الأسمى، بالاقتصار على لفظة «الحمد لله» خاصة، ونزل التأييد ورسول الله ﷺ عن يمين المنبر قاعد، فقال العبد بعد ما أنشد وحمد وأثنى وبسمل: حقيقة «الحمد» هي العبد المقدس المنزه، «لله» إشارة إلى الذات الأزلية، وهو مقام انفصال وجود العبد من وجود الإله، ثم غيّبه عن وجوده بوجوده الأزلي وأوصله به، فقال «لله» فاللام الداخلة على قوله «الله» الخافضة له، هي حقيقة المألوه في باب التواضع والذلة، وهي من حروف المعاني لا من حرف الهجاء، ثم قدمها سبحانه على اسم نفسه تشريفاً له، وتهمماً وتنزيهاً لمعرفتها بنفسها، وتصديقاً لتقديم النبي ﷺ إياها في قوله: «من عرف نفسه عرف ربه»، فقدم معرفة النفس على معرفة الرب، ثم عَملت في الاسم «الله» لتحقيق الاتصال وتمكينها من المقام، ولما كانت في مقام الوصلة، ربما توهم أن الحمد غير اللام، فخفض العبد إتباعاً لحركة اللام فقُرِىء «الحمدِ لله» بخفض الدال، فكان لفظة «الحمد» بدلاً من اللام، بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة، فالحمد هو وجود اللام، واللام هي الحمد، فإذا كانا شيئاً واحداً، كان الحمد في مقام الوصلة مع الله، لأنه عين اللام، فكان معنى، كما كانت اللام لفظاً ومعنى، ثم حقيقة الخفض فيها إثبات العبودية، ثم أحياناً يفنيها عن نفسها فناء كلياً، ليرفعها إلى المقام الأعلى في الأولية، ثم يبقي حقيقتها في الآخرية فيقول «الحمدُ لله» برفع اللام، إتباعاً لحركة الدال، وهذا مما يؤيد أن الحمدَ اللامُ، وهو المعبر عنه بالرداء والثوب[2] إذ كان هو محل الصفات وافتراق الجمع، فغاية معرفة العباد أن تصل إليه إن وصلت، والحق وراء ذلك كله، أو قل ومع ذلك كله، فلما رفعها بالفناء عنها ابتداء،

---

(١) يعني الفتوحات المكية.

(٢) راجع كتابنا «الإنسان الكامل» الإنسان الكامل هو الرداء.

أراد أن يُعرّفها مع فنائها أنها ما برحت من مقامها، فجعلها عاملة، وجعل رفعها عارضاً في حق الحق، فأبقى الهاء مكسورة، تدل على وجود اللام في مقام خفض العبودة، ولهذا شددت اللام الوسطى بلفظة «لا» أي ذات الحق ليست ذات العبد، وإنما هي حقيقة المثل لتجلي الصورة[1]، ثم الهاء تعود على اللام لما هي معمولها، فلو كانت الهاء كناية عن ذات الحق لم تعمل فيها اللام، بل هو العامل في كل شيء، فإذا كانت اللام هي نفس الحمد، والهاء معمول اللام، فالهاء هي اللام، وقد كانت اللام هي الحمد، فالهاء الحمد بلا مزيد، وقد قلنا: إن اللام المشددة لنفي الجمع المتحد موضع الفصل - فخرج من مضمون هذا الكلام، أن الحمد هو قوله «لله» وأن قوله «لله» هو قوله «الحمد». فغاية العبد أن حمد نفسه الذي رأى في المرآة، إذ لا طاقة للمحدث على حمل القديم[2]، فأحدث المثل على الصورة، وصار الموحد مرآه، فلما تجلت صورة المثل في مرآة الذات، قال لها حين أبصرت الذات فعطست فميزت نفسها «احمدي من رأيت» فحمدت نفسها، فقالت «الحمد لله» فقال لها: «يرحمك ربك يا آدم لهذا خلقتك» فسبقت رحمته غضبه، ولهذا قال عقيب قوله: «الحمد لله» «رب العالمين الرحمن الرحيم» فقدم الرحمة، ثم قال: «غير المغضوب عليهم» فأخر غضبه، فسبقت الرحمة الغضب في أول افتتاح الوجود، فسبقت الرحمة إلى آدم قبل العقوبة على أكل الشجرة، ثم رحم بعد ذلك، فجاءت رحمتان بينهما غضب، فتطلب الرحمتان أن تمتزجا لأنهما مثلان، فانضمت هذه إلى هذه، فانعدم الغضب بينهما، كما قال بعضهم في يسرين بينهما عسر:

إذا ضاق عليك الأمر فكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين إذا ذكرته فافرح

(ف ح ١/ ١١١)

أفضلية الملائكة على الإطلاق:

يقول الشيخ رضي الله عنه، إن النبي ﷺ قام عندما رأى جنازة يهودي، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «أليس معها الملك»؟ وقال مرة أخرى: إن الموت فزع، وقال مرة

(١) تشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم عن رسول الله ﷺ «خلق الله آدم على صورته».
(٢) راجع كتابنا شرح كلمات الصوفية «إن المحدث إذا قرن بالقديم لم يبق له أثر».

أخرى: أليست نفساً؟ ولكل قول وجه، أرجى الأقوال أليست نفساً؟ لمن عقل، فكان قيامه مع الملك، وفي هذا الحديث قيام المفضول للفاضل عندنا، وعند من يرى أن الملائكة أفضل من البشر على الإطلاق، هكذا قال لي رسول الله ﷺ في مبشرة أُريتها، في هذه المسألة الطفولية التي بين الناس، واختلافهم في فضل الملائكة على البشر، فإني سألت رسول الله ﷺ في الواقعة، فقال لي: إن الملائكة أفضل، فقلت له: يارسول الله فإن سئلت ما الدليل على ذلك فما أقول؟ فأشار إليّ أن قد علمتم أني أفضل الناس، وقد صح عندكم وثبت ـ وهو صحيح ـ أني قلت عن الله تعالى أنه قال: ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وكم ذاكر لله تعالى ذكره في ملأ أنا فيهم، فذكره الله في ملأ خير من ذلك الذي أنا فيهم، فما سررت بشيء سروري بهذه المسألة، فإنه كان على قلبي منها كثير، فإن جماعة من أصحابنا غلطت في هذه المسألة لعدم الكشف، فقالت بطريق القوة والفكر الفاسد: إن الكامل من بني آدم أفضل من الملائكة عند الله مطلقاً، ولم تقيد صنفاً ولا مرتبة من المراتب، التي تقع عليها الفضلية لمن هو فيها على غيره، وهم مسؤولون مؤاخذون بذلك عند الله، والعالم بالله المكمل، هو الذي يحمي نفسه أن يجعل لله عليه حجة بوجه من الوجوه، ومن أراد أن يسلم من ذلك فليقف عند الأمر والنهي، وليرتقب الموت، ويلزم الصمت إلا عن ذكر الله من القرآن خاصة، فالملأ الأعلى عند الله أشرف من آدم عليه السلام، ومع هذا فكان عند آدم ما لم يكن عندهم من علم الأسماء، وقد أوضحت دليل تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على أعلى البشر، أعطاني ذلك الدليل رسول الله ﷺ في رؤية أريتها، وقبل تلك الرؤية ما كنت أذهب إلى مذهب جملة واحدة، قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ فلو لم يكن من شرف الملائكة على سائر المخلوقات، إلا جمع الضمير في يصلون بينهم وبين الله لكفاهم، ما احتيج بعد ذلك إلى دليل آخر، فإن فضل آدم عليه السلام لم يعم، هكذا أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها، وهكذا أخبر الخليل إبراهيم عليه السلام شيخنا أبا مدين بأن فضل آدم لم يعم، فالإنسان أكمل نشأة والملك أكمل منزلة، كذا قال لي رسول الله ﷺ في الواقعة.

(ف ح١/ ٥٢٧ ـ ح٢/ ٦١، ٢٣٣، ٤٢٣ ـ ح١/ ٦٤٠)

أقل الجمع:

لما وصلت العدد والمعدودات نمت، فرأيت رسول الله ﷺ في منامي وأنا بين يديه، وقد سألني سائل ـ وهو يسمع ـ ما أقل الجمع في العدد؟ فكنت أقول له: عند الفقهاء اثنان، وعند النحويين ثلاثة، فقال ﷺ: أخطأ هؤلاء وهؤلاء، فقلت له: يارسول الله فكيف أقول؟ قال لي: إن العدد شفع ووتر، يقول الله تعالى ﴿والشفع والوتر﴾ والكل عدد فميز، ثم أخرج خمسة دراهم بيده المباركة ورمى بها على حصير كنا عليه، فرمى درهمين بمعزل، ورمى ثلاثة بمعزل، وقال لي: ينبغي لمن سئل في هذه المسألة أن يقول للسائل: عن أي عدد تسأل: عن العدد المسمى شفعاً، أو عن العدد المسمى وتراً؟ ثم وضع يده على الاثنين الدرهمين وقال: هذا أقل الجمع في عدد الشفع، ثم وضع يده على الثلاثة وقال: هذا أقل الجمع في عدد الوتر، هكذا فليجب من سئل في هذه المسألة، كذا هو عندنا، واستيقظت فقيدتها في هذا الباب كما رأيتها حين استيقظت، وخرج عن ذكري مسائل كثيرة، كانت بيني وبينه ﷺ، مما يتعلق بغير هذا الباب، وأنا في غاية السرور والفرح برؤيته ﷺ، ووجدت في خاطري عند انتباهي صحة النهي عن البتيرا[1]، فإنه تكلم في طريقه، فما رأيت معلماً أحسن منه. (ف ح٢/ ٢١٥)

مشاهدة عظمة الله في كل شيء:

اعلم ياأخي أنه ليلة تقييدي لبقية هذا المنزل، من بركاته رأيت رسول الله ﷺ وقد استلقى على ظهره، وهو يقول: «ينبغي للعبد أن يرى عظمة الله في كل شيء، حتى في المسح على الخفين ولباس القفازين» وكنت أرى في رجليه ﷺ نعلين أسودين جديدين، وفي يديه قفازين، وكأنه يشير إليّ مسروراً بما وضحته في هذا المنزل من العلم بما يستحقه جلال الله، ثم يقول: ما دام البدر طالعاً فالنفوس في البساتين نائمة، وفي جواسقها[2] آمنة، فإذا كان الظلام ولم يطلع البدر خيف من اللصوص، فينبغي أن يدخل الإنسان المدينة حذراً من اللصوص، فكنت أفهم عنه من هذا الكلام، أنه يريد أن النفوس إذا كان شهود الحق

---

(١) البتيرا هي صلاة الوتر ركعة واحدة دون أن يسبقها شفع.

(٢) الجوسق: القصر.

غالباً عليها، محققة به وفيه عند من يدخل بساتين معرفة الله، والكلام في جلاله على ضروبه وكثرة فنونه، فشبه الحق بالبدر، وشبه ما تحويه البساتين من ضروب الفواكه، بما تحوي عليه الحضرة الإلهية من معارف الأسماء الإلهية وصفات الجلال والتعظيم، وفهمت منه في المنام من قوله: «إذا غاب البدر» وذلك شهود الحق في الأشياء والحضور معه والنية الخالصة فيه، كان ظلام الجهل والغفلة عن الله والخطأ، وخيف من اللصوص يريد الشبه المضلة، الطارئة لأصحاب النظر الفكري وأصحاب الكشف الصوري، فذكر ذلك خوفاً على النفوس إذا اشتدت في الكلام على ما يستحقه جناب الحق، فليدخل المدينة، يريد فليتحصن من ذلك بالشرع الظاهر، وليلزم الجماعة وهم أهل البلد، فإن يد الله مع الجماعة، ثم رأيته ﷺ يتقلق قلقاً عظيماً بجميع أعضائه، لعظيم ما هو فيه من السرور بما يتضمنه هذا المنزل من المعرفة، وكأننا في الليل والبدر طالع حتى كأننا منه في النهار، أرى البدر يضيء في كبد السماء، وقائل يقول: لم يُرَ رسول الله ﷺ في قلق عظيم لما يرد عليه من الله ويشهده، واستيقظت فقيدت الرؤيا في هذا المنزل، واستبشرت بما رأيته، لله الحمد على ذلك. (ف ح٢/ ٦٦٨)

رحمة رسول الله ﷺ للعالمين:

رأيت في الكشف الصحيح والمشهد الصريح، ورسول الله ﷺ معي، وقد أمر تعالى بقتل الدجال لدعواه الألوهية، وهو يبكي ويعتذر عنه فيما يعاقب به من أجله، وأنه ما بيده في ذلك من شيء، فبكاؤه ﷺ على ما سبق من العلم من شقاء الدجال وأبي لهب وأبي جهل، مثل الألم في نفس الراحم الذي ما له اقتدار على تنفيذ رحمته للمانع. (ف ح٣/ ٤٩٧)

تنبيه على مخالفة شرعية:

لقد رأيت رسول الله ﷺ في النوم ميتاً، في موضع عاينته بالمسجد الجامع بإشبيلية، فسألت عن ذلك الموضع فوجدته مغصوباً، فكان ذلك موت الشرع فيه حيث لم يتملك بوجه مشروع. (ف ح٤/ ٣٠٢).

تنبيه وتحذير من فتنة القبر:

رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من

فتنة الدجال» ثم استقبل الكعبة وحسر كُمَّيه عن ذراعيه، وفرش سجادة وصلى عليها ركعتين، وقمت عن يمينه وأدركت الركعة الثانية. (كتاب المبشرات).

تفسير قرآن :

رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: قوله تعالى ﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة﴾ إلى آخر الآية، ما هذه الشجرة؟ فقال: كنى عن نفسه سبحانه، لذلك نفى عنها الجهات، فإنه لا يتقيد بالجهات، والغرب والشرق كناية عن الفرع والأصل، فهو الله خالق المواد وأصلها، ولولا هو ما كانت مادة، في كلام طويل وتفصيل واضح، وكان قبل أن يقول لي هذا الكلام يقول لي: أنت تعرف ما هي الشجرة، وما كان لي علم بها، فلما قال: أنت تعرفها، فكنت أقول له: نعم أعرفها وأحب أن أسمعها من فيك صلى الله عليك، وكان يقول ما ذكرته واستيقظت. (كتاب المبشرات)

نصيحة وعتاب :

لقد رأيت رسول الله ﷺ سنة تسعين وخمسمائة في المنام بتلمسان، وكان قد بلغني عن رجل أنه يقع في الشيخ أبي مدين، وكان أبو مدين من أكابر العارفين، وكنت أعتقد فيه على بصيرة، فكرهت ذلك الشخص لبغضه في الشيخ أبي مدين، فقال لي رسول الله ﷺ: لِمَ تكره فلاناً؟ فقلت: لبغضه في أبي مدين، فقال لي: أليس يحب الله ويحبني؟ فقلت: بلى يارسول الله إنه يحب الله ويحبك، فقال لي: لم بغضته لبغضه أبا مدين وما أحببته لحبه الله ورسوله؟ فقلت له: يارسول الله من الآن، إني والله زللت وغفلت، والآن فأنا تائب، وهو من أحب الناس إليّ، فلقد نبهت ونصحت صلى الله عليك ـ فلما استيقظت أخذت معي ثوباً له ثمن كبير، أو نفقة لا أدري، وركبت وجئت إلى منزله فأخبرته ما جرى، فبكى وقبل الهدية، وأخذ الرؤيا تنبيهاً من الله، فزال عن نفسه كراهته في أبي مدين وأحبه، فأردت أن أعرف سبب كراهته في أبي مدين، مع قوله بأن أبا مدين رجل صالح، فسألته، فقال: كنت معه ببجاية، فجاءته ضحايا في عيد الأضحى، فقسمها على أصحابه وما أعطاني منها شيئاً، فهذا سبب كراهتي فيه ووقوعي، والآن قد تبت؛ فانظر ما أحسن تعليم النبي ﷺ، فلقد كان رفيقاً رقيقاً. (فس ح٤/ ٤٩٨)

تحريض على حفظ القرآن :

رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وقد ماج الناس، فسمعت قراءة القرآن في عليين، فقلت: من هؤلاء الذين يقرأون القرآن في مثل هذا الوقت، ولا خوف عليهم؟ فقيل لي: هم حملة القرآن، فقلت: وأنا منهم؛ فأدلي لي سلم، فرقيت فيه إلى غرفة في عليين، فيها كبار وصغار يقرأون على رسول الله إبراهيم الخليل عليه السلام، فقعدت بين يديه وافتتحت قراءة القرآن آمناً لا أعرف خوفاً، ولا هولاً ولا حساباً، ولا أدري ما هم الناس فيه من الكرب في الحشر. (كتاب المبشرات ـ ف ح٤/ ٧٧)

ترغيب في قيام الليل :

رأيت كأني بمكة وكأني مع رسول الله ﷺ في دار واحدة، وبيني وبينه وصلة عظيمة، حتى كأني هو وكأنه أنا، وكنت أرى له ابناً صغيراً، وكان عليه الصلاة والسلام إذا جاءه أحد ليراه، أخرج معه ذلك الصغير ليتبرك به الناس ويعرفوه، وكأن لذلك الصغير عند الله قدراً عظيماً، فبينا نحن قعود، وإذا بقارع يقرع الباب، فخرج إليه رسول الله ﷺ والصغير معه، ثم رجع إليّ وقال لي: «إن الله أمرني أن أمشي إلى المدينة وأصلي المغرب بشرقيها» ثم خرج، وأنا لا أفقده وعيني لا تزال عليه، وكأني ذاته، فلا أنا هو ولا أنا غير، فبينا هو بين مكة والمدينة، إذ رأى خيراً عظيماً ينزل، فقال: ياجبريل، ما هذا الخير العظيم الذي لم أرَ مثله؟ فقال: نزل من الفردوس الأعلى على المتهجدين، وأنّى يكون لك أن تكون منهم؟ ثم أخذ جبريل يثني على المتهجدين من الله تعالى بثناء ما سمعت مثله، وكان عليه الصلاة والسلام والله من أعلاهم وأفضلهم، فعلمت أن ذلك في حقي، وقوله وأنّى يكون لك أن تكون منهم، خطاب يرجع إليّ، واستيقظت. (كتاب المبشرات)

كتاب فصوص الحكم :

رأيت رسول الله ﷺ في مبشرة رأيتها في العشر الأخير من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه

واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا[1] (مقدمة فصوص الحكم)

فضل آدم لم يعم:

أخبرني رسول الله ﷺ في واقعة رأيتها أن فضل آدم لم يعم. (ف ح٣/ ٣٥٣)

اجتماع الشيخ بعيسى عليه السلام:

كنت كثير الاجتماع بعيسى عليه السلام في الوقائع، وعلى يده تبت، ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ودعاني بالحبيب، وأمرني بالزهد والتجريد. (ف ح٢/ ٤٩)

رؤية الشيخ بجميع الأنبياء وجميع المؤمنين:

أشهدني الحق أعيان رسله كلهم البشريين، من آدم إلى محمد ﷺ وعليهم أجمعين، في مشهد أقمت فيه في قرطبة سنة ست وثمانين وخمسمائة، ما كلمني أحد من تلك الطائفة إلا هود عليه السلام، فإنه أخبرني بسبب جمعيتهم، ورأيته عليه السلام رجلاً ضخماً من الرجال، حسن الصورة، لطيف المحاورة، عارفاً بالأمور، كاشفاً لها، وسألته عن مسألة فعرفني بها، فوقعت في الوجود كما عرفني بها[2]. (ف ح٣/ ٢٠٨)

---

(١) أثبت هذه الرؤيا كما جاءت في كتاب فصوص الحكم، وهذا الكتاب لم يذكره الشيخ في كتبه الثابت نسبتها إليه، وجاءت إشارة إلى هذا الكتاب في الديوان المنسوب إلى الشيخ رضي الله عنه، والديوان لم يأت ذكره في أي من كتب الشيخ الثابتة، فإذا صحت هذه الرؤيا، فهذا يعني أن كتاب فصوص الحكم الذي بين أيدي الناس، ليس هو الكتاب الذي كتبه الشيخ، فإن فيه الكثير مما يخالف آراء الشيخ ومذهبه، وما يناقض ما جاء في الكتب الثابتة مثل الفتوحات المكية، وكان أكثر اعتراض العلماء على الشيخ مبنياً على ما جاء في هذا الكتاب الموضوع، وهو يتعارض مع ما جاء في الرؤيا من قوله صلى الله عليه وسلم: اخرج به إلى الناس ينتفعون به؛ ويتعارض مع ما ذكره الشيخ عن كتاب الفصوص في الديوان من أنه مبني على الرمز واللغز، ويعجز عن فهمه الفطن اللبيب، وإما أن تكون الرؤيا مزورة ومدسوسة على الشيخ، حتى يتقبل الناس ما جاء في هذا الكتاب المدسوس على الشيخ، بما فيه من غث وثمين.

(٢) راجع كتابنا ترجمة حياة الشيخ ص ١٢٨ طبعة أولى ـ ص ١٢٦ طبعة ثانية.

مبشرات أخرى

الأدب في الطواف :

رأيت ـ في واقعة ـ الناس بالحجر الأسود طائفين، وشرر النار يتطاير من أفواههم، فأولته كلام الطائفين في الطواف بما لا ينبغي. (ف ح١/ ٧٠٢)

الطبيعــــة :

بينا أنا أقيد مسألة من الكلام في الطبيعة، إذ غفوت فرأيت أمي وعليها ثيابٌ بيضٌ حسنةٌ، فحسرت عنها ذيلها إلى أن بدا لي فرجها، فنظرت إليه، ثم قلت: لا يحل لي أن أنظر إلى فرج أمي، فسترته وهي تضحك، فوجدت نفسي قد كشفت في هذه المسألة وجهاً ينبغي أن يستر، فسترته بألفاظٍ حسنةٍ بعد كشفه، قبل أن أرى هذه الواقعة، فكانت أمي الطبيعة، والفرج ذلك الوجه الذي ينبغي ستره، والكشف إظهاره في هذا الفصل، والتغطية بذلك الثوب الأبيض الحسن، ستره بألفاظ وعبارات حسنة، ثم أني أيضاً كما أنا في كلامي على الطبيعة في هذا الفصل أخذتني سِنَة، فرأيت كأني على فرس عظيم، وقد جئت إلى ضحضاح من الماء، أرضه حجارة صغار، فأردت عبوره، فرأيت أمامي رجلاً على فرس شهباء يعبر، وإذا فيه مثل الساقية عميقة مردومة بتلك الحجارة، لا يشعر بها حتى يغرق فيها، وإذا بذلك الفارس قد غرق فيها فرسه، وقد نشب إلى أن وصل الماء إلى كفل فرسه، ثم خلص إلى الجانب الآخر، فنظرت من أين اعبر، فوجدت مبنياً عليه مجازاً، ذا أدراج من الجهتين للرجالة، لا يمكن للفرس أن يصعد عليه، فيصعد فيه بأدراج متقاربة جداً، وأعلاه عرض شبر، وينزل من الجانب الآخر بأدراج، فركضت جنب فرسي، والناس يتعجبون ويقولون: ما يقدر فرس على عبوره؛ وأنا لا أكلمهم، ففهم الفرس عني ما أريده

منه، فصعد برفق، فلما وصل إلى أعلاه وأراد الانحدار، توقف، وخفت عليه وعلى نفسي من الوقوع، فنزلت من عليه وعبرت، وأخذت بعنانه وما زال من يدي، فعبر الفرس وتخلصنا إلى الجانب الآخر، والناس يتعجبون، فسمعت بعض الناس يقولون: لو كان الإيمان بالثريا لناله رجال من فارس، فقلت: ولو كان العلم بالثريا لنالته العرب، والإيمان تقليد، فكم بين عالم وبين من يقلد عالماً، فقالوا: صدق، فالعربي له العلم والإيمان، والعجم مشهود لهم بالإيمان خاصة في دين الله، ورددت إلى نفسي، فوجدتني في مسألة في الطبيعة تطابق هذه الرؤيا، فتعجبت من هاتين الواقعتين في هذا الفصل. (ف ح٢/ ٤٣٠)

الدنيا أم رقوب[1]:

اعلموا أن الله تعالى أطلعني في ليلة تقييدي باب مقام المراقبة ـ على أمر لم يكن عندي ـ في واقعة وقعت لي برزخية، قيل لي فيها: «ألم تسمع أن الدنيا أم رقوب» قلت: «نعم» قيل لي: «فاجعل لها فصلاً في هذا الباب» فاستخرت الله على ذلك ـ ثم كتب الشيخ فصلاً في مدح الدنيا من حيث أنها أم. (ف ح٢/ ٢٠٩)

مبشرة بخاتم الأولياء الخاص:

رأيت رؤيا لنفسي وأخذتها بشرى من الله، فإنها مطابقة لحديث نبوي عن رسول الله ﷺ، حين ضرب لنا مثله في الأنبياء عليهم السلام، فقال ﷺ: «مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى حائطاً فأكمله إلا لبنة واحدة، فكنت أنا تلك اللبنة، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشبه النبوة بالحائط، والأنبياء باللبن التي قام بها هذا الحائط، وهو تشبيه في غاية الحسن، فإن مسمى الحائط هنا المشار إليه، لم يصح ظهوره إلا باللبن، فكان رسول الله ﷺ خاتم النبيين، فكنت بمكة سنة تسع وتسعين وخمسمائة، أرى فيما يرى النائم، الكعبة مبنية بلبن فضة وذهب، لبنة فضة ولبنة ذهب، وقد كملت بالبناء وما بقي فيها شيء، وأنا أنظر إليها وإلى حسنها، فالتفتت إلى الوجه الذي بين الركن اليماني والشامي، هو إلى الركن الشامي

(١) أم رقوب: أم أمينة وحارسة لأولادها.

أقرب، فوجدت موضع لبنتين، لبنة فضة ولبنة ذهب، ينقص من الحائط في الصفين، في الصف الأعلى ينقص لبنة ذهب، وفي الصف الذي يليه ينقص لبنة فضة، فرأيت نفسي قد انطبعت في موضع تلك اللبنتين، فكنت أنا عين تينك اللبنتين، وكمل الحائط ولم يبق في الكعبة شيء ينقص، وأنا واقف أنظر، وأعلم أني واقف، وأعلم أني عين تينك اللبنتين، لا أشك في ذلك، وأنها عين ذاتي، واستيقظت، فشكرت الله تعالى وقلت متأولاً: إني في الأتباع في صنفي، كرسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنبياء عليهم السلام، وعسى أن أكون ممن ختم الله الولاية بي، وما ذلك على الله بعزيز، وذكرت حديث النبي ﷺ في ضربه المثل بالحائط، وأنه كان تلك اللبنة، فقصصت رؤياي على بعض علماء هذا الشأن بمكة من أهل توزر، فأخبرني في تأويلها بما وقع لي، وما سميت له الرائي من هو، فالله أسأل أن يتمها عليّ بكرمه، فإن الاختصاص الإلهي لا يقبل التحجير ولا الموازنة ولا العمل، وأن ذلك من فضل الله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (ف ح١/ ٣١٨)

تأويل الرؤيا - خاتم الأولياء[1] لابد أن يرى نفسه تنطبع في موضع تلك اللبنتين فيكمل الحائط، والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين، أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضية، وهو ما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، ولابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول[2]. (فصوص الحكم/ حكمة شيثية)

العلم بالله:

قيل لي في واقعة: ما يُعلَم من الله وما يُجهَل؟ فقلت:

العلم بالله ديني إذ أدين به ... والجهل بالعين إيماني وتوحيدي

---

(١) راجع خاتم الأولياء - كتابنا ترجمة حياة الشيخ الأكبر ص ٢٤٣ - ٢٤٨.

(٢) يريد قوله تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ دون واسطة.

فقيل لي: صدقت، هذا قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ فما عندك في تجليه؟ فقلت:

في كل مجلى أراه حين أشهده ... ما بين صورة تنزيه وتحديد

فقيل لي: «سبحان من تنزه عن التنزيه بالتشبيه، وعن التشبيه بالتنزيه».

وكان بساقي دمل كنت أتألم منه من شدة وجعه، فغلب عليّ في تلك الحال شهوده سبحانه، فقلت:

رأيته في دملي ... فقلت داء معضل

لا راحة ترجى ولا ... ضر فقل ما أعمل

فقيل لي: «سلّم»[1] فقلت: «نعم المعلم» فسلمت وما تكلمت.

رأيت هذي الواقعة ... لكل علم جامعة

فما رأيت مثلها ... من العلوم النافعة

وخوطبت في سري فيها بأمور لا يمكنني إذاعتها، ولا تلتبس عليَّ بضاعتها، غير أن التجلي للبشر لا يكون إلا بالصور، والعمل الإلهي في البصر عند تعلق النظر، وقد عرفت فالزم. (ف ح١/ ٧٥١)

الصدق هو الإعجاز:

يقول الشيخ في القول المعجز: هو قول الحق والصدق، وكذا رأيته في الواقعة مثل القرآن، فهو الحجة من الكلام، وسألت في الواقعة عن الإعجاز، فقيل لي: لا تخبر إلا عن صدق وأمر واقع محقق، من غير زيادة حرف أو تزوير في نفسك، فإذا كان كلامك بهذه الصفة كان معجزاً ـ فاصدق في نطقك تكن المعجز، فأسهب بعد ذلك أو أوجز، فإن الغاية في الإعجاز، المبالغة في الإسهاب والإيجاز. (ف ح٢/ ١٢٨، ٥٠٥ ـ ح٤/ ٣٦٩)

الصدق صفة جامعة للشرف، عليه دلت المعجزات كلها، ولقد سألت عن صورة الإعجاز في القرآن، فقيل لي: كونه حق صدق، والمعارض صاحب تزوير، فالزم الصدق أيها السالك، ترى العجب العجاب في الدارين. (كتاب التراجم/ ترجمة نور الصدق)

(١) سلم الأمر لله.

أهل المقامات الأربعة :

اعلموا وفقكم الله، أني لما شرعت في الكلام على الباب السادس والسبعين، أُريت مبشرة، عرفت فيها أن الناس لابد أن ينزل بهم أمر إلهي عارض، يحتاجون فيه إلى حمل مشقة وجهد نفسي وحسي، وقيل لي: لا تغفل في كل باب أن تدرج فيه الحروف الصغار، وتبين أن بإشباعها تكون الحروف الثلاثة، التي هي حروف العلة، وهي حروف المد واللين، وهي الحروف المركبة من علة ومعلول، ويكون كلامك فيها وإشارتك إلى الأربعة الأصناف، وهم العارفون الذين لهم العوارف الإلهية الوجودية الجودية في معرفتهم، وأهل المواقف عند الحدود الإلهية لتلقي الأدب بين كل مقامين، عند الانتقال في حال لا يتصفون فيه بالمقام الأول ولا بالثاني، وهم أهل البرازخ، وكذلك أهل الوصال والأنس، تعين ما لهم من الدرجات في كل مقام، كما تبين ما لأهل المواقف سواء، حتى لا يختلط على السالك، وكذلك أيضاً المنكرة أحوالهم، وهم الملامية الذين يعرفون ولا يُعرَفون، تميزهم من أهل عوارف المعارف، وتظهر ما لهم من الكمال، وهم العلماء بالله، فهؤلاء الأربعة لابد من تمشية أحوالهم في كل مقام، وهم العارفون، والملامية، وأهل الأنس والوصال، وأصحاب المواقف والقول وهم الأدباء، فإنك مأمور بالنصح لعباد الله عن أمر الله، والدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلما فرغ وارد البرزخ في الواقعة، قمنا من مرقدنا وسألنا الله تعالى العصمة في القول والعمل والحال، وكنت أرى معي في هذه الواقعة صاحبنا تاج الدين عباس بن عمر السراج، وهو الذي كان ينبهني عن الحق تعالى على الكلام في الحروف الصغار، التي تتولد عنها حروف العلل الثلاثة. (ف ح٢/ ١٤٤)

مقام النبوة والرسالة مغلق :

مقام النبوة والرسالة سهل المرتقى، صعب النزول عنه، وهكذا رأيته في الواقعة ليلة أردت أن أقيد هذا الباب ـ ثم فصل الشيخ شرحه[1] ـ فما تكلمنا إلا بما شاهدناه في الواقعة، ورأينا فيها باب اسم الرسول والنبي مغلقاً على يميني، والمعراج بأدراجه منه إلى الطريق

(١) راجع الفتوحات المكية ج ٢ باب ١٥٥ ص ٢٥٣.

الشارع الذي يمشي الناس عليه، وأنا عند الباب واقف، وليس فوق ذلك المقام الذي أوقفني الحق فيه مقام لأحد، إلا ما في داخل ذلك المغلق الموثق الغلق، ومع غلقه ما ينحجب عني ما وراءه، إلا أنه لا قدم لأحد فيه إلا الكشف، ولقد طلع إليَّ شخص، فلما وصل بسهولة ورآه، توعر عليه النزول وحار، ولم يقدر على الثبات فيه، فتركني وسلك الطريق الذي عليه جئت أنا إلى ذلك الموضع، وراح وتركني راجعاً، واستيقظت على هذه الحالة، فقيدت ما أودعته في هذا الباب. (ف ح٢/ ٢٥٣)

التفاضل في العالم:

ولقد رأيت في حين تقييدي للتوحيد الثالث والعشرين ـ الذي يعطي التفاضل واقعة عجيبة، أعطيت رقاً منشوراً، عرضه ـ فيما يعطي البصر ـ ما يزيد على العشرين ذراعاً، وأما طوله فلا أحققه، وهو على هذا الشكل المصور في الهامش[1]، وهو جلد واحد، جلد كبش، تنظره فتراه أبيض عند القراءة، وتنظر إليه في غير قراءة فتراه أخضر، فإذا قرأته تراه جلداً، وإذا لم تقرأه تراه شقة، لا أدري حريراً أو كتاناً، وهو صداق أهلي، فيقال لي: هذا صداق إلهي لأهلك، ولا أسأل عن الزوج، ولا أعلم أنها خرجت عن عصمة نكاحي، وأنا فارح بهذا الأمر مسرور غاية السرور، ثم يؤتى بسرقة حرير خضراء تنبعث من الكتاب، كأنها منه تكونت، فيها ألف دينار ذهباً عيناً، كل دينار ثقيل، لا أدري ما وزنه، فيقال: قسمه على أهلها، خمسة دنانير لكل شخص، فأول ما آخذ أنا منها خمسة دنانير، عليها نور ساطع، أعظم من ضياء أضوأ كوكب في السماء له شعاع، وأرى نفس ذلك الكتاب هو عين أهلي، ما كتابها غيرها، وأنا بكل جسمي راقد عليها متكيء، فكنت أنظر إلى رقم ذلك الكتاب، فأجده بخط زين الدين بن شداد، والصداق من أوله إلى آخره مسجع الألفاظ، تسجيعاً واحداً على روي الراء المفتوحة والهاء، فضبطت منه بعد البسملة: الحمد لله الذي جعل قرآنه وفرقانه وتوراته وإنجيله وزبورَه، رقوم هذا الكتاب المكنون وسطورَه، وأودعه كل آية في الكتب وسورَة، وأظهره في الوجود في أحسن صورَة، وجعل أعلامه في العالم

---

(١) في المخطوط الأصلي للفتوحات المكية.

العلوي والسفلي مشهورَة، وآياته غير متناهية ولا محصورَة، وكلماته بكل لسان في كل زمان وغير زمان مذكورَة؛ هكذا على هذا الروي إلى آخره - إن كان له آخر - بخط مثل الذر، فلما رددت إلى حسي، وجدتني أكتب هذا الفصل من فصول التوحيد، وإذا به توحيد الاختيار، فعلمت أن ذلك عين هذا الفصل، وأن لأهلي من هذا الفصل أوفر حظ وأعظم نصيب، وتعجبت من اسم أهلي في الواقعة واسمها مريم. (ف ح٢/ ٤١٦)

إقامة الدين:

لما قيدت هذا الوصل - وذكره الشيخ - غفوت غفوة فرأيت في المبشرة يتلى عليّ ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾. (ف ح٣/ ٣٦٨)

السجـــود:

رأيت عيناً من لبن حليب، ما رأيت لبناً مثله في البياض والطيب في جرمه، دخلت فيه حتى بلغ ثدييّ وهو يتدفق، فتعجبت لذلك، وسمعت كلاماً غريباً إلهياً يقول: من سجد لغير الله عن أمر الله، قربة إلى الله طاعة لله، فقد سعد ونجا[1]، ومن سجد لغير الله عن غير أمر الله، قربة إلى الله، فقد شقي[2]. (ف ح٣/ ٣٦٧)

سر حذف واو العطف:

لقد رأيت في هذا الوصل مشهداً هالني في الواقعة، وتليت عليّ سورة الواقعة بلسان امرأة من صالحات المؤمنات، عرضاً عليّ، فكان من صورة ما تلته ﴿ثلة من الأولين ثلة من الآخرين﴾ بحذف واو العطف، ولم يكن عندي من ذلك سر قبل هذا، فرددت عليها لتقرأ ذلك بحرف الواو فلم تفعل، فرجعت إلى نفسي وعلمت ما نبهني الحق به في ذلك الحذف

---

(١) قال تعالى للملائكة ﴿إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ وسجود يعقوب وأولاده ليوسف عليهم السلام.

(٢) قال المشركون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

من الاقتطاع بين العالم، فإذا جاء بالواو راعى ما يقع فيه الاشتراك في الصورة الظاهرة والمفهوم الأول، وإذا أزال الواو راعى ما يقع به التمييز والانفراد الذي به حقيقة ذلك الشيء، لأنه لا حقيقة له إلا بما يتميز به، فعلمت ما أراد بحذف الواو مَنْ نطَقها بذلك، وهو الله. (ف ج٣/ ٣٨٦)

القيوميـــة :

في ليلة تقييدي هذا الوجه في باب حضرة القيومية، أريت في النوم ورقة زنجارية اللون، جاءت إليّ من الحق، مكتوبة ظهراً وبطناً بخط خفي، لا يظهر لكل أحد، فقرأته في النوم لضوء القمر، فكان فيه نظماً ونثراً، واستيقظت قبل أن أتم قراءته، فما رأيت أعجب منه ولا أغمض في معانيه، لا يكاد يفهم، فكان مما عقلت من نظمه ما أذكره، وكان في حق غيري، كذا قرر لي في النوم، وذكر لي الشخص الذي كان في حقه فعرفته، وكأني في أرض الحجاز في برية ينبع بين مكة والمدينة :

إذا دل أمـر الله في كل حالـة	على العزة العظمى فما ينفع الجحد
وجـاء كتـاب الله يخبر أنـه	من الله تحقيقـاً فذلكم القصـد
ولله عين الأمـر من قبـل إذ أتـى	إليّ بما يجريـه فيـه ومـن بعـد
فسبحـان مَنْ حيي الفؤاد بذكـره	فكـان له الشكـر المنـزه والحمـد
إذا كان عبـدي هكـذا كنت عينه[1]	وإن لم يكـن فالعبـد عبـدك ياعبـد[2]

وأما النثر فأنسيته لما استيقظت، إلا أني أعرف أنه كان توقيع من الحق لي بأمور أنتفع بها، هذا جل الأمر، وهي في خاطري مصورة من أسباب الدنيا يتسع فيها رزق الله، ويشكر الله تعالى من كان ذلك على يده ويثبته، والله على ما نقول وكيل. (ف ج٤/ ٢٩٢)

الاعتماد على الله تعالى :

عند تقييدي وجه الاعتماد على الله لا على الأسباب، وعدم الركون إليها بالقلب

---

(١) يشير إلى ما جاء في الحديث «فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به».

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ «تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة. . .» الحديث، فكل مخلوق مَلَكَك فأنت عبد له، والكل عبيد الله.

واطمئنان النفس، نمت ثم رجعت إلى نفسي وأنا أنشد هذين البيتين، لم أكن أعرفها قبل ذلك:

لا تعتمد إلا على الله   فكل أمر بيد الله
وهذه الأسباب حجّابه   فلا تكن إلا مع الله

(ف ح٤/ ٤٥٨)

أصل كل شيء آدمه:

لقد أراني الحق تعالى فيما يراه النائم، وأنا طائف بالكعبة، مع قوم من الناس لا أعرفهم بوجوههم، فأنشدونا بيتين، ثبت عليّ البيت الواحد ومضى عني الآخر، فكان الذي ثبت عليّ من ذلك.

لقد طفنا كما طفتم سنينا   بهذا البيت طراً أجمعينا

وخرج عني البيت الآخر، فتعجبت من ذلك، فقال لي واحد منهم، وتسمى لي باسم لا أعرف ذلك الاسم، ثم قال لي: أنا من أجدادك. قلت له: كم لك منذ مت؟ فقال لي: بضع وأربعون ألف سنة، فقلت له: فما لآدم هذا القدر من السنين، فقال لي: عن أي آدم تقول، عن هذا الأقرب إليك أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً عن رسول الله ﷺ وأن الله خلق مائة ألف آدم، فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك، والتاريخ في ذلك مجهول[1] مع حدوث العالم بلا شك، فإن العالم لا تصح له رتبة القِدَم. (ف ح٣/ ٥٤٩)

وقوع شدة بالناس:

ولقد رأيت هذه الليلة في واقعتي ما شيب سالفتي، وقد نظمت ما رأيته، وفي هذا الباب كتبته، وفي النوم قلته:

لابد من خوف ومن شدة   لابد من جور ومن عسف
في حلب من حكم جائرٍ   في حكمه يمشي إلى خلف
ينزل من قلعتها راجلاً   من غير نسك لا ولا عطف

---

(١) راجع كتابنا الخيال ـ اجتماع الشيخ بإدريس عليه السلام ص ١٠٠.

كأنــه الحجـاج في حكمـه — يحكـم بالقهـر وبـالعنف
يجور في الخلق بأحكـامـه — يفـرق الإلـف من الإلـف
قد نزع الـرحمن من قلبـه — رحمتـه وقـدر ذا يكـفـي
في صورة الحجـاج أبصرته — لا بل هو الحجاج فاستكف
بالـواحـد الـرحمن من شره — ما خاب مَنْ بالله يسـتكفي

لكن عسى الله أن يجعل سطوته على أهل العناد من أهل الإلحاد، وكانت عليه غفارة حمراء وهو يتمايل تمايل سكرى، فأرجو لكونه فاضلاً أن يكون عادلاً، فإنه نزل راجلاً، وبيده عصاه، يستعين بها على من خالف أمر الله تعالى وعصاه، جعله الله تأويلاً صادقاً، ولسان حق ناطقاً، فتعوذنا حين انتبهنا من شر ما رأينا، كما أمرنا ﷺ ونفلنا، وتحولنا كما عَلَّم.

(ف ح ٤/ ٣٥٤)

إلهيــات:

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه في النوم في الإلهيات:

غزال من الفـردوس بات معانقي — فقـبـلني وداً فتـم مرادي
له زينـة الأسـمـاء أسماء خالقي — عليـه من الأثـواب ثوب حدادِ
من أجل الذي قد بات فيه مهيّماً — ضحـوكـاً للقـاء صحيح ودادِ
تراه مع الأنـفـاس يتلو كتـابـه — بعـبرة محزونٍ حليـف سهـادِ
يقـوم بأمـر الله إذ قال قم به — بطاعـة مهـديٍّ وسـنـة هادي

(الديوان/ ٢٣٤)

وقال في الإلهيات أيضاً في النوم:

الأمـر أعـظم أن يحظى به أحـد — فما له في وجـود الـعـلم مستنـد
جاء الحـديث فما تدرى حقيقتـه — ولا يُعـيّـنـهـا فكـر ولا سنـد
والـكشف ليس له فيهـا مداخلة — لأنـه بوجـود الـصـور ينفـرد
أمـر الإلـه كما قد جاء واحـدة — والـعـبـد من سره بالحق متحـد
فما ترى جسـداً إلا ويـعـقبـه — إذا مضى عينـه من عينـه جسد

(الديوان/ ٢٣٤)

موعظـــة :

وقال رضي الله عنه في زلزلة رآها في النوم:

رأيت زلـزلـة عظمى منبهـة	على أمـور عظام كدت أخفيهـا
في برزخ من برازخ الكرى ظهرت	آثـارهـا وهـو حالي قد بدا فيها
بدا لشـاهـد عيني عين صورتـه	تراه ياليت شعـري هل يوافيهـا
قالت خواطـرنـا من فوق أرقعة	تحريك أفـلاكنا منّا يكـافيها
لو كان يصفـو لنـا في حال رؤيتنا	إيـاهـا خاطـرنـا كنّا نصـافيها
لكنهـا مرضـت نفسي لرؤيتهـا	وقـد سألت إلهي أن يعـافيهـا
شافهتهـا ومـرادي أن أذكّـرهـا	يا لها عنـدنـا من في إلى فيهـا
تحرك الجـسـم مني في تحركـهـا	بـسجـدةٍ لأمـور لا تنـافيـهـا
وكـان فيـها بدا مني لما قصـدت	من المـواعظ والـذكـرى تلافيهـا

(ديوان/ ٢٣٧)

حسن الرجاء بالله :

رأيت ليلة الجمعة سابع وعشرى صفر، سنة إحدى وثلاثين وستمائة في النوم، كأني واقف على قبر دائر، وورقة في جدار كان للقبر، فيها مكتوب ـ على لسان صاحب القبر ـ بكتابة إلهية بيتان، من قصيدة كنت أحفظها لبعضهم وهما:

حاسـبـونـا فدقـقـوا	قيـدونـا فأوثـقـوا
نظروا في صحـيـفـتـنـا	ثم مَنّـوا فأعـتـقـوا

والناس وقوف على القبر يبكون بكاء فرح بالله، لما مَنّ به على صاحب ذلك القبر، فكنت أقول: لو قال هذا الشاعر مثل ما وقع لي الآن:

حاسـبـونـا ما دقـقـوا	قيـدونـا ما أوثـقـوا
نظروا في ذنـوبـنـا	ثم مَنُّـوا فأطـلقـوا
إن ظني وخـاطـري	في إلهـي محقـق
أن من مات محـسـنـاً	ليس بالـنـار يحرق

فاستيقظت فيا فرحت بشيء فرحي بهذه المبشرة. (الديوان/ ٢٧٧)

حشر الأجسام على غير مثال سبق :

يقول الشيخ رضي الله عنه: أكثر هذه القصيدة وقع مني في النوم، وأتممتها في اليقظة:

قد صح عندي خبر	وجل عندي من خبر
ليس لنا إعادة	فيما انقضى وما غبر
من صور معلومة	محسوسة من البشر
لأنها على مزا	ج كله مزاج شر
وإنما إعادتي	في مثلها من الصور
على مزاج صالح	ما فيه شيء من ضرر
من صور مشهودة	فيهن نحيا ونسر
في فرش مرفوعة	منضودة وفي سرر
ملكاً إماماً سيداً	مدبراً لمن نظر
وهي الذوات عينها	المودعات في الحفر
لم تلحق الذات إذا	نظرت فيها من غير
وإنما مزاجها	من يستبره لم يحر
لله في هذا الذي	أقوله معنى وسر
يَفْرَق منه ذو حجى	إذا به الحق ظهر
فالحمد لله الذي	أشهدني هذا الخبر
في نومنا وعندنا	محمد إسفنديبر
وامرأة مؤمنة	الوجهُ منها كالقمر
ياحسنها من غادةٍ	فتانةٍ لمن نظر
فديتها معشوقة	بالسمع مني والبصر
في صورة الحق أتت	مع الدلال والخفر
يستصرخ الشخص الذي	أراد أن يُعطى الوطر

منهـا فلم يحفـل بـه ... ولا على النيـل قدر
ما يفعـل المسكين إذ ... لم يُنجِـه منهـا الحذر
قالـت لـه انـزل إلى ... مَنْ قد نهانـا وأمر
إلى هنـا كان الـذي ... أُريتـه حتى السحـر

(الديوان/ ٣٠٩)

تجليات إلهية :

وقال أيضاً :

رأيـت جاريـة في الـنـوم عاطـلةً[1] ... حسنـاء ليس لها أخت من البشر
ترنـو إليَّ بعيـن كلهـا حـور ... فمتُّ وجـداً بها من تلـك الحـور
لما نظرت إليـهـا وهـي تنظرني ... فشبـت حبـاً لها من لذة النـظر
وقلت للنفس يانفس انظري عجباً ... هذا الخيـال فكيف الحس يابصري
انـظر إلى لطفـه وحسـن صورتـه ... بالفـنـاء لا يزال من حضرة الـفكـر
ولـتـعـتـبره وجـوداً لم يقـم عدم ... به ولا ندم من صورة البشر
فإنها جنـة المأوى لسـاكـنـهـا ... وجنـة الخلد لا من جنـة النـظر
وتـلك جنـة عدن والـكثيـب بها ... مع الـذي يحتـوي عليـه من صور
هذي المعـاني التي الأفكـار تطلبهـا ... وهي التي نال أهـل الكشف بالنظر
فأيـن غايتـهـم فيـما ذكـرت لكـم ... هذي الـروائح من مسك لهم عطرِ

(الديوان/ ٣١٠)

وقال الشيخ قدس الله سره العزيز قصيدة، جُلُّها في المنام، لحقيقة إلهية تجلت له في نومه، وكانت له بنت ماتت فأنزلها بيده في لحدها، فسئل في النوم عن ذلك فقال:

لحدت بـنـتي بيـدي ... لأنها ذو جسـدي
أنـا على حكـم الـنـوى ... فليس شيء بيـدي

---

(١) عَطِلت المرأة بكسر الطاء إذا لم يكن لها حُلِيّ.

مقيد في وقتنا ما بين أمسٍ وغد
جسمي لجين خالص حقيقي من عسجد
كالقوس نشئي ولذا عين قوامي خَيِدي
يقول ربي إنه خلقني في كَبَد
فكيف أرجو راحةً ما دمت في ذا البلد
لولاه ما كنت أنا ذا والد وولد
ولم يكن لي كفؤاً كخالقي من أحد
فالنعت نعت واحد في عين ذات العدد
وإنني لخالقي في خلقنا كالعدد
فحُلْ إلهي بيننا في الكون لا المعتقد
بنشأة ثابتة يصح منها سندي
في أنني مثلكمو وأنت لي مستندي
بالفرض لا أني أنا مثلٌ وهذا رشدي
نفيت عني المثل في شورى[1] وذا معتقدي
وجنتي عالية مع الحسان الخرد [2]
وإنما قال به كحالنا في المقصد
طبيعة الكون له أهل وعين الأحد
بعل لها فاجتمعا على وجودي وقد
ما قلت ذا عن نظرٍ قد قام بي في خلدي
وإنما قرره عندي رسول الصمد
فكان يملي وأنا أكتب عنه بيدي

---

(١) يعني قوله تعالى في سورة الشورى ﴿ليس كمثله شيء﴾ فالكاف كاف الصفة هنا.

(٢) الخرد: جمع خرود وهي البكر لم تمس، الخفرة الطويلة السكوت، الخافضة الصوت المستترة.

وهكذا الأمر ولا يعرفه من أحد
غير إمام سابق بالخير أو مقتصد
والغير لا يعرفه في الحال بل في الأبد
وكل فرع راجع لأصله لم يزد

(الديوان/ ٣٤٠)

وقال أيضاً في مبشرة رآها، قال أول بيت من هذه القصيدة في النوم، ولما استيقظ وجد لسانه ينطق بالأبيات كلها:

بنفسي الذي يلقى المُحِقُّ وما لقي ولم يبق منه في الشهود وما بقي
لو ان الذي عندي يكون بخلقه من العلم بي لم يبق في الملك من بقي
لقد نظرت عيني إليه وإنَّه ليلقى الذي قد قيل لي إنه لقي
ألا ليت شعري هل أرى اليوم من فتى صحيح الدعاوى بالصواب مُنَطَّق
رحيم رؤوف عاطف متعطف ولوع بذكراه على الخلق مشفق
بلفظ تراه في الحقيقة معجزاً لزُور الذي يأتي به الخصم مزهق
يناضل عن أصل الوجود بنفسه يباري رياح الجود جوداً ويتقي
حذاراً عليه أن يجوز مقامه سواه بتأييد وغيرة مشفق
لقد جهل الأقوام قولي ومقصدي ولم يدر ما قلناه غير محقق
عساه يرى في جَوّه من قريبة فليس يرى التقييد إلا بمطلق
لقد رام أمراً ليس في الكون عينه بنقص وتقريب كسير المحقق
ولما رأى أن لا وصول لما ابتغى وأن الذي قد رام غير محقق
أتى لفظ لا أحصي[1] يجر ذيوله بقوة قهار بعجز مصدق
لقد صار ذا علم لما كان جاهلاً به وهو نفي العلم فانظر وحقق

(الديوان/ ٤٢٠)

---

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

شرح الصلاة الإبراهيمية في الواقعة:

قال تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ فسأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: قولوا «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، فهذا يدلك على اختلاف الصلاة الإلهية، لاختلاف أحوال المصلى عليهم ومقاماتهم عند الله، ويظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله ﷺ إذ طلب أن يصلى عليه مثل الصلاة على إبراهيم، فاعلم أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ، ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن، وجاء الإعلام في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه، بزيادة الصلاة على الآل، فما طلب ﷺ الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانهما، فإن العناية برسول الله ﷺ أتم، إذ قد خص بأمور لم يخص بها نبي قبله، لا إبراهيم ولا غيره، وذلك من صلاته تعالى عليه، فكيف يطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه؟ وإنما المراد من ذلك ما أبينه إن شاء الله، وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه، ومن حيث ما يضاف إليه غيره، فكانت الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره، هي الصلاة من حيث المجموع، إذ للمجموع حكم ليس للواحد إذا انفرد، واعلم أن آل الرجل في لغة العرب، هم خاصته الأقربون إليه، وخاصة الأنبياء وآلهم، هم الصالحون العلماء بالله المؤمنون، وقد علمنا أن إبراهيم كان من آله أنبياء ورسل لله، ومرتبة النبوة والرسالة قد ارتفعت في الشاهد في الدنيا، فلا يكون بعد رسول الله ﷺ في أمته، نبي يشرع الله له خلاف شرع محمد ﷺ ولا رسول، وما منع المرتبة ولا حجرها من حيث لا تشريع، ولاسيما وقد قال ﷺ فيمن حفظ القرآن، إن النبوة أدرجت بين جنبيه، أو كما قال ﷺ، وقال في المبشرات: إنها جزء من أجزاء النبوة، فوصف بعض أمته بأنهم قد حصل لهم المقام، وإن لم يكونوا على شرع يخالف شرعه، وقد علمنا بما قال لنا ﷺ، أن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً عدلاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ولا نشك قطعاً أنه رسول الله ونبيه، وهو ينزل، فله عليه السلام مرتبة النبوة بلا شك عند الله، وما له مرتبة التشريع عند

نزوله، فعلمنا بقوله ﷺ: «إنه لا نبي بعدي ولا رسول، وإن النبوة قد انقطعت والرسالة» إنما يريد بهما التشريع، فلما كانت النبوة أشرف مرتبة وأكملها، ينتهي إليها من اصطفاه الله من عباده، علمنا أن التشريع في النبوة أمر عارض، بكون عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً من غير تشريع، وهو نبي بلا شك، فخفيت مرتبة النبوة في الخلق بانقطاع التشريع، ومعلوم أن آل إبراهيم من النبيين والرسل الذين كانوا بعده، مثل إسحق ويعقوب ويوسف ومن انتسل منهم، من الأنبياء والرسل بالشرائع الظاهرة، الدالة على أن لهم مرتبة النبوة عند الله، فأراد رسول الله ﷺ أن يلحق أمته، وهم آله العلماء الصالحون، بمرتبة النبوة عند الله وإن لم يشرعوا، ولكن أبقى لهم من شرعه ضرباً من التشريع، فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» أي صل عليه من حيث ما له آل، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، أي من حيث أنك أعطيت آل إبراهيم النبوة تشريفاً لإبراهيم، فظهرت نبوتهم بالتشريع، وقد قضيت أن لا شرع بعدي، فصل عليّ وعلى آلي بأن تجعل لهم مرتبة النبوة عندك وإن لم يشرعوا، فكان من كمال رسول الله ﷺ، أن ألحق آله بالأنبياء في المرتبة، وزاد على إبراهيم بأن شرعه لا ينسخ، وبعض شرع إبراهيم ومن بعده، نسخت الشرائع بعضها بعضاً، وما علّمنا رسول الله ﷺ الصلاة عليه على هذه الصورة، إلا بوحي من الله وبما أراه الله، وأن الدعوة في ذلك مجابة، فقطعنا أن في هذه الأمة من لحقت درجته درجة الأنبياء في النبوة عند الله، لا في التشريع، ولهذا بيّن رسول الله ﷺ وأكد بقوله: «فلا رسول بعدي ولا نبي» فأكد بالرسالة من أجل التشريع، فأكرم الله رسوله ﷺ بأن جعل آله شهداء على أمم الأنبياء، كما جعل الأنبياء شهداء على أممهم، ثم أنه خص هذه الأمة أعني علماءها، بأن شرع لهم الاجتهاد في الأحكام، وقرر حكم ما أداه إليه اجتهادهم، وتعبدهم به وتعبد من قلدهم به، كما كان حكم الشرائع للأنبياء ومقلديهم، ولم يكن مثل هذا لأمة نبي ما لم يكن نبياً بوحي منزل، فجعل الله وحي علماء هذه الأمة في اجتهادهم، كما قال لنبيه ﷺ ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ فالمجتهد ما حكم إلا بما أراه الله في اجتهاده، فهذه نفحات من نفحات التشريع ما هو عين التشريع، فلآل محمد ﷺ وهم المؤمنون من أمته العلماء، مرتبة النبوة عند الله، تظهر في الآخرة وما لها حكم في الدنيا، إلا هذا القدر من

الاجتهاد المشروع لهم، فلم يجتهدوا في الدين والأحكام إلا بأمر مشروع من عند الله، فإن اتفق أن يكون أحد من أهل البيت بهذه المثابة، من العلم والاجتهاد، ولهم هذه المرتبة كالحسن والحسين وجعفر وغيرهم من أهل البيت، فقد جمعوا بين الأهل والآل، فلا تتخيل أن آل محمد ﷺ هم أهل بيته خاصة، ليس هذا عند العرب، وقد قال تعالى ﴿أدخلوا آل فرعون﴾ يريد خاصته، فإن الآل لا يضاف بهذه الصفة إلا للكبير القدر في الدنيا والآخرة، فلهذا قيل لنا: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم» أي من حيث ما ذكرناه، لا من حيث أعيانهما خاصة دون المجموع، فهي صلاة من حيث المجموع، وذكرناه لأنه تقدم بالزمان على رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة، ومن كان بهذه المثابة عند الله، كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانهما؟ فلم يبق إلا ما ذكرناه، وهذه المسألة هي عن واقعة إلهية من وقائعنا، فلله الحمد والمنة، وهذه مسألة عظيمة الخطر جليلة القدر، لم نرَ أحداً ممن تقدمنا تعرض لها، ولا قال فيها مثل ما وقع لنا في هذه الواقعة، إلا إن كان وما وصل إلينا، فإن لله في عباده أخفياء لا يعرفهم سواه، فصلاة الحق على عباده باختلاف أحوالهم، فالله يجعلنا من أجلهم عنده قدراً، ولا يحول بيننا وبين عبوديتنا، وتلخيص ما ذكرناه هو أن يقول المصلي: اللهم صل على محمد بأن تجعل آله من أمته، كما صليت على آل إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلاً في المرتبة عندك، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، بما أعطيتهم من التشريع والوحي، فأعطاهم الحديث فمنهم محدثون[1]، وشرع لهم الاجتهاد وقرره حكماً شرعياً، فاشبهت الأنبياء في ذلك. (ف ح ١/ ٥٤٤)

مبشرة تحرض على الرغبة في دعاء الصالحين رضي الله عنهم:

دخلت بإشبيلية على الشيخ الورع الصالح، أبي عمران موسى بن عمران المرتلي، فأخبرته بأمر سر به واستبشر، فقال لي: بشرك بالجنة كما بشرتني، فلم تمض أيام حتى رأيت بعض أصحابنا في المنام، ممن كان قد مات، فقلت له: كيف حالك؟ فذكر خيراً في كلام

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه منهم.

طويل وقصة طويلة، ثم قال لي: وقد بشرني الله بأنك صاحبي في الجنة، فقلت له: هذا في المنام فهات الدليل على قولك، فقال: نعم، إذا كان في غد عند صلاة الظهر، يطلبك السلطان ليحبسك، فانظر لنفسك، فلما أصبح وما ثَمَّ أمر يوجب عندي شيئاً من ذلك، فلما صليت وإذا بالطلب من السلطان، فقلت: صدقت الرؤيا؛ فاختفيت خمسة عشر يوماً حتى ارتفع ذلك الطلب. (كتاب المبشرات)

تفسير للقرآن في مبشرة: قصة هاروت وماروت:

ترجمتي على مسألة هاروت وماروت، علمتها في النوم في رؤيا رأيتها، فوقفت عندها، وجاءت الترجمة عن الكلام مطابقة له ـ وهذه هي الترجمة:

قال تعالى ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا، يعلمون الناس السحر، وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾.

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ من السحر والشعوذة ﴿على ملك سليمان﴾ على عهد سليمان أي في زمن ملكه ﴿وما كفر سليمان﴾ أي لم يكن علمه سحراً ولا شعوذة، بل علمه حق من عند الله، ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بما دونوه من السحر ﴿يعلمون الناس السحر﴾ وخلطوه بـ ﴿ما أنزل على الملكين﴾ الأمرين معاً ممزوجاً ﴿ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة﴾ فإذا أتى السائل إلى الملكين ليعلماه، يقولان له ﴿إنما نحن فتنة﴾ أي إنما أنزلنا للتعليم اختباراً، فإن الشياطين يعلمون الناس السحر ممزوجاً بما أنزل علينا ﴿فلا تكفر﴾ أي لا تأخذ من الشياطين، فإنك لا تفرق بين الحق من ذلك والباطل، ثم قال ﴿فيتعلمون﴾ يعني الناس ﴿منهما﴾ أي من العِلْمين علم السحر والعلم الذي أنزل على الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء﴾ الرجل ﴿وزوجه﴾ أي امرأته، وإنما قبله منهم المتعلم لأمرين، الواحد لامتزاجه بالحق الذي أنزل على الملكين، فإن الشياطين تتصور في صور علمائهم وتقول لهم: هذا هو الذي أنزل على الملكين، فيصدقونهم فيلقون إليهم ما

يضرهم ولا ينفعهم من علم السحر، وأما من اقتصر على الملكين ولم يتعدهما، فما علم إلا حقاً منزلاً من عند الله، وما نزل من عند الله لا يكون كفراً وضلالاً، وهو قوله: ﴿وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله﴾، ﴿ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ وكل لفظة كفر في هذه القصة قد تكون ضد الإيمان، وقد يكون بمعنى ستر الحق، فإن الكفر الستر في اللغة، وكلا الوجهين في الترجمة عن ذلك صالح، ثم قال: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه﴾ يناقض قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ بعد هذا فيما يظهر، فقوله ﴿ولقد علموا﴾ يعود الضمير على من سأل الملكين، فقالا له لا تكفر ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ فإن من كفر لا خلاق له في الآخرة، فكأنهم قالوا: نحن نتعلم منهم ذلك ولا نعمل به، فإن العلم بالشيء يورث التوقي مما فيه من الضرر لمن جهله، فلما علموه قامت لهم الأغراض وطلبُ الرئاسة، وتحصيلُ ما يشتهون بهذا العلم، فعملوا به فكفروا، فهو قوله ﴿ولبئس ما شروا به﴾ أي باعوا به ﴿أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ أن ذلك يقودهم إلى العمل، لما في طيه مما في علمه مِنْ تَقَدُّمِهم على أبناء جنسهم، وقد بان المقصود من الآية على غاية من الاختصار، ونزهنا الملائكة، فإن الله قد أثنى عليهم، وما بلغنا قط عن الله تعالى أنه جرح أحداً من الملائكة ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ قد يعود الضمير في آمنوا على الذين سألوا الملكين وما سمعوا منهم، ولا اتقوا الله حين قالوا لمن سألهم ﴿لا تكفر﴾ باتباع الشياطين، لأنهم خلطوا الحق بالباطل، فقال الله فيهم ﴿ولو أنهم آمنوا﴾ أي صدقوا الملكين ﴿واتقوا﴾ واتخذوا ما قالاه لهم وقاية ﴿لمثوبة﴾ لحصلت لهم من ذلك مثوبة من الله ﴿من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾ وقد يحتمل أن يعود الضمير على اليهود في الإيمان بمحمد ﷺ

(إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن)

رؤية الشيخ الحق في المنام

أمر الحق الشيخ بالنصيحة :

الله سبحانه قد أمرني على لسان نبيه ﷺ، بالنصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، خطاباً عاماً، ثم خاطبني على الخصوص من غير واسطة غير مرة، بمكة وبدمشق، فقال لي : «انصح عبادي» في مبشرة أُريتها، فتعين عليّ الأمر أكثر مما تعين على غيري، فإني رأيت وأنا بحرم مكة في المنام، كأن القيامة قد قامت، وكأني واقف بين يدي ربي مطرقاً، خائفاً من عتابه إياي من أجل تفريطي، فكان يقول لي جل جلاله : «ياعبدي لا تخف، فإني لا أطلب منك عملاً إلا أن تنصح عبادي، فانصح عبادي» ـ وكنت أرشد الناس إلى الطريق القويم، فلما رأيت الداخل إلى طريق الله عزيزاً، تكاسلت وعزمت تلك الليلة أن اشتغل بنفسي، وأترك الخلق وما هم عليه، فرأيت هذه الرؤية، فأصبحت وقعدت للناس أبين لهم الطريق الواضح، والآفات القاطعة لكل صنف عنه، من الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فكل قام عليّ وسعى في هلاكي، فنصر الله عليهم وعصم فضلاً منه ورحمة.

(ف ح١/ ٣٣٤، ٦٥٨ ـ كتاب المبشرات)

ولذلك يقول رضي الله عنه في ديوانه :

فمن يرد يمتاز في أهله	فليمش بالحال على إثري
فإنه الحق الذي قال لي	انصح عبادي وامتثل أمري
بمكة في حالة تقتضي	في وقتها القبض على العسر
وفي دمشق قال لي مثله	في مرة أخرى على سري
فقلت يارب أعنّي على	ما قلت لي فقال بالنصر

فلم يزل في نصرتي قائماً	في كل حال دائم البِشْرِ
وقال لي تمم ما بدأتم به	من المفتوحات على قدر
على لسان المصطفى أحمد	ولم يشب عني في العذر
فإن فيها سبباً مقلقاً	يضيق من إيراده صدري
فقال لي لا تلتفت إنني	مزيل ما تخشى من الضر
أيدك الله فكن آمناً	ولا يكن قلبك في ذعر
فقمت بالعلم لهم مفصحاً	مبيناً في السر والجهر
أورده من غير كيل له	كأنما آخذ من بحر

رأيت رب العزة في المنام - قبل أن يظهر عني شيء من الكلام - وهو يقول: «ياعبدي انصح عبادي» فتكلمت حينئذ، وألفت في حقائق النصح أموراً كلية يعم نفعها، ويأخذ كل قابل قسطه منها، ثم أظهرتها ولم أظهر اسمي عليها، وقلت: إنما المقصود انتفاع الناس، سواء عرفوا المتكلم أو لم يعرف، فلما انتشر ذلك، نُسِبَ الكلام للغزالي رحمه الله، وصار يُلْعَن من بعض الناس بسببها، فلما بلغني ذلك، قلت: الآن تعين إظهار اسمي عليها، لأكون وقاية لرجل مسلم يُظْلَم بسببي، فأظهرت اسمي عليها بعد ذلك، فاستقبلني الناس بسهام أغراضهم، وظنوا فيّ الظنون، وأنا صابر عليهم، داعٍ لهم، ناظراً إلى مراد الحق سبحانه من ذلك كله، فرأيت الحق سبحانه بعد ذلك في المنام، فقلت: إلهي وسيدي، أمرتني أن أنصح عبادك فامتثلت، ونصحت ورجوت نفعهم بذلك، وقد رأيت الضرر سبق إلى كثير منهم، فسمعته سبحانه يقول ﴿وكذب به قومك وهو الحق، قل لست عليكم بوكيل، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون﴾ فاسترسلت على الأصل الذي أمرت به، وعلمت أن الله تعالى ينفع بذلك من يشاء، ويصرف عن الانتفاع من يشاء، هذا في حكم العموم، وأما الخصوص، فإن الله أسمعهم النصح، وأعانهم على الترقي به وتمام الفتح.

(كتاب النجاة عن حجب الاشتباه)

ويقول رضي الله عنه في كتابه مواقع النجوم، الذي ألفه بالمرية سنة خمسة وتسعين وخمسمائة: إنه يغني عن الأستاذ، بل الأستاذ محتاج إليه، فإن الأستاذين منهم العالي

والأعلى، وهذا الكتاب على أعلى مقام يكون الأستاذ عليه، ليس وراءه مقام في هذه الشريعة التي تعبدنا بها، فمن حصل لديه، فليعتمد بتوفيق الله عليه، فإنه عظيم المنفعة، وهذا من أكبر نصيحة نصحتك بها، والله الموفق وبيده الهداية، وليس لنا من الأمر شيء.

مبشرة في كرم الحق وحسن الظن به:

لقد أشهدني الحق في سري في واقعة، وقال لي: بلغ عبادي ما عاينته من كرمي بالمؤمن، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها، والسيئة لا يقاوم فعلها الإيمان بها أنها سيئة، فما لعبادي يقنطون من رحمتي، ورحمتي وسعت كل شيء، وأنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي خيراً. (ف ح١/ ٧٠٨)

اتخاذ الحق وكيلا:

لقد رأيت الحق سبحانه وتعالى في النوم، فقال لي: «وكلني في أمورك» فوكلته، فما رأيت إلا عصمة محضة، لله الحمد على ذلك، وخاطبني الحق في سري «من اتخذني وكيلاً فقد ولاني، ومن ولاني فله مطالبتي، وعليّ إقامة الحساب فيما ولاني فيه». (ف ح٢/ ٢٦٤، ٣٧١)

تسمية الحق للشيخ بممسوك الدار:

في واقعة، رأيت الحق فيها يخاطبني بمعنى ما في هذه الأبيات، وسماني باسم، ما سمعت به قط إلا منه تعالى في تلك الواقعة، وهو «نرديار» فسألته تعالى عن تفسير هذا اللفظ، فقال: ممسوك الدار. (ف ح٢/ ٣٢١)

مسكتك في داري لإظهار صورتي ... فسبحانكم مجلى وسبحان سبحانا
فما أبصرت عيناك مثلي كاملاً ... ولا أبصرت عيني كمثلك إنساناً
فلم يبق في الإمكان أكمل منكمو ... نصبت على هذا من الشرع برهانا
فأي كمال كان لم يك غيركم ... على كل وجه كان ذلك ما كانا
ظهرت إلى خلقي بصورة آدم ... وقررت هذا في الشرائع إيماناً
وسميته لما تجلى بصورتي ... إلى ناظري حقاً وإن كان إنسانا
فقل فيه ما تهواه إن شئت إنه ... ليقبله عيناً وإن كان أكواناً

فلو كان في الإمكان أكمل منكمو   لكان وجود النقص فيَّ إذا كانا

لأنك مخصوص بصورة حضرتي   وأكمل منها ما يكون فقد بانا

فماثل وجودي فالتقابل حاصل   فزن ذاتكم إني وضعتك ميزانا

تجد علم ما قد قلت فيك مسطراً   ولا أحداً أوجدته منك ريانا

ظهرتَ لنا مجلى فعاينت صورتي   وعاينتُ فيك الكون رمزاً وتبيانا

وساررتكم لما رأيت سراركم   وأعلنت قولي إذ تجليت إحسانا

وما أنت ذاتي لا ولا أنا ذاتكم   فإن كنت لي عيناً فلا تبده الآنا

فأخسرنا من كان يعلن سره   وأربحنا من كان يخفيه كتمانا

فمن كان ذا كتم لسري وغيرة   سيلقى غداً روحاً لديّ وريحانا

إذا كنت لي عيناً أكون لكم يداً[1]   وأظهركم بالحال سراً وإعلانا

وصيرت قلبي للتجلي منصة   ومهدته حباً لخيلك ميدانا

وأملأته من كل شهم غشمشم[2]   لدعواك فرساناً تجول وركبانا

وجئتك بالأسما يقدِّم جمعها   من أسمائه الحسنى خبيراً ومحسانا

وأنزلتها تبغي الفنا بفنائكم   وأرسلتها عيناً مَعِيناً وطوفانا

وهبتك ياعبدي من أسماء ذاتكم   ملابس أعياد ضروباً وألوانا

فإن كنت لي بي كنتُ أنت[1] ولا تقل   أنا أنت بل كن في الخليقة رحمانا

(ف ح١/ ٦٤٠)

---

(١) يشير الشيخ رضي الله عنه إلى مقام الحب، وهو على ضربين، الأول قوله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إلى عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه» فهي محبة الفرائض ويكون العبد فيها عيناً للحق، والثاني قوله تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها» ـ الحديث ـ فهي محبة النوافل.

(٢) الغشمشم: ذو الجرأة والمضاء.

تجلي الحق في الاسم الظاهر والاسم الباطن:

وفي ليلة تقييدي لهذا الفصل، وهي الليلة الرابعة من شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وستمائة، الموافقة ليلة الأربعاء الذي هو الموفي عشرين من شباط، رأيت في الواقعة ظاهر الهوية الإلهية وباطنها، شهوداً عققاً، ما رأيتها قبل ذلك في مشهد من مشاهدنا، فحصل لي ـ من مشاهدة ذلك ـ من العلم واللذة والابتهاج، ما لا يعرفه إلا من ذاقه، فما كان أحسنها من واقعة، ليس لوقعتها كاذبة، خافضة رافعة، وصورتها مثالاً في الهامش كما هو، فمن صوَّره لا يبدله، والشكل نور أبيض في بساط أحمر، له نور أيضاً في طبقات أربع صوره، وأيضاً روحها في ذلك البساط في الطرف الآخر في طبقات أربع، فمجموع الهوية ثمانية، في طرفين مختلفين من بساط واحد، فأطراف البساط ما هي البساط ولا غير البساط، فما رأيت ولا علمت ولا تخيلت، ولا خطر على قلبي صورة ما رأيت من هذه الهوية، ثم إنها لها حركة خفية في ذاتها، أراها وأعلمها من غير نقلة، ولا تغير حال ولا صفة.

(ف ح٢/ ٤٤٩)

ولذلك قال قدس الله سره في رؤيا رأى فيها الحق تعالى، وقد أعطاه كتابه بيمينه، ورآه من الوجه الذي يُعرَف الحق، ومن الوجه الذي لا يعلم، فرآه من الاسم الظاهر والباطن معاً، في صورتين مختلفتين، وأراد أن يسأله في مسألة وهي هذا المعنى الذي تضمنته هذه الأبيات:

حقيقتي أن أكون عبداً ... وحقه أن يكون ربا
إن كان لي في الشهود مثلاً ... كنت له في المثال قلبا
مازال إذ زدت منه بُعداً ... بالوجد يوليني منه قربا
أو كنت ذا لوعة معنًّى ... يكون لي الصادق المحبا

(الديوان/ ٣٨٧)

الروائح عند الحق:

كنت عند موسى بن محمد القباب بالمنارة بحرم مكة بباب الحزورة، وكان يؤذن بها، وكان له طعام يتأذى برائحته كل من شمه، وسمعت في الخبر النبوي: «أن الملائكة تتأذى

مما يتأذى منه بنو آدم» ونهى أن تقرب المساجد برائحة الثوم والبصل والكرات، فبت وأنا عازم أن أقول لذلك الرجل أن يزيل ذلك الطعام من المسجد لأجل الملائكة، فرأيت الحق تعالى في النوم، فقال لي عز وجل: لا تقل له عن الطعام، فإن رائحته عندنا ما هي مثل ما هي عندكم، فلما أصبح جاء على عادته إلينا، فأخبرته بما جرى، فبكى وسجد لله شكراً، ثم قال لي: ياسيدي ومع هذا فالأدب مع الشرع أولى، فأزاله من المسجد رحمه الله.

وذلك مثل ما جاء في الحديث: إن خلوف فم الصائم، أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك. (ف ح١/ ٦٠٣)

تلاوة الحق بعض الآيات للبشرى:

لما أدركتنا الفترة وتحكمت فينا، رأيت الحق في الواقعة، فتلى علينا هذه الآيات ﴿وهو الذي يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته، حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت، فأنزلنا به الماء﴾ الآية، ثم قال: ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه﴾ فعلمت أني المراد بهذه الآية، وقلت: ينبه بما تلاه علينا على التوفيق الأول، الذي هدانا الله به على يد عيسى وموسى ومحمد عليهم السلام ﴿بين يدي رحمته﴾ وهي العناية بنا ﴿حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً﴾ وهو ترادف التوفيق ﴿سقناه لبلد ميت﴾ وهو أنا ﴿فأحيينا به الأرض بعد موتها﴾ وهو ما ظهر علينا من أنوار القبول والعمل الصالح والتعشق به، ثم مثّل فقال ﴿كذلك نخرج الموتىٰ لعلكم تذكرون﴾ يشير بذلك إلى خبر ورد عن النبي ﷺ في البعث، أعني حشر الأجسام، من أن الله يجعل السماء تمطر مثل مني الرجال ـ الحديث ـ ثم قال ﴿والبلد الطيب يخرج نباتـه بإذن ربـه﴾ وليس سوى الموافقة والسمع والطاعة، لطهارة المحل ﴿والذي خبث﴾ وهو الذي غلبت عليه نفسه والطبع، وهو معتنى به في نفس الأمر ﴿لا يخرج إلا نكـداً﴾ مثل قوله: إن لله عباداً يقادون إلى الجنة بالسلاسل، وقوله ﴿ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً﴾ فقلنا: طوعاً ياإلهنا. (ف ح٤/ ١٧٢)

بشارة الحق للشيخ بالإرث النبوي من قوله ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾:

هذه الآية تليت علينا تلاوة تنزل إلهي، من أول السورة إلى قوله ﴿زنيم﴾ عرفنا الحق

في هذه التلاوة المنزلة من عند الله، في المبشرة التي أبقى الله علينا من الوحي النبوي، وراثة نبوية لله الحمد، ورثته فيها من قوله ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ وفي قوله ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ وقوله ﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾ فشكرت الله على ما حققني به من حقائق الورث النبوي، وأرجو أن أكون ممن لا ينطق عن هوى نفسه، جعلنا الله منهم، فإن ذلك هو العصمة الإلهية. (ف ح٤/١٧٨)

وصية من الحق للشيخ الأكبر:

وصية أوصيت بها في مبشرة، أُريتها وسمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة، في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام، من بلة على قدر الكف، كلاماً لا يُكَيَّف، ولا يشبه كلام مخلوق، عين الكلام هو عين الفهم من السامع، فمما فهمت منه «كن سماء وحي، وأرض ينبوع، وجبل تسكين، فإذا تحركت، فلتكن حركة إحياء وسكينة، بتحريك عن وحي سماوي» ثم وقع في نفسي نظم فكنت أنشد:

جعلتَ فيّ الذي جعلتا وقلت لي أنت قد عملتا

وأنت تدري بأن كوني ما فيه غير الذي جعلتا

فكل فعل تراه مني أنت إلهي الذي فعلتا [1]

(ف ح٤/ ٤٨٥)

نصيحة من الحق للشيخ رضي الله عنه:

أُريت في المنام كأن الله يناديني ويقول لي: «ياعبدي إذا أردت أن تكون عندي مقرباً مكرماً منعماً» فأكثر من قولي «رب أرني أنظر إليك» كرر ذلك علي مرات. (كتاب المبشرات)

نهي من الحق للشيخ رضي الله عنه:

رأيت الحق في النوم ليلة الإثنين، الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة إحدى

---

(١) ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ الآية ﴿الله خالق كل شيء﴾ الآية. وهنا يقصد الشيخ قدس الله سره، التحدث بنعمة الله عليه، وتوفيقه إلى الطاعة والموافقة ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم: والخير كله بيديك.

وثلاثين وستمائة، وهو ينهاني عن مجالسة ثلاثة، المطاطين والسقاطين وأُنسيت الثالثة، فكنت أقول له: «يارب وما المطاطون؟» فقال: «الذين يمدون العالم إلى غير نهاية في الابتداء، وإني ابتدأت العالم بالخلق» قلت: «وما السقاطون؟» فقال تعالى: «الذين يأتون بسقط الكلام ليضحكوا به الناس، وهي من سخط الله، فإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أنه يبلغ ما بلغت، فيهوي بها في النار سبعين خريفاً».

فقلت في ذلك في النوم، وقد أنسيت الثالثة:

نهاني الحق في الغطط	عن المطاط والسقطِ
وأني لا أجالس من	يكون بمثل ذا النمطِ
وأفهمني بأن أحظى	به في العالم الوسطِ

قال تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي خياراً، ووقع لي في النوم في الغطط «أنه صوت النائم» ولذلك جئت به، فإن الغطيط الصوت، كما قيل: يغط غطيط البكر شُدَّ خناقه، وفي الحديث في نوم النبي ﷺ أن له غطيطاً. (الديوان/ ٣٢١)

يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً:

في معرض شرح أن كل نفس مطلوبة من الحق في نفسها، لا تجزي نفس عن نفس شيئاً، وأن تقلب الإنسان في العبادة من وجه بذاته، ومن وجه بربه، ليس لغيره فيه مساغ ولا دخول، أراني ذلك في واقعة، فاستيقظت من منامي وأنا أحرك شفتي بهذه الأبيات، التي ما سمعتها قبل هذا، لا مني ولا من غيري، وهذه هي:

قال لي الحق في منامي	ولم يكن ذاك من كلامي
وقتاً أناديك في عبادي	وقتاً أناجيك في مقامي
وأنت في الحالتين عندي	في كنف الصون والذمام
لمن صلاة إلى زكاة	ومن زكاة إلى صيام
ومن حرام إلى حلال	ومن حلال إلى حرام
وأنت في ذا وذاك مني	كمثل مقصورة الخيام

(ف ح١/ ٦٢٨)

عناية الله بعباده:

في ليلة تقييدي هذا الوجه، أراني الحق في واقعتي رجلاً ربع القامة فيه شقرة، فقعد بين يدي وهو ساكت، فقال لي الحق: هذا عبد من عبادنا، أفده ليكون هذا في ميزانك، فقلت له: من هو؟ فقال لي: هذا أبو العباس بن جودي من ساكني البشرات ـ وأنا إذ ذاك في دمشق ـ فقلت له: يارب وكيف يستفيد مني وأين أنا منه؟ فقال لي: قل فإنه يستفيد منك، فكما أريتك إياه أريته إياك، فهو الآن يراك كما تراه، فخاطبه يسمع منك، ويقول هو مثل ما تقول أنت، يقول أريت رجلاً بالشام، يقال له محمد بن العربي، وسماني، أفادني أمراً لم يكن عندي، فهو أستاذي، فقلت له: ياأبا العباس ما الأمر؟ قال: كنت أجهد في الطلب وأنصب وأبذل جهدي، فلما كشف لي، علمت أني مطلوب، فاسترحت من ذلك الكد، فقلت له: ياأخي من كان خيراً منك وأوصلَ بالحق، وأتم في الشهود وأكشف للأمر، قيل له ﴿وقل رب زدني علماً﴾ فأين الراحة في دار التكليف؟ ما فهمت ما قيل لك، قولك علمت أني مطلوب، ولم تدر بماذا؟ نعم أنت مطلوب بما كنت عليه من الاجتهاد والجد، ما هذه الدار دار راحة، فإذا فرغت من أمر أنت فيه، فانصب في أمر يأتيك في كل نفس، فأين الفراغ؟ فشكرني على ما ذكّرته به، فانظر عناية الله بنا وبه. (فـ ح٣/ ٤٣١)

إعجاز القرآن:

راجع الصدق هو الإعجاز ص ٤٠ ـ وهنا يقول الشيخ رضي الله عنه:

أني إنساه ملآن ليس يشربُ ما	فيه من اللبن الممزوج بالعسل
خير الذي بفنون العلم خصصنا	محمد خير مبعوث من الرسل
أتى بإعجاز قول لا خفاء به	أعجازه انعطفت منه على الأول
حوى على كل لفظ معجز ولذا	حوى على كل علم جاء من مثل
أتى به الناطق المعصوم معجزة	إلى الذي كان في الدنيا من الملل
فما يعارضه جن ولا بشر	بسورة مثله في غابر الدول
ولو يعارضه ما كان معجزة	فليس إعجازه يجري إلى أجل
رأيت ربي في نومي فقلت له	ما صورة الصرف في القرآن حين تُلي

فقال لي اصدق فإن الصدق معجزة ... ولا تزور أموراً إن أردت تلي

لكن كلامك إن تفعله معجزة ... فقلت يارب غفراً ليس ذلك لي

هذا دليل بأن القول قولكمو ... لا قوله وهو عندي أوضح السبل

أتى به رُوحه من فوق أرقعة ... سبع إلى قلبه والقلب في شُغل

أتى على سبعة من أحرف نزلت ... ميسر الذكر يتلوه على عجل

إذا تكرر فيه قصة ذكرت ... تكون أقوى على الإعجاز بالبدل

والكل حق ولكن ليس يعرفه ... إلا الذي بدليل العقل فيه يَلي

هذا هو الحق لا تضرب له مثلاً ... فإنه من صفات الحق في الأزل

لا يعجبنك ما تتلوه من سور ... بأحرف وبأصوات على مهل

فكله قوله إن كنت ذا نظر ... فيه على حد إنصاف بلا مَلل

إن الوجود إذا أبصرته عجب ... فكله كلمات الله[1] من قبلي

أنا محصله أنا مفصله[2] ... بنا تلاوته فينا على وجل

قد أودع الله فيه كل مرتبة ... تحوي على حزن تحوي على جزل

فيحزِن القلبَ أحياناً ويُفرحه ... بما يقرره في كافر وولي

من الصفات التي جاءت مرتبة ... على الخلائق في حافٍ ومنتعل

يعلو به واحد لله منزله ... وآخر نازل منه إلى السفل

قيل لي ـ في بعض الوقائع ـ أتعرف ما هو إعجاز القرآن؟ قلت: لا، قال: كونه إخباراً عن حق، التزم الحق يكن كلامك معجزاً، فإن المعارض للقرآن أول ما يكذب فيه، أنه يجعله من الله وليس من الله، فيقول على الله ما لا يعلم، فلا يثمر ولا يثبت، فإن الباطل زهوق لا ثبات له، ثم يخبر في كلامه عن أمور مناسبة للسورة التي يريد معارضتها، بأمور

---

(١) قال تعالى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ وقال تعالى ﴿إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

(٢) الضمير يعود على القرآن.

تناسبهما في الألفاظ مما لم يقع ولا كانت، فهي باطل، والباطل عدم، والعدم لا يقاوم الوجود، والقرآن إخبار عن أمر وجودي، حق في نفس الأمر، فلابد أن يعجز المعارض عن الإتيان بمثله، فمن التزم الحق في أفعاله وأقواله وأحواله، فقد امتاز عن أهل زمانه وعن كل من لم يسلك مسلكه، فأعجز من أراد التسور على مقامه من غير حق. (الديوان/ ٤٦٨)

طريق السعادة:

ناداني الحق في سري: عبدي، وابن أمتي وعبدي، وعزتي وجلالي، ومجدي وعظيم سلطاني، وعلو جدي، لا نال معرفتي أحد، ولا ينال ما عندي من جزيل وعدي، إلا حتى يتصف في هذه الدار الدنيا، بما اتصف به أهل الشقاء في الدار الآخرة، من الخشوع ذلة وافتقاراً، والبكاء دمعاً مدراراً، والزفرات المتصاعدة، وتنضيج الجلود، وتضييق الكبود، وتنغيص العيش النكيد، بهذا حليت أوليائي وأنبيائي، لما سبق لهم عندي من السعادة، بعد جهد ومكابدة وجوع، وشد الأحجار على البطن، قاساه الرسول السيد المطيع، حتى فتح له مع أصحابه في لبن وتمر، دون لحم ولا خبز بُر، قال لأصحابه: إنكم لتسألن عن نعيم هذا اليوم، فنغص عليهم عيشهم على قلته، وأخذهم له على فاقة، فأحوال الدارين معكوسة، وصفاتها منكوسة، حفت الجنة بالمكاره، وهي ما يقاسيها المؤمن في الدنيا والكافر في العقبى، وحفت النار بالشهوات، وهي ما يلتذ بها الكافر في الدنيا والمؤمن في العقبى.

(روح القدس في محاسبة النفس)

لزوم الأدب في مسألة الجبر والاختيار:

من كان مشهده أن لا قدرة له كأمثالنا، أو يقول: إن القدرة الحادثة ما لها أثر إيجاد في المقدور، هذه المسألة كانت عندي من أصعب المسائل، وما فتح لي فيها بما هو الأمر عليه على القطع ـ الذي لا أشك فيه علماً ـ سوى ليلة تقييدي هذا الباب الأحد والعشرين ومائة، في هذه المجلدة، وهي ليلة السبت السادس من رجب الفرد، سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، فإنه لم يكن يتخلص لي إضافة خلق الأعمال لأحد الجانبين، ويعسر عندي الفصل بين الكسب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الحق بكشف بصري،

على خلقه المخلوق الأول، الذي لم يتقدمه مخلوق، إذ لم يكن إلا الله، وقال لي: هل هنا أمر يورث التلبيس والحيرة؟ قلت: لا، قال لي: هكذا جميع ما تراه من المحدثات، ما لأحد فيه أثر، ولا شيء من الخلق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، فتكون عن أمري، خلقت النفخ في عيسى، وخلقت التكوين في الطائر، قلت له: فنفسك إذاً خاطبت في قولك افعل ولا تفعل، قال لي: إذا طالعتك بأمر فالزم الأدب، فإن الحضرة لا تحتمل المحاققة، قلت به: وهذا عين ما كنا فيه، ومن يحاقق ومن يتأدب، وأنت خالق الأدب والمحاققة؟ فإن خلقت المحاققة فلابد من حكمها، وإن خلقت الأدب فلابد من حكمه، قال: هو ذلك، فاستمع إذا قرىء القرآن وأنصت، قلت: ذلك لك، اخلق السمع حتى أسمع، واخلق الإنصات حتى أنصت، وما يخاطبك الآن سوى ما خلقت، فقال لي: ما أخلق إلا ما علمت، وما علمت إلا ما هو المعلوم عليه، فلله الحجة البالغة، وقد أعلمتك هذا فيما سلف، فالزمه مشاهدة فليس سواء، ترح خاطرك، ولا تأمن حتى ينقطع التكليف، ولا ينقطع حتى تجوز على الصراط، فحينئذ تكون العبادة من الناس ذاتية، ليست عن أمر ولا نهي، يقتضيه وجوب أو ندب أو حظر أو كراهة. (ف ح١/ ٦١٧ - ح٢/ ٢٠٤)

رؤية الشيخ الأكبر قدس الله سره العزيز لبعض الملائكة في المنام

الخير المحض والشر المحض:

قال لنا بعض سفراء الحق، في منازلة في الظلمة والنور: إن الخير في الوجود، والشر في العدم، في كلام طويل، علمنا أن الحق تعالى له إطلاق الوجود من غير تقييد، وهو الخير المحض الذي لا شر فيه، فيقابله إطلاق العدم، الذي هو الشر المحض الذي لا خير فيه، فهذا هو معنى قولهم: إن العدم هو الشر المحض. وقد بت في جماعة من الصالحين، منهم أبو العباس الحريري، الإمام بزقاق القناديل بمصر، وأخوه محمد الخياط، وعبد الله المروزي، ومحمد الهاشمي اليشكري، ومحمد بن أبي الفضل، فأريت نفسي والجماعة في بيت شديد الظلمة، وليس لنا فيه نور سوى ما ينبعث من ذواتنا، فكانت الأنوار تنفهق علينا من أجسامنا، فتضيء بها، فدخل علينا شخص من أحسن الناس وجهاً ومنطقاً، فقال: أنا رسول الحق إليكم؛ فكنت أقول له: فما جئت به في رسالتك؟ فقال: اعلم أن الخير في الوجود والشر في العدم، أوجد الإنسان بجوده، وجعله واجداً يناني وجوده، تخلق بأسمائه وصفاته، وفني عنها بمشاهدة ذاته، فرأى نفسه بنفسه، وعاد العدد إلى أسه، فكان هو ولا أنت ـ فأخبرت الجماعة بالواقعة، وسروا وشكروا الله، ثم وضعت رأسي في عبي، فنظمت في نفسي أبياتاً في المعرفة، ونام أصحابي، فاستيقظ عبد الله وناداني: ياأبا عبد الله، فلم أجبه كأني نائم، فقال لي: ما أنت بنائم، أنت تعمل شعراً في معرفة الله وتوحيده، فرفعت رأسي وقلت له: من أين لك هذا؟ فقال لي: رأيتك تعقد شبكة رفيعة، فأولت الخيوط المنثورة تعقدها شبكة، معاني متفرقة تجمعها، وكلاماً منثوراً تنظمه، فقلت: هذا يعمل شعراً، قلت له: صدقت، فمن أين عرفت أنه في معرفة الله وتوحيده؟ قال قلت: الشبكة

لا يصاد فيها إلا ذو روح، حي عزيز المأخذ، فلم أجد شعراً فيه روح وحياة وعزة، إلا فيما يتعلق بالله تعالى، فكان تأويل رؤياه أعجب إلينا من الرؤيا، رضي الله عنهم اجمعين.

(ف ح١/ ٤٧ ـ كتاب المسامرات ح٢ ـ ف ح٢/ ٥١)

إخبار من ملك بنزول مكر إلهي:

رأيت في الواقعة وأنا ببغداد، سنة ثمان وستمائة، ليلة الحادي عشر من رمضان، قد فتحت أبواب السماء، وفتحت خزائن المكر، ونزلت خزائن المكر الإلهي مثل المطر العام، وسمعت ملكاً يقول: ماذا أنزل الليلة من مكر الله؟! فاستيقظت فزعاً مرعوباً مما رأيت.

(ف ح٢/ ٥٣٠)

ولنا في ذلك في قوله تعالى: ﴿فلا يأمن مكر الله﴾.

من أمـن المـكـر من الله	فأمـنـه المـكـرُ من الله
هذا الـذي يأمن من مكـره	هل جاءه وحـي من الله
كيف له بالأمن من مكـره	جرأة منـه على الله
هذاك جبريــل على قربـه	لا يأمــن المـكــر من الله
فلُذ بجنب الله واسـترعـه	وارجـع إلى الله من الله
فالصادق المصدوق عبد أتى	بكـله شوقـاً إلى الله

(كتاب المسامرات ح٢)

تجلي آيات القرآن في قوالب حسية:

واقعة وقعت لنا في ليلة كتابتي فصل الجمعة بعرفة، كنت أرى فيما يراه النائم، شخصاً من الملائكة قد ناولني قطعة من أرض، متراصة الأجزاء، ما لها غبار، في عرض شبر وطول شبر، وعمق لا نهاية له، فعندما تحصل في يدي أجدها قوله تعالى ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ إلى قوله ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾ فكنت أتعجب، ما كنت أقدر أن أنكر أنها عين هذه الآيات، ولا أنكر أنها قطعة أرض، وقيل لي: هكذا أنزل القرآن، أو أُنزلتْ على محمد ﷺ؛ فكنت أرى رسول الله ﷺ

يقول لي: هكذا أنزلت عليّ فخذها ذوقاً، وهكذا هو الأمر، فهل تقدر على إنكار ما تجده من ذلك؟ قلت: لا، فكنت أحار في ذلك الأمر، حتى قلت لغلبة الحال عليّ في ذلك:

ما ثَمَّ إلا حيرة عَمَّت ... كلي وبعضي وهي من جلتي
والله ما ثَمَّ حديث سوى ... هذا الذي قد شهدت مقلتي
فما أرى غيري وما هو أنا ... وذاك مجلاه وذي كِلَّتي[1]

فقلت: هذا كشف مطابق للجمعة التي جاء بها جبريل عليه السلام، إلى رسول الله ﷺ في صورة مرآة مجلوة، وفيها نكتة، وقال له: يارسول الله، هذه الجمعة، وهذه النكتة الساعة التي فيها - والحديث مشهور - فانظر ما أعجب الأمور الإلهية وتجليها في القوالب الحسية، وهذا دليل على ارتباط الأمر بيننا وبين الحق.

فالكل حق والكل خلق ... وكل ما تشهدون حق
يجري على الأمر من قريب ... وما له في اللسان نطق
وكله مثل ما تراه ... وكله في الوجود صدق

انتهى إمداد الواقعة الجامعة. (ف ح١/ ٧١٤)

بشرى من ملك بالتقريب الإلهي:

بينا أنا أكتب هذا الكلام في مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، ومقامه عليه السلام قوله تعالى فيه ﴿وإبراهيم الذي وفّى﴾ لأنه وفّى بما رأى من ذبح ابنه، أخذتني سِنَة، فإذا قائل من الأرواح - أرواح الملأ الأعلى - يقول لي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم، وهو أنه كان أواهاً حليماً، ثم تلا عليّ ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾ فعلمت أن الله تعالى لابد أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحلم، إذ لا حليم من غير قدرة على من يحلم عنه، وعلمت أن الله لابد أن يبتليني بكلام في عرضي من أشخاص، فأعاملهم مع القدرة عليهم بالحلم عنهم، ويكون أذى كثير، فنرجو أن يكون لنا نصيب من الخلة - كما حصل من درجة الكمال والختام والرفعة السارية في الأشياء في هذه الأمة - الحظ الوافر بالبشرى في ذلك، وفي هذه

---

(١) كلتي: بكسر الكاف أي حالتي.

الـواقعة أيضاً قيل لي: قل لأصحابك استغنموا وجودي من قبل رحلتي، فنظمت ذلك وضمنته هذا اللفظ، فقلت بعد ما استيقظت:

قد جاءني خطاب	من عنـد بغيـتي
بأن أقـول قولاً	لأهـل ملتي
استغنمـوا وجودي	من قبـل رحلتي
لكـي أرى بعيني	من كان قبلتي
وفي وجـودي أيضاً	مـن كـان علتي
فإنـني فقـير	لسـد خُلـتي
محبتـي مقـامي	والحـال خِلـتي
فصيتـه وجـودي	والـعـلـم حُلـتي
دعـوت عين نفسي	لمـا تولـت
عن ذكـر ما أتاهـا	ومـا استـقـلت
فعنـدمـا تجلـى	مـع الأهـلة
إلى شهـود عيـني	من خلف كِلتي(1)
ومـد لي يمـينـاً	من أجـل قُبلتي
فما رأيـت غيري	إذ كـان جلـتي

ورأيت في هذه الواقعة أنواعاً كثيرة، من مبشرات إلهية بالتقريب الإلهي، وما يدل على العناية والاعتناء، فأرجو من الله أن يحقق ذلك في الشاهد، فإن الأدب يعطي أن أقول ـ في مثل هذا ـ ما قال رسول الله ﷺ: «إن يكن من عند الله يمضه» مع علمه بأنه من عند الله، فما قلت مثل هذا قط في واقعة، إلا وخرجت مثل فلق الصبح، فإني في هذا القول متأس ومقتد برسول الله ﷺ، فاتخذت ذلك في كل مبشرة أراها، وانتفعت بالاتباع فيه، وما قلت هذا كله إلا امتثالاً لأمر الله في قوله: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾.

(ف ح ١/ ٧٢٢)

(١) كلتي بكسر الكاف، والكِلة هنا الستر الرقيق.

من المبشرات التي رآها الشيخ رضي الله عنه لغيره

مبشرة في حق القاضي أبي الوليد بن رشد قاضي قرطبة:

اجتمع ابن رشد مرة بالشيخ رضي الله عنه، ثم أراد الاجتماع به مرة ثانية، فيقول رضي الله عنه: فأقيم لي رحمه الله في الواقعة، في صورة ضرب بيني وبينه فيها حجاب رقيق، أنظر إليه منه ولا يبصرني ولا يعرف مكاني، وقد شغل بنفسه عني، فقلت: إنه غير مراد لما نحن عليه، فما اجتمعت به حتى درج، وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمدينة مراكش، ونقل إلى قرطبة وبها قبره. (ف ح١/ ١٥٤)

مبشرة في حق أبي محمد بن حزم، المحدث:

رأيت النبي ﷺ في المنام وقد غشيه النور، وقد عانق أبا محمد بن حزم المحدث، فغاب الواحد في الآخر، حتى كأنهما جسد واحد، فلم نرَ إلا واحداً وهو رسول الله ﷺ. (ف ح٢/ ٥١٩ ـ كتاب المبشرات)

مبشرة في حق السلطان النور بن الرشيد، تدل على فتح انطاكية:

رأينا ونحن بسيواس، في شهر رمضان، والسلطان الغالب ـ في ذلك الزمان ـ النور ابن الرشيد يحاصر أنطاكية، فرأيت كأنه نصب عليها المجانيق ورماها بالأحجار، فقتل زعيم القوم، فأولت الحجارة آراءه السديدة وعزائمه التي يرميهم بها، وأنه فاتحها إن شاء الله تعالى، فكان كما رأيت بحمد الله، وفتحها يوم عيد الفطر، وكان بين الرؤيا والفتح عشرون يوماً، وذلك سنة اثنى عشرة وستمائة، فكتبت إليه من ملطية ـ قبل فتحه إياها ـ بأبيات أذكر فيها رؤياي، وأذكر فيها ما قاله رسول الله ﷺ حين رأى في النوم جبريل عليه السلام، وقد جاءه بعائشة أم المؤمنين قبل أن يتزوج بها في سرقة حرير، فقال له هذه

زوجتك، فلما استيقظ رسول الله ﷺ وذكرها قال: «إن كان من عند الله سيمضيه» فقلنا نحن كذلك أدباً واقتداءً، فكان من عند الله، وفتح الله على السلطان بها، كما كان زواج رسول الله ﷺ لعائشة، وكانت الأبيات لزوميات اتفاقاً وهي:

قصدت بلاد الكفر تبغي فتوحها	فأبشر فإن الروم فيك لفي خسر
رأيت لكم رؤيـا تدل على النصر	وفتح بلاد الكفر والقتل والأسر
قتلتم بأحجـار المجانيق كبشهم	فأولتـهـا الآراءُ تعضـد بالنصر
فدونك فانهض أيها الملك الذي	علا أمره فوق السماكين في النسر
وخـذهـا من الله الكـريم بشارة	تدل على التـأييد والقهـر والقسر
فإن كان عن حق سيمضي وجودها	وإن لم يكن ما فيه في الملك عن عسر
بذا جاء لفظ الشرع إذ جاء وحيه	برؤيـاه في أمـر الحميـراء بالسر
إذا جاء نصر الله والفتـح فلتجـد	بهالـك من خير على العسر واليسر

(مسامرات ح٢)

مبشرة رآها الشيخ لقاضي دمشق:

لقد رأيت لقاضي دمشق ـ عندما ولي القضاء بدمشق ـ وهو شمس الدين أحمد بن مهذب الدين خليل الجوني، وفقه الله وسدده بملائكته وعصمه في أحكامه، وقائل يقول له في النوم: «إن الله قد خلع عليك ثوباً نقياً سابغاً، فلا تدنسه ولا تقلصه» واستيقظت وذكرتها له، فالله يجعله ممن حفظ الوصية الإلهية. (ف ح٣/ ٥٠٨)

مبشرة رآها لشمس الدين إسماعيل بن سودكين:

رأيت في المنام شمس الدين إسماعيل بن سودكين النوري وقد استقبلني، وهو ينشدني بيتين ما سمعتهما قبل ذلك منه ولا من غيره، وهما:

أنـا في العـالم الـذي لا أراكم	كمسيح النصارى بين اليهود
فإذا ما رأيتـكـم نصب عيني	أنـا والله في جنـان الخـلود

ينظر إلى الأول قول المتنبي:

ما مقـامـي بأرض بخـلة إلا ... كمقـام المسيح بين اليهـود
أنـا في أمـة تداركـهـا الله ... غريبٌ كصـالـح في ثمـود

وكانت الرؤيا في ليلة صبيحة يوم الاثنين، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة عشرين وستمائة بظاهر دمشق. (الديوان/ ٩١)

مبشرة في حق صاحب له ميت:

قلت في النوم مرتجلاً، وقد رأيت شخصاً قد ثبت له حق على ميت من أصحابه، فحاز به كتاباً كان في وعاء مما خلفه الميت، فقال له شخص في النوم: «لما حازه هذا دون الوارث؟» فأجابه:

ضم الكتاب إلى الوعاء فحازه ... ما كل من ضم الكتاب يحوزُ
لولا ثبوت الحق لم يجز الـذي ... قد كان لكن بالثبـوت يجوزُ

(الديوان/ ١٣٢)

مبشرة في حق بعض إخوانه ـ يوسف بن أبي إسحق:

لا تدعـي في طريق أنـت سالكـه ... وإنـما أمـره مكـارم الخـلق
ولـيس عنـدك منهـا ما تكـون به ... من أهـلهـا ولهـذا أنـت في قلق
أنـت الـذي قال فيـه الحق يعلمكم ... جريت سبعـاً مع الأهـواء في طلق
لا تتبـع غرضـاً إن كنت تطلبنـا ... وكـن مع أهـل طريـق الله في نسـق
ولـو نظرت بعيني لا بعينـكمـو ... لما رأيتـك في خوف ولا ملق
ما ذا صفـات رجـالي إنهم صبروا ... على المكـاره في نور وفي غسـق
يايـوسف بن أبي إسحق كن رجـلاً ... ولا تكن عنـدنـا من أخسر الفـرق
فأنـت ذو لؤم طبـع لسـت ذا كرم ... لو كنـت ذا كرمٍ ما كنـت ذا فرق
إن الكـريـم شجـاع في سجيتـه ... له من الـنعت طول البـاع في العنق
أعيـذه بالـذي في النـور[1] من سور ... معلومـة مثـل رب النـاس والفلق

(الديوان/ ٢٣٢)

---

(١) النور يعني به القرآن.

مبشرة رأى فيها العز بن عبد السلام:

رأيت في الواقعة عز الدين بن عبد السلام الفقيه الشافعي، وهو على مصطبة كالمدرسة، يعلم الناس المذهب، فقعدت إلى جانبه، فرأيت إنساناً قد أتى يسأله عن كرم الله تعالى، فكان ينشده بيتاً في عموم كرم الله تعالى بعباده، فكنت أقول له: «إن لي في هذا المعنى بيتاً من قصيدة» فكلما جهدتُ أن أتذكره، لم أتذكره في ذلك الوقت، فكنت أقول له: «إن الله تعالى قد أجرى على لساني في هذا الوقت في هذا المعنى ما أقوله» فقال لي: «قل» وهو يبتسم، فينطقني الله تعالى بأبيات لم تطرق سمعي قبل ذلك، وهي:

الله أكرم أن يحظى بنعمته ... الظالمون ويشقى المجرم العاصي

وإن شقي فكلام يصيب بها ... المؤمنين فمن دان ومن قاصي

وكلهم عالم بالله مستند ... إليه مفلسهم ورب أوقاص

فكان يبتسم، فبينما نحن كذلك، إذ مر القاضي شمس الدين الشيرازي رضي الله تعالى عنه، فلما أبصرني نزل عن بغلته، وجاء فقعد إلى جانب العز بن عبد السلام، ثم أقبل عليّ وقال لي: أريد أن تقبلني في فمي، فضمني وقبلته في فمه، فقال العز بن عبد السلام: ما هذا؟ فقلت له: أنا في رؤيا، والتقبيل قبول يطلبه مني، فإنه شخص قد حسن الظن بي، وقد خطر له قصر أمله، وقبيح عمله، واقتراب أجله، ثم قمت فعضدته حتى ركب وانصرف، ثم قال لي العز بالإيماء والتلويح لا بالتصريح، كيف حالك مع أهلك؟ فكنت أنشده بيتين ما طرقا سمعي قبل ذلك، بل كان الله ينطقني في ذلك الوقت بهما، وهما:

إذا رأى أهل بيتي الكيس ممتلئاً ... تبسمت ودنت مني تمازحني

وإن رأته خلياً من دراهمه ... تكرهت وانثنت عني تقابحني

فكان يقول لي في إشارته: كلنا مع الأهل ذلك الرجل، والله لقد صدقتَ ـ وهنا انتهت المبشرة والله الواقي. (الديوان/ ٢٥٦)

مبشرة رآها الشيخ لإبراهيم بن همام الإشبيلي:

اتفق لرجل من الصالحين أن رأى فقهاء البلد الذي كان فيه (وهي مكة) قد اجتمعوا ودفنوا النبي ﷺ وقد مات بينهم، فاستيقظ الرجل فسأل، فوجدهم في مسألة من الحج،

قد أبينت لهم الأحاديث الصحيحة التي لا مطعن فيها، فأبوا قبولها وحكموا في المسألة بالرأي، وقالوا مذاهب قد استقرت، يريد هذا المنازع أن يردها بهذه الأحاديث، وتعصبوا عليه - فرأيت رسول الله ﷺ وأنا بمكة، وكان إبراهيم بن همام الإشبيلي قد اعتنى بضبط الحديث والعمل به، وعليه قام هؤلاء الفقهاء الذين دفنوا النبي ﷺ كما ذكرنا، فرأيت النبي ﷺ يقبل إبراهيم بن همام ويضمه إليه، ضم مودة ويعرفه بأنه يحبه. (كتاب المبشرات)

مبشرة رأى فيها الشيخ الإمام مالك:

رأيت مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة في المنام، وعليه ثوب أبيض، يجر منه في الأرض اثنا عشر ذراعاً، وهو على باب يقال له باب الفتح، فقلت له: يامالك ما أقرأ؟ فقال: تحب أن تقرأ كتب الرأي، فكنت أرى شخصاً كان يشتغل بكتب الرأي، وهو ينظر في مزبلة معرضاً عن مالك، مقبلاً على المزبلة، فقلت يامالك أخاف أن تقودني كتب الرأي إلى ما قادت هذا الشخص، فتبسم مالك رضي الله عنه وقال: صدقت، عليك يابني بتقييد الحديث والعمل به[1]. (كتاب المبشرات)

مراتب الأئمة الأربعة:

ومن شرف علم الحديث، ما حدثنا به العالم أبو العباس أحمد بن داود بن ثابت بن منصور الحريري الحلفاوي رحمه الله، بمدينة تونس، بدار الشيخ الصالح العارف عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي، قال أبو العباس: كان لي اعتقاد كبير في الإمام أبي حنيفة لحسن رأيه وجودة ذهنه، وكنت أميل إليه من دون الأئمة، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فلم يكلمني، وهبت أن أسأله، وكان أبو بكر خلفه، فقلت: ياأبا بكر كيف مراتب الأئمة عندكم؟ فقال: اللاحق بنا أحمد بن حنبل، ثم الشافعي، ثم مالك، ثم أبو حنيفة، قال أبو العباس: فتعجبت، وعلمت أن النجاة في متابعة الحديث.

ولقد أخبرت بهذه الحكاية القاضي عبد الوهاب الأزدي الاسكندراني بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة، فقال: هو الصحيح، وأنا أخبرك بما يقوي ما رآه أبو العباس، فقلت له: اخبرني - ونحن تجاه الركن اليماني عند باب الحزورة - فقال: كان عندنا رجل

---

(١) راجع الاشتغال بتقييد الحديث والأخذ به وترك الرأي/ص ٢٠

صالح فيه خير وله سمت حسن، فمات، فرآه بعض الصالحين من أصحابنا في المنام، فقال له الرائي: يافلان كيف تكون الأرض إذا جاءك الملكان؟ فقال: إنها تصير كالماء، كلما اخترقت فيها لم تمتنع عليك، كما تخترق الماء، قال الرائي: سواء، فقلت له: ما رأيت؟ قال: رأيت كتباً مرفوعة وكتباً في الأرض موضوعة، فسألت عنها، فقيل لي: أما المرفوعة فكتب الحديث، وأما الموضوعة فكتب الرأي حتى يسأل عنها أصحابها. (كتاب المبشرات)

مبشرة سأل فيها الشيخ أبا بكر الصديق رضي الله عنه عن حدود المسجد الحرام:

رأيت - وأنا بمكة، سنة تسع وتسعين وخمسمائة - في النوم أبابكر الصديق رضي الله عنه، فسألته: أين حد المسجد الحرام الذي تكون الصلاة فيه بمائة ألف، هل هو الحرم كله، أو هل هو المسجد المعروف وحده؟ فقال: لا أقول هو الحرم كله، ولا أقول هو المسجد وحده، ولكني أقول: كل موضع في الحرم توقع الصلاة فيه فهو مسجد، وهو في الحرم، فهو المسجد الحرام والصلاة فيه بمائة ألف، هكذا هو عندنا - ثم استيقظت. (كتاب المبشرات)

ما رؤي للشيخ من المبشرات

مبشرة رآها أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله:

قعدنا يوم السبت ـ على سبيل العادة ـ في المسجد الحرام، تجاه الركن اليماني من الكعبة المعظمة، وكان يحضر عندنا الشيخ الفقيه المجاور أبو يحيى بيكر بن أبي عبد الله الهاشمي التونيتمي الطرابلسي رحمه الله، فجاء على عادته، فلما فرغنا من القراءة، قال لي: رأيت البارحة في النوم، كأني قاعد، وأنت أمامي مستلق على ظهرك تذكر الصاد، فأنشدتك مرتجلاً:

الصاد حرف شريف والصاد في الصاد أصدق

فقلت لي في النوم، ما دليلك؟ فقلت:

لأنها شكل دور وما من الدور أسبق

ثم استيقظت ـ وحكى لي في هذه الرؤيا، أني فرحت بجوابه، فلما أكمل ذكره، فرحت بهذه المبشرة التي رآها في حقي وبهيئة الاضطجاع، وذلك رقاد الأنبياء عليهم السلام، وهي حالة المستريح الفارغ من شغله، والمتأهب لما يرد عليه من أخبار السماء بالمقابلة. (ف ح١/ ٧١)

مبشرة رآها يحيى بن الأخفس:

كان عندنا بدمشق رجل من أهل الفضل والأدب والدين، يقال له يحيى بن الأخفس من أهل مراكش، كان أبوه يدرس العربية بها، فكتب إليّ يوماً من منزله بدمشق وأنا بها، يقول لي في كتابه: ياولي رأيت رسول الله ﷺ البارحة بجامع دمشق، وقد نزل بمقصورة الخطابة إلى جانب خزانة المصحف المنسوب إلى عثمان رضي الله عنه، والناس يهرعون إليه

ويدخلون عليه يبايعونه، فبقيت واقفاً حتى خف الناس، فدخلت عليه وأخذت يده، فقال لي: هل تعرف محمداً؟ قلت له: يارسول الله من محمد؟ فقال له: ابن العربي، قال قلت له: نعم أعرفه، فقال له رسول الله ﷺ: إنا قد أمرناه بأمر، فقل له يقول لك رسول الله: انهض لما أمرت به، واصحبه أنت فإنك تنتفع بصحبته، وقل له يقول لك رسول الله: امتدح الأنصار ولتعين منهم سعد بن عبادة ولابد، ثم استدعى بحسان بن ثابت، فقال له رسول الله ﷺ: ياحسان حفظه بيتاً يوصله إلى محمد بن العربي يبني عليه، وينسج على منواله في العروض والروي، فقال حسان خذ إليك، وأنشدني بيتاً هو:

شغف السهاد بمقلتي ومزاري   فعلى الدموع معولي ومشاري

وما زال يردده عليّ حتى حفظته، ثم قال رسول الله ﷺ: إذا مدح الأنصار فاكتبه بخط بيّن، واحمله ليلة الخميس إلى تربة هذا الذي تسمونها قبر الست[1]، فستجد عندها شخصاً أسمه حامد، فادفع إليه المديح، فلما أخبرني بذلك هذا الرائي ـ وفقه الله ـ عملت القصيدة من وقتي، من غير فكرة ولا روية ولا تثبط، ودفعت القصيدة إليه، فكتب إليّ أنه لما جاء قبر الست، وصل إليه بعد العشاء الآخرة، قال: فرأيت رجلاً عند القبر، فقال لي ابتداء: أنت يحيى الذي جاء من عند فلان، وسماني، فقلت له: نعم، قال فأين القصيد الذي مدح به الأنصار عن أمر رسول الله ﷺ، فقلت: هو ذا عندي، فناولته إياه، فقرب من الشمعة ليقرأ القصيدة، فلم أره يخبر ذلك الخط، فقلت له: تأمرني أنشدك إياها، قال: نعم، فأنشدته إياها، وهذا نص القصيدة:

قال ابن ثابت الذي فخرت به   فِقَرُ الكلام ونشأة الأشعار
شغف السهاد بمقلتي ومزاري   فعلى الدموع معولي ومشاري

وكانت أمي تنسب إلى الأنصار فقلت:

فلذا جعلت رويه الراء التي   هي من حروف الرد والتكرار
فأقول مبتدءاً لطاعة أحمد   في مدح قوم سادة أبرار

---

(1) لا زال هذا المكان معروفاً للآن، وهو مزار يقال له مزار «السيدة زينب» بضاحية من ضواحي دمشق.

إني امرؤ من جلة الأنصار فإذا مدحتهمو مدحت نِجاري[1]
بسيوفهم قام الهدى وبهم علت أنواره في رأس كل منار
قاموا بنصر الهاشمي محمد المصطفى المختار من مختار
صحبوا النبي بنيّة وعزائم فازوا بين حيدة الأثار
باعوا نفوسهم لنصرة دينه ولذاك ما صحبوه بالإيثار
عنهم كنى المختار بالنَّفَس الذي يأتيه من يَمَن مع الأقدار
سعد سليل عبادة فخرت به يوم السقيفة جلة الأنصار
لله آساد لكل كريهة نزلت بدين الله والأخيار
عزّوا بدين الله في إعزازهم دين الهدى بالعسكر الجرار
فيهم علا يوم القيامة مشهدي وبهم ترى يوم الورود فخاري
لو أنني صغت الكلام قلائداً في مدحهم ما كنت بالمكثار
كرش النبي[2] وعيبة لرسوله لحقت بهم أعداؤه بتبار
رهبان ليلاً يقرؤون كلامه آساد غاب في الوغى بنهار

(ف ح١/ ٢٦٧)

مبشرة رآها رجل صالح اسمه عبد الواحد بمكة:

يقول الشيخ قدس الله سره العزيز، مخبراً عن بعض أحواله في حضرة الخيال المنفصل: ولقد نظرت يوماً إلى الكعبة وهي تسألني الطواف بها، وزمزم يسألني التضلع من مائه، رغبة في الاتصال بالمؤمن، سؤال نطق مسموع بالأذن، فخفنا من الحجاب بها ـ لعظيم مكانتها من الحق ـ عما نحن عليه في أحوالنا من القرب الإلهي، الذي يليق بذلك الموطن في معرفتنا، فأنشدتها مخاطباً ومعرفاً بما هو الأمر عليه، مترجماً عن المؤمن الكامل.

ياكعبة الله ويازمزمه كم تسألاني الوصل صه ثم مه
إن كان وصلي بكما واقعاً فرحمة لا رغبة فيكمه

---

(١) النجر والنِجار: الأصل.
(٢) خؤولته ﷺ.

ما كعبـة الله سوى ذاتـنـا	ذات ستـارات التقى المعلمـة
ما وسـع الحـق سماء ولا	أرض ولا كلم من كلمـه
ولاح للقـلب فقـال اصـطبر	فإنـه قبـلتـنـا المحكـمـة
منـكم إليـنـا وإلى قلبكـم	منـا فيـا يبـقي ما أعـظمـه
فرض على كعبتـنـا حبكـم	وحبنـا فرض عليكم ومـه
ما عظّم الـبيـت على غيره	سواك ياعـبـدي بأن تلزمـه
قد نوّر الـكعبـةَ تطوافُكم	بها وأبيـات الـورى مظلمـة
ما أصـبر البيت على شركهم	لولاكـمـو كان لهم مشـأمـة
لكـنـكـم فيَّ تواصيـتـمـو	بالصـبر تحقيقـاً وبـالمرحمة
ما أعـشـق القلب بذاتي ومـا	أشـده حبـاً ومـا أعـلمـه

وكان بيني وبين الكعبة في زمان مجاورتي بها، مراسلة وتوسلات ومعاتبة دائمة، وما عملت تلك الرسـائل ولا خاطبتها بها إلا لسبب حادث، وذلك أني كنت أفضل عليها نشـأتي، وأجعـل مكـانتها في محل الحقائق دون مكانتي، وأذكرها من حيث ما هي نشأة جمادية، في أول درجة من المولدات، وأعرض عما خصها الله به من علو الدرجات، وذلك لأرقي همتهـا، ولا تحجب بطواف الرسل والأكابر بذاتها، وتقبيل حجرها، فإني على بينة من ترقي العـالم علوه وسفله مع الأنفـاس، لاستحالة ثبوت الأعيان على حالة واحدة، فإن الأصـل الذي يرجع إليه جميع الموجودات، وهو الله، وصف نفسه أنه ﴿كل يوم هو في شأن﴾ فمن المحال أن يبقى شيء في العالم على حالة واحدة زمانين، فتختلف الأحوال عليه لاختلاف التجليات بالشؤون الإلهية، وكان ذلك مني في حقها لغلبة حال غلب عليّ، فلا شك أن الحق أراد أن ينبهني على ما أنا فيه من سكر الحال، فأقامني من مضجعي في ليلة باردة مقمرة، فيها رش مطر، فتوضأت وخرجت إلى الطواف بانزعاج شديد، وليس في الطواف أحد سوى شخص واحد فيما أظن، فلما نزلت، قبلت الحجر وشرعت في الطواف، فلما كنت في مقابلة الميزاب من وراء الحجر، نظرت إلى الكعبة، فرأيتها ـ فيما تخيل لي ـ قد شمرت أذيالها، واستعدت مرتفعة عن قواعدها، وفي نفسها إذا وصلت بالطواف إلى الركن

الشامي، أن تدفعني بنفسها، وترمي بي عن الطواف بها، وهي تتوعدني بكلام أسمعه بأذني، فجزعت جزعاً شديداً، وأظهر الله لي منها حرجاً وغيظاً، بحيث لم أقدر على أن أبرح من موضعي ذلك، وتسترت بالحِجْر، ليقع الضرب منها عليه، جعلته كالمجن الحائل بيني وبينها، وأسمعها والله وهي تقول لي: تَقَدَّم حتى ترى ما أصنع بك، كم تضع من قدري وترفع من قدر بني آدم، وتفضل العارفين عليّ، وعزة من له العزة، لا تركتك تطوف بي، فرجعت مع نفسي، وعلمت أن الله يريد تأديبي، فشكرت الله على ذلك، وزال جزعي الذي كنت أجده، وهي والله - فيما يخيل لي - قد ارتفعت عن الأرض بقواعدها مشمرة الأذيال، كما يتشمر الإنسان إذا أراد أن يثب من مكانه، يجمع عليه ثيابه، هكذا خيلت لي، قد جمعت ستورها عليها لتثب عليّ، وهي في صورة جارية، لم أرَ صورة أحسن منها، ولا يتخيل أحسن منها، فارتجلت أبياتاً في الحال أخاطبها بها، واستنزلها عن ذلك الحرج الذي عاينته منها، فما زلت أثني عليها في تلك الأبيات، وهي تتسع وتنزل بقواعدها على مكانها، وتظهر السرور بما أسمعها، إلى أن عادت إلى حالها كما كانت، وأمنتني وأشارت إليّ بالطواف، فرميت بنفسي على المستجار، وما فيّ مفصل إلا وهو يضطرب من قوة الحال، إلى أن سريّ عني، وصالحتها وأودعتها شهادة التوحيد عند تقبيل الحجر، فخرجت الشهادة عند تلفظي بها - وأنا أنظر إليها بعيني - في صورة سلك، وانفتح في الحجر الأسود مثل الطاق، حتى نظرت إلى قعر طول الحجر، فرأيته نحو ذراع[1]، ورأيت الشهادة قد صارت مثل الكبة، واستقرت في قعر الحجر، وانطبق الحجر عليها، وانسد ذلك الطاق وأنا انظر إليه، فقال لي: هذه أمانة عندي، أرفعها لك إلى يوم القيامة، أشهد لك بها عند الله؛ هذا قول الحجر لي وأنا اسمع، فشكرت الله ثم شكرتها على ذلك، ومن ذلك الوقت وقع الصلح بيني وبينها، وخاطبتها بالرسائل السبعة[2]، فزادت بي فرحاً وابتهاجاً، حتى جاءتني منها بشرى على لسان رجل صالح من أهل الكشف، ما عنده خبر بما كان

---

(١) سألت عنه بعد ذلك من رآه من المجاورين، حين احترق البيت فعمل بالفضة وأصلح شأنه، فقال لي: رأيته في طول الذراع.

(٢) هذه الرسائل مجموعة في كتاب سماه الشيخ «تاج الرسائل ومنهاج الوسائل».

بيني وبينها مما ذكرته، فقال لي: رأيت البارحة فيما يرى النائم هذه الكعبة وهي تقول لي: ياعبد الواحد، سبحان الله، ما في هذا الحرم من يطوف بي إلا فلان، وسمتك لي باسمك، ما أدري أين مضى الناس؟ ثم أقمتَ لي في النوم وأنت طائف بها وحدك، لم أرَ معك في الطواف أحداً، فقالت لي: انظر إليه، هل ترى بي طائفاً آخر؟ لا والله، ولا أراه أنا ـ فشكرت الله على هذه البشرى من مثل ذلك الرجل، وتذكرت قول رسول الله ﷺ في الرؤيا الصالحة، يراها الرجل المسلم أو ترى له ـ وأما الأبيات التي استنزلت بها الكعبة فهي هذه:

بالمستجار استجار قلبي	لما أتاه سهم الأعادي
يارحمة الله للعباد	أودعك الله في الجياد
يابيت ربي يانور قلبي	ياقرة العين يافؤادي
ياسِرَّ قلب الوجود حقاً	ياحرمتي ياصفا ودادي
ياقبلة أقبلت إليها	من كل ربع ومن كل وادي
ومن بقاه فمن سماه	ومن فناه فمن مهاد
ياكعبة الله ياحياتي	يامنهج السعد يارشادي
أودعك الله كل أمن	من فزع الهول في المعاد.
فيك المقام الكريم يزهو	فيك السعادات للعباد
فيك اليمين التي كستها	خطيئتي جلة السواد
ملتزم فيك من يلازم	هواه يسعد يوم التناد
ماتت نفوس شوقاً إليها	من ألم الشوق والبعاد
من حزن ما نالها عليهم	قد لبست حلة الحداد [1]
لله نور على ذراها	من نوره للفؤاد بادي
وما يراه سوى حزين	قد كحل العين بالسهاد

(١) يشير إلى سواد أستار الكعبة.

يطوف سبعاً في إثر سبع   من أول الليل للمنادي
بعبرة ما لها انقطاع   رهين وجد حلف اجتهاد
سمعته قال مستغيثاً   من جانب الحجر آه فؤادي
قد انقضى ليلنا حثيثاً   وما انقضى في الهوى مرادي

(ف ح ١/ ٧٠٠)

خاتمة

الحمد لله تعالى، أحمده على توفيقه، وأن أعانني على إصدار هذه السلسلة الأولى التي يختتمها كتابي هذا، وأرجو الله تعالى أن يكون فيها نفع للمسلمين والباحثين، والتائهين في بحار علوم الشيخ الأكبر رضي الله تعالى عنه، فقد قصدت من هذا الجمع، توحيد كل موضوع على حدة، بجمعه من مصادر مختلفة، ومن كتب صح عند المحققين أنها للشيخ رضي الله عنه، وبهذا الجمع آمل أن أكون قد أعطيت صورة واضحة لما عرضته من مواضيع وأبحاث، قدمها الشيخ متفرقة في كتب كتبها لأهلها، لا تلتبس عليهم، إلا أنها تلتبس على الغريب الذي ليس من جنسهم، فأرجو الله تعالى لمن أمكنه استيعاب ما في هذه السلسلة، أن يطالع كتب الشيخ بنفسه، فقد تكون هذه المجموعة مدخلاً لقراءة كتب الشيخ، وفهم الكثير من غوامضها ومشتبهها، وقد كان ترتيب إصدار هذه السلسلة لغاية، أرجو أن تكون قد تحققت وهي:

أولاً: إصدار كتاب «الفقه عند الشيخ» يوضح علو كعب الشيخ في الفقه الإسلامي باعتباره متأخراً، ويثبت أنه إمام مجتهد من أئمة أهل السنة والجماعة، فإذا صح هذا، فلا يعقل ما ينسب إليه من كفر وإلحاد وزندقة، فإن ما دوّنه في العقيدة والأصول والأحكام، لا يمكن لعاقل إلا أن يقول: إنها لا تصدر إلا من مؤمن كامل الإيمان.

ثانياً: أعقبت الفقه بإصدار كتيب بعنوان «الإنسان الكامل والقطب الغوث» يوضح فَهْمَ الشيخ في آية قرآنية واحدة وحديث صحيح واحد، ليس في هذا الفهم أي مأخذ شرعي، ولو لم تقبله بعض الأمزجة والأفهام القاصرة.

ثالثاً: أعقبت هذا بكتاب «شرح كلمات الصوفية والرد على ابن تيمية» ناقشت فيه كل التهم التي نسبها الإمام ابن تيمية إلى الشيخ الأكبر، بمقارنة النصوص الواردة عن كل من الرجلين، ويتضح للقارىء المتصف المحقق، عدم صحة كل ما نسبه الإمام ابن تيمية إلى الشيخ، ثم جمعت

شرح الشيخ لبعض كلمات الصوفية وبعض كلامه، الذي يتوهم القارىء أو السامع ببادىء الرأي أنها كفر، وكيف ألبسها الشيخ ثوب الشريعة بالنصوص، وأنه كلام في دقائق التوحيد من مقام الإحسان.

رابعاً: فوجب التعريف بالشيخ، فأصدرت «ترجمة حياته من كلامه» وفيها جمعت كل ما أمكنني مما قاله الشيخ، عن نفسه وسلوكه وتحصيله وفتوحه وعلومه، وشرطه ونصه على من يخاطبه بها.

خامساً: كان لابد من توضيح ما جاء في بعض هذه الترجمة، فكان كتاب «الحب والمحبة الإلهية» مترجماً عن أذواق الشيخ في المحبة الإلهية ومقام المحبوبية، الذي جاء به القرآن والسنة الصحيحة.

سادساً: ختمت هذه السلسلة بكتابي هذا «الخيال عالم البرزخ والمثال» و«الرؤيا والمبشرات» يعلم منه القارىء، ما هي الحضرة التي يتكلم منها الشيخ في كتبه؟ ومع من يتكلم من البشر؟ وهل هذا الذي جاء به هو محض أوهام وخيالات فاسدة، كما يتصوره قاصر العقل وعديم الذوق، أم هي خصوصيات إلهية يختص بها الله من يشاء من عباده، أثبتها الشرع وجاء بها الرسول ﷺ، ولكن غفل عنها كثير من الناس؟

والله تعالى أسأل أن يوفقني لإصدار السلسلة التالية، من تفسير القرآن وشرح الحديث عند الشيخ الأكبر، إنه الموفق لا رب سواه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

دمشق في غرة شعبان ١٤٠٤هـ

محمود محمود الغراب

رسالة الشيخ أبو الحسن علي الندوي - رئيس رابطة علماء العالم الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ص . ب ٩٣ لكهنو
(الهند)

Phone : 43747
Abul Hasan Ali Nadwi
P. O. Box 93 Lucknow 226007
(INDIA)

8/[illegible]/83.

فضيلة الأستاذ محمد محمود غراب حفظه الله تعالى .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد وصلتني الكتب التي أرسلتموها إليّ ، مما يتعلق بعلوم الشيخ الأكبر ، ولا أدري كيف فاتني الإشعار بوصول كتاب « الفقه عند الشيخ الأكبر » والإنسان الكامل .

ولا أزال أذكر أننا كنا نلتقي في دمشق في عام ١٩٥٦م عندما حضرت أستاذا زائرا لإلقاء المحاضرات في كلية الشريعة ، وقد كنت قابلت بواسطتكم فضيلة الشيخ الجليل [illegible] ، وأحمد الله تعالى على لقائه .

وأرجو مواصلة هذا الإنتاج العلمي الجليل لعلوم الشيخ الأكبر ، وبسطها بما يفهمه طلاب العلم عامة والأوساط من الناس ولكم شكر الناس ، وجزاء من الله الكريم .

وتقبلوا تحياتي الطيبة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
المخلص
أبو الحسن علي الحسني الندوي

رسالة المرحوم الرئيس ضياء الحق - رئيس الجمهورية الباكستانية

بسم الله الرحمن الرحيم

THE ISLAMIC REPUBLIC OF PAKISTAN

General M. Zia-ul-Haq

ISLAMABAD
57/2/CMLA
17 Rajab 1405 A H
09 April 1985

Mr Mahmood Mahmood Al-Ghorab
C/o Ambassador of Pakistan
Damascus
Syria

Dear brother Syed Mahmood Al. Ghorab,

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

Please accept my appreciation and gratitude for the set of your following valuable publications forwarded to me, on your behalf, by our Ambassador in Damascus :-

a. Al-Shaikh al-Akbar Muhiyy'l-Din Ibn al-Arabi: Tarjamatu Hayatihi min Kalamihi;

b. Al-Hubb wa'l Mahabbah 'l-Ilahiyyah min Kalam 'l-Shaikh al-Akbar; and

c. Al-Khiyal : 'Alam 'l-Barzakh wa'l Mithal min Kalam 'l-Shaikh al-Akbar.

I am sure that scholars and researchers would benefit a great deal from these books which throw abundant light on the life and thought of Shaikh Muhiyy 'l-Din Ibn al-Arabi, who has had a tremendous impact on the subsequent development of the Sufi and philosophical thought in Islam. Your writings represent a further advance in the scientific studies on this important subject.

May Allah reward you amply for your academic efforts, and shower His blessings on your life and knowledge.

With profound regards,

Yours sincerely,

M. Zia ul Haq

General
(M. Zia-ul-Haq)

رسالة الشيخ عبد المعز عبد الستار

رئيس توجيه العلوم الشرعية ـ دولة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز الأستاذ محمود غراب .. حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى آلك وأحبابك، وحياكم الله بما حيا به أولياءه وأحباءه، وأعاده عليكم وعلى الأمة الإسلامية هذا الشهر باليمن والبركة والأمن والإيمان والشمل الجميع والأمر الرشيد والفتح القريب وهو الرحمن المستعان.

تلقيت بيد الشكر كتابك «الخيال عالم المثال» وقد قرأت مقدمتك وأوائل هذا الكتاب، ولا أكتمك أنني وقفت منها على ساحل بحر عميق وبحث جديد، لا عهد لي بمثله، أو بَعُدَ العهد بأسلوبه، ولذلك قررت أن أعود إليه بعد رمضان إن شاء الله، فلعلي أكون أكثر قدرة وأوسع وقتاً، لاستيعاب هذه النظرات، التي تند عن التصور العادي والفهم السريع، وتحتاج إلى أناة وصبر، فإنها كما ذكرت من السهل العسير، والقريب البعيد.

وقد أحدثت مقدمتك لنا بك عهداً، ونرجو أن يجمعنا الله بكم دائماً على الحق والهدى، وأن يجزيك عنا خيراً والسلام عليكم.

من أخيك

عبد المعز عبد الستار

٢٥/٦/١٤٠٤هـ

مراجع الكتاب

١ ـ الفتوحات المكية طبعة الميمنية

٢ ـ الإسرا إلى مقام الأسرى

٣ ـ ترجمان الأشواق

٤ ـ الديوان

٥ ـ التنزلات الموصلية

٦ ـ فصوص الحكم

٧ ـ المبشرات

٨ ـ محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار

٩ ـ إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن

١٠ ـ روح القدس في محاسبة النفس

١١ ـ النجاة عن حجب الاشتباه

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

أشرف على التصحيح والتدقيق، كل من السادة:
محمد ماجد الحناوي ـ سعيد الناشي ـ أحمد العاقل

للمؤلف

١ ـ الفقه عند الشيخ الأكبر	صدر
٢ ـ الإنسان الكامل	صدر
٣ ـ القطب الغوث الفرد	صدر
٤ ـ الرد على ابن تيمية	صدر
٥ ـ شرح كلمات الصوفية	صدر
٦ ـ ترجمة حياة الشيخ الأكبر	صدر
٧ ـ الحب والمحبة الإلهية	صدر
٨ ـ الخيال عالم البرزخ والمثال	صدر
٩ ـ الرؤيا والمبشرات	صدر
١٠ ـ شرح فصوص الحكم	صدر
١١ ـ شرح رسالة روح القدس في محاسبة النفس	صدر
١٢ ـ الطريق إلى الله تعالى ـ الشيخ والمريد	صدر
١٣ ـ رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن ـ تفسير القرآن	صدر
١٤ ـ علماء وأمراء	مخطوط
١٥ ـ الرسائل والمقالات	مخطوط
١٦ ـ الحديث في شرح الحديث	مخطوط

تطلب كتب المؤلف التي صدرت من :

● دار الإيمان ـ دمشق ـ شارع مسلم البارودي ـ سوريا

● المؤلف ـ دمشق ـ ص . ب : ٣٣٣ ـ سوريا

الشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي

- ولد عام ٥٦٠ هـ بمدينة مرسية بشرق الأندلس وتوفي عام ٦٣٨ هـ بمدينة دمشق.
- خرج حاجاً من الأندلس عام ٥٨٩ هـ ثم استقر به المقام في دمشق بعد رحلة مذكورة في ترجمته.
- غرق أهل العلم في شرح وتفسير إشاراته فغابوا عن علو مقام الشيخ الفقهي وانه إمام صاحب مذهب مستقل من مذاهب أهل السنة والجماعة.
- اختلف فيه أهل الظاهر بين قادح ومادح واعتبره فلاسفة الغرب والشرق من أكبر فلاسفة الأسلام ولقبه الأولياء وأهل العرفان سلطان العارفين وشيخ المحققين.
- له من المؤلفات ما ينيف عن ستمائة مؤلف بين رسالة وكتاب فقد جلها ولم يبق بخط يده إلا اليسير منها الفتوحات المكية.